يوسف القعيد

محمد حسنين هيكل يتذكر

عبد الناصر والمثقفون والثقافة

دار الشروق

عبد الناصر والمثقفون والثقافة

الطبعــة الأولــى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

© دارالشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهـرة : ٨ شـارع سـيبويه المصـرى -
رابعـة العـدوية - مـدينـة نصـر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فـاكـس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

كتاب البدايات

بدلاً من المقدمة

... سوف تكتب أنت وحدك قصتنا، فما أظن أن العمر سيصل بي إلى مرحلة الشيخوخة.

عبدالناصر لهيكل.

لست من هواة كتابة المقدمات لكتبي ؛ ربما لأن ما سبق أن صدر لي ، يمثل في معظمه أعمالاً روائية ، ومجموعات من القصص القصيرة وأدب الرحلات وأدب المقالة ، ولأنه في تصوري أن النص الأدبي الذي لا يصل إلى القارئ مباشرة ، ويحتاج إلى واسطة أو تفسير . لابد أن خللاً ما وقع في عملية التواصل . هذا الخلل إما أن يعود إلى الكاتب ، أو إلى طبيعة النص أو إلى القارئ المتلقي . فالفنان الأديب يقول ما عنده في نصه . فأي كتابة أخرى تخرج عن المتن ، أو تزيد عليه ، تصبح محاولة للشرح ، تضلل أكثر مما تضيء ، وتشتت بدلاً من أن تحدد المسار .

لكن الأمر اختلف هذه المرة .

فما أقوم به هو حوار طويل ، أعد خصيصاً من أجل أن ينشر في كتاب . ودوري فيه هو المحاور صاحب الأسئلة ، التي تشكل الإجابات عليها الكتاب كله . ومكونات الكتاب أربع : الحدث ، وبطل الواقع ، وبطل كتابي ، وجماعات المثقفين المصريين . أما الحدث فهو ثورة الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ، وبطل الواقع هو مفجر الثورة وقائدها ، من الحلم الأول ، إلى محاولات التصفية الأخيرة : جمال عبد الناصر . وبطل كتابي هو : محمد حسنين هيكل - فالرجل تجاوز جميع الألقاب التي تسبق الأسماء عادة - وهو أهم صحفي مصري وعربي في القرن العشرين ، والقرن الذي جاء بعده . أما

جماعات المثقفين المصريين فالكلام عنها في المقدمة وفى ثنايا هذا الكتاب، سيطول.

لقد قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وعمرى: واحد وعشرون يوماً، وثلاثة أشهر وثماني سنوات، أما عن الساعات والدقائق فمن الصعب معرفتها؛ لأنني إن كنت أعرف جيداً وقائع يوم الثورة بالساعة والدقيقة والثانية، فمن الصعب معرفة اللحظة التى جئت فيها إلى الحياة فى قريتي.

عندما قامت الثورة، لم نكن قد عرفنا التليفزيون بعد، والراديو لم يكن قد انتشر مثلما عرفته مصر فى الستينيات، وكان فى القرية راديو وحيد، موضوع فى مندرة أحد الأغنياء. نذهب لمشاهدته أكثر من الاستماع إليه، لأن ما كان ينبعث منه، كان خروشة أكثر من كونه صوتاً من الأصوات التى يمكن أن نميزها.

وقد عرفت بقيام الثورة، عندما تجمعنا نحن أطفال القرية، ولابد أن ذلك كان بعد قيامها بأيام وليال، ذهبنا إلى البقال، لكى نشترى صوراً للواء محمد نجيب «قائد الحركة المباركة» هكذا كانوا يسمون الرجل والحدث معاً. وكانت أصول محمد نجيب تعود إلى قرية تواجه قريتنا على الناحية الأخرى من فرع رشيد، وهى قرية النحارية التى كانت تقع بين تخوم محافظتى الغربية وكفر الشيخ، ولم تكن النحارية - فى الناحية كلها - من القرى حسنة السمعة!

كانت الصورة بالأبيض والأسود، والكاب الذى فوق رأسه، كان أبرز مايبدو من الصورة. وكانت نظراته - فى الصورة - أقرب إلى الطيبة التى يمكن أن تكون «سبهللة» ولأنه كان أسمر غامقاً؛ قيل إن أمه سودانية وكانت الصورة تقول إنه متقدم فى العمر. مع أن الناس كانت تتكلم فى القرية، عن أن الذين صنعوا هذه الثورة من الشباب، وكنوع من التبرير، قيل إن المتقدم الوحيد فى العمر، هو هذا الشيخ الوحيد، وسط مجموعة من الشباب.

ارتبطت الثورة فى وعيى المبكر بحادثين: الأول حادث القطار الذى يمر بالقرب من قرية التوفيقية القريبة من قريتي. كانت الناس قد تجمعت من أجل رؤية محمد نجيب، الذى قيل إنه يستقل قطاراً من القاهرة إلى الإسكندرية، وقد توقع الناس أن يتوقف قطاره فى التوفيقية، وأنهم سيحيونه ويقولون له إن بلدته الأصلية تقع بالقرب منهم.

كان القطار من نوع جديد، لم يعرفه أهل الناحية من قبل، كان من النوع الذى عرف فيما بعد باسم «الديزل السريع» لم يتوقف القطار فى التوفيقية، ولم يقلل من سرعته، وكان زحام الناس رهيباً، قالوا إن المحطة كانت مثل يوم الحشر، وأن الناس اندفعت إلى القطار لتحيى محمد نجيب، ولكن سرعة القطار حركت حتى الهواء، فشفط عدداً كبيراً من الناس، وكانت كارثة.

أتوقف لأتساءل، ربما كان سؤالى خارج سياق ما أكتبه، هل تشكل هذه الكارثة البذرة المبكرة لرواية «يحدث فى مصر الآن؟» ذلك أنه بعد حادث قطار نجيب بحوالى ربع قرن، سيكون هناك قطار آخر يقل السادات ونيكسون، ويمر بنفس البلد، ويتسبب مروره فى حوادث أخرى، ربما كان ذلك صحيحاً. أننى لم أكتشف هذه العلاقة إلا وأنا أكتب هذا الكلام الآن، وكل الأمور جائزة فى العملية الإبداعية.

الحدث الثانى: كان حضور مندوب من الحركة المباركة إلى قريتنا، الشيخ أحمد حسن الباقورى، لا أدرى إن كان قد اختير وزيراً عندما جاء إلى قريتنا أم أن اختياره كان بعد ذلك؟ ولست متأكداً الآن أن تكليفه بالحضور كان سببه وجود نشاط إخوانى فى قرية مجاورة لقريتنا هي: أشليمة. لدرجة أن معظم الشباب الذين ولدوا فى القرية فى أواخر الأربعينيات كانوا يحملون اسم حسن البنا.

المهم، جاء الباقوري، تسبقه سيارات، وتلحق به سيارات أخرى. نزل

من سيارته الفاخرة التى كان صالونها مضاء . ومازلت أذكر حتى الآن الضوء الخافت، الذى كان ينبعث من صالون السيارة، فقد وصل إلينا ليلاً . كان بالجبة والكاكولا ، ومازال فى خيالى منظر شال عمامته البيضاء ونظارته الطبية ، كأنى شاهدته بالأمس فقط .

ذهب الباقورى إلى بيوت الأغنياء فقط ، سواء بحرى البلد أو قبلى البلد . الذين منحوه تأييدهم الكامل والمطلق للحركة الوليدة ، وزعموا بعد رحيله أنهم قدموا تبرعات مالية كبيرة للحركة ، لكن المؤكد أن الضيف لم يلتق بأحد منا نحن الفقراء ، الذين أبعدنا عن موكبه ، وقد أصبحنا جماهير يوليو الحقيقية بعد أن أصبح لها جماهير .

أما الذين زارهم فقد كانوا رجال الملك ووالد الملك وجد الملك . إن الأعيان الذين زارهم الباقورى أو خصهم بزيارته ، حصلوا على الثمن كاملاً ، فنفوذهم الاجتماعى والمعنوى ظل كما كان قبل الثورة ، بل كانت أمامهم فرصة حقيقية لتوزيع الأرض التى كانت تحت أيديهم على الزوجات والأبناء والأحفاد والأقارب . وهكذا لم يؤخذ منهم قيراط واحد ، سواء بموجب قوانين الإصلاح الزراعى الأولي ، أو الثانية . صحيح أنهم لم يكونوا من الإقطاعيين المعروفين ، ولكن كانت عندهم ملكيات واسعة من الأراضى الزراعية نتيجة المضاربات فى أسعار القطن ، والدخول فى دائرة تصدير محصول البطاطس فى وقت مبكر .

كانوا عرابيين فى زمن عرابي ، ومن وجوه الحزب الوطنى فى أيام مصطفى كامل ، ثم تحولوا إلى أقطاب للوفد عندما أصبح حزب الأغلبية ، وهم أنفسهم أصبحوا مندوبى هيئة التحرير والاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكي ، حتى طليعة الاشتراكيين لم تنج منهم . وبعد قيام الأحزاب أصبحوا هم رجال حزب مصر العربى الاشتراكي ، ثم الحزب الوطنى الديمقراطي ؛ لأن الحزب

السياسى الحاكم من وجهة نظرهم فرع من الحكومة، والعمل السياسى له مفهوم وحيد وهو تصريف أمورهم، وحل مشكلاتهم مع الإدارة ورجال الحكومة. أنا لم أشاهد بأم عينى تغيير لافتة الوفد في سراية الأعيان، واستبدالها بلافتة هيئة التحرير. لكنى شاهدت ورأيت وعاصرت تغيير كل اللافتات بعد ذلك، وكنت أقول لنفسى فى كل مرة، إن الله سبحانه وتعالى هو الأعلم بالقلوب وما فيها.

بعد عامين من بحثنا عن صور للواء نجيب كان علينا القيام بالرحلة نفسها بحثاً عن صور للبكباشى جمال عبدالناصر بعد أن أصبح هو القائد، وهكذا عرفت حياتى شخصياً العديد من الإيجابيات والإنجازات التى لولاه ماعرفتها.

كانت الإيجابيات مذهلة فى حياتنا اليومية، حتى لو لم يدرك صانع الثورة وبطلها الأثر الذى أحدثه فى حياتنا، ويكفى أنه قبلها لم يكن يجرؤ أحد من فقراء قريتي - ووالدى رحمه الله من هؤلاء - أن يمر أمام شكمة العمدة راكبا حماره. كان ينزل من فوق الحمار وينزلنى معه؛ حتى نمر أمام الشكمة بسلام، ومن كان يجرؤ على مخالفة ذلك كان يتم ربطه فى شجرة كافور عالية وضخمة. وعندما كنت أقترب من هذه الشجرة - بعد قيام الثورة طبعاً - كنت أسمع أصوات أنين وبكاء وشكاوى، وكنت أرى على جذعها لوناً أحمر، فأقول لنفسي، إن هذه أطلال دماء من عذبوا هنا قبل قيام الثورة.

عندما وصلتنا صورة جمال عبد الناصر، كان اسم الحركة قد أصبح ثورة. قالوا عن عبدالناصر إنه من قرية بنى مر. ولأول مرة أسمع كلاماً عن الصعايدة والبحاروة، وإن كان الخيال الشعبى قد تحايل على هذا. قالوا إن والد عبدالناصر عمل فترة طويلة فى البحيرة، وكان جمال معه فى قرية الخطاطبة مركز كوم حمادة، بالقرب من المكان الذى شهد حدثا من أهم

أحـداث الثـورة؛ ألا وهـو مـديرية التـحـرير التى تعـثـرت بـين نبل وطوباوية الفكرة، ورداءة التنفيذ.

عرفت فيما بعد أن ميلاد عبدالناصر كان فى قرية اسمها: «الضهرية» تقع فى ضواحى مدينة الإسكندرية، وهى الآن جزء منها؛ ذلك أن الظاهر بيبرس بنى خلال حكمه سبع قرى سماها الضهرية: منها قريتى الضهرية، مركز إيتاى البارود محافظة البحيرة، والقرية التى ولد فيها جمال عبد الناصر، وأن الاسم كان فى البداية الظاهرية، ولكنه تحول بمرور الوقت إلى الضهرية.

وصل صوت عبدالناصر إلى قريتى قبل أن تصل صورته بسنوات. استولى سلطان صوته على عرش الآذان. ووصول الصوت قبل الصورة، جعل الخيال الشعبى يرسم له صورة الزعيم والمخلص، الذى لا نجده سوى فى الملاحم الشعبية. والناس لم تكتف بوصول صوته إليهم، بل سعوا إليه. كان حلاق القرية له أقارب فى حدائق شبرا؛ ولذلك كان الحاج محمود الجوهري، قد تعود على السفر إلى القاهرة - يقولها مصر - فى عيد الثورة، ليستمع إلى عبدالناصر فى خطبته السنوية بأذنيه، ويراه بأم عينيه ويعود، ليحكى لنا عما شاهده وما سمعه.

هكذا سافرت إلى القاهرة قبل أن أسافر إليها، وشاهدت بعين الخيال المثلث السياحي: الهرم، القناطر الخيرية، حديقة الحيوان. والمثلث الروحي: سيدنا الحسين سيد الشهداء، ورئيسة الديوان السيدة زينب، ونصير المظلومين الإمام الشافعي. والمثلث السياسي: قصر القبة، ومجلس قيادة الثورة، ومقر الاتحاد القومى، ثم الاتحاد الاشتراكى العربى فيما بعد.

هذا هو الحدث: ثورة يوليو..

وهذا هو بطل الواقع: جمال عبد الناصر.

أصل إلى بطل كتابي: محمد حسنين هيكل.

وعندما أجريت معه حوارى الأول، وكان لمجلة المستقبل التى كانت تصدر فى باريس، فى السنوات الأولى من عقد الثمانينيات، قلت فى مقدمة الحديث: إننى كرهت فى ظل مصر عبدالناصر اثنين: النيل، ومحمد حسنين هيكل. الأول لأنه كان مصدر ضغط على المصريين، وتسبب فى شرعية وجود الدولة المركزية التى توزع مياهه وتمنح الماء لمن تشاء، وتمنعه عمن تشاء؛ لقد أدى النيل إلى خضوع المصريين وخنوعهم.

أما الأستاذ: فقد أمم مهنة الصحافة لسنوات طويلة، حتى الذين جاءوا بعده، كانوا يعملون وأعينهم على تجربته التى كانت غير قابلة للتكرار. كان الأستاذ قد قرأ الحوار ولم يناقشنى فيما كتبته عنه، وعن نهر النيل.

مازلت أذكر - وأنا أكتب هذا الكلام من الذاكرة - بعد الانفصال وفى مباحثات الوحدة، وكانت مباحثات ثلاثية: سورية، عراقية، مصرية، وبعد انتهاء إحدى جلسات المباحثات طلب أعضاء الوفدين العراقى والسورى، من عبدالناصر سؤال هيكل عما سيكتبه فى آخر الأسبوع، حتى يطمئنوا إلى أن ما سيكتبه لن يسبب لهم أى حرج أمام شعوبهم، وقد جاء هيكل، وتحدث معه عبدالناصر فى حضورهم، مما أكد لى خطورة القلم وأهمية الكلمة.

كنا يوم الجمعة من كل أسبوع، وبعد نشرة أخبار الساعة الخامسة بعد الظهر، ننتظر حتى نستمع إلى النص الكامل لمقال الأستاذ، الذى كان يستمر حوالى الساعة، وبرغم أن ذلك كان يحرمنا من الاستماع إلى تمثيلية الخامسة والربع المسلسلة، التى كانت ترحل إلى ما بعد المقال، وفى أحيان كثيرة كانت التمثيلية تلغى، مع أنها كانت تشكل الزاد الدرامي - ربما الوحيد - الذى كنا نعيش عليه على مدى اليوم كله، إلا أن المقال المسموع، كان يشكل غذاء عقليا يعوضنا عن الغذاء الروحى الذى كنا نجده فى المسلسل المسموع.

استشهد عبدالناصر وجاء السادات، واستمر هيكل لبعض الوقت، ثم

كانت استقالته الشهيرة وخرج - بقراره وإرادته - من مؤسسة الأهرام، التى بناها طوبة طوبة، ليبنى مؤسسته الخاصة. وهكذا تحول مكتبه إلى واحدة من أهم المؤسسات المصرية، التى لابد أن يزورها ويقصدها كل من يزور مصر.

على أن صلتى الخاصة بالأستاذ بدأت بقصة أرويها الآن. ففى منتصف السبعينيات فوجئت بمحمد سيد أحمد، ونحن فى أحد اجتماعات جريدة الأهالي بحزب التجمع، ينتحى بى جانباً، ويبلغنى تحيات الأستاذ. طبعاً لم يكن فى حاجة إلى القول من هو الأستاذ فذلك كلام لا يقال، فلم يكن فى مصر سوى أستاذ واحد ووحيد، عندما نقول الأستاذ في مصر لابد أننا نقصد «هيكل» وعندما نقول الريس فالمقصود هو «عبد الناصر». وعندما نقول الست؛ فنقصد «أم كلثوم». وأن الأستاذ سمع عن روايتى «يحدث فى مصر الآن» وقد سعدت لحظتها سعادة حقيقية، ذلك النوع من السعادة الذى يفاجئك، لا تتوقعه ولا تنتظره، ولا تسعى إليه، ولكنها تسعى إليك، وتقيم فاصلاً فى حياتك، يكون هناك ما قبلها وما بعدها.

أعطيت محمد سيد أحمد «يحدث فى مصر الآن» وكتبت عليها إهداء فيه رعشة الرغبة فى أن يقول الإنسان أكبر قدر من المعاني فى أقل قدر من الكلمات. ألم يقل النفرى: كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة؟

وعندما صدرت «الحرب فى بر مصر» خارج مصر أولاً ثم طبعت بعدها فى مصر، كانت نسخة الأستاذ من أول النسخ التى أهديت إلى رموز الوطن. فقد كان هيكل قد أصبح رمزاً من رموز الوطنية المصرية، وهو يعارض خطوات السادات عندما قفز قفزته الأخيرة نحو المجهول.

عندما طرقت باب مكتبه متعرفاً عليه، كنت أقابل ظاهرة هيكل صاحب القلم الذهبي، الذى قدم تجربة عبدالناصر بالكلمة، وهيكل الذى أصبح ضميراً لمصر. وعندما أقول عنه آخر الكتاب المحترمين فى مهنة الصحافة، لاأكون قد تجاوزت أى حدود فى ذلك.

واختفى السادات من الحياة المصرية. وكتب هيكل كتابه الوثيقة «خريف الغضب» وأذكر أننى قابلته وهو يكتبه. وفى اليوم التالى اتصل بى يستأذننى فى استخدام عبارة وردت فى حديثى معه بالأمس، واستخدام عبارة أخرى من ثلاثيتى الروائية: شكاوى المصري الفصيح. وقد اعتبرت أن ذلك تواضع مبالغ فيه من الأستاذ، وإن كان فى حقيقة الأمر درساً بليغاً فى الأمانة والدقة والموضوعية.

كانت هذه العبارة تقول:

ـ وقد وصف أحد المثقفين فى مصر جماعات المستفيدين من سياسة الانفتاح الاقتصادى بأنها «طبقة المظليين» وكان رأيه أن المظليين عادة ينقضون من السماء على المواقع ليحتلوها أو ليدمروها، وأن هذه الطبقة كانت مصممة إما أن تسيطر على مصر، وإما أن تدمرها، وكان قول هذا المثقف، إن فكرة هؤلاء عن الدولة أنها مجرد جهاز لتأمين نوم الأغنياء ضد أرق الفقراء. وفى الهامش كتب اسمى باعتبارى صاحب العبارة. فضلاً عن أن تعبيرى: نوم الأغنياء، وأرق الفقراء، كانا عنوانى الجزأين الأول والأخير من روايتى الثلاثية «شكاوى المصرى الفصيح».

من المؤكد أن وراء إنجاز الأستاذ تلك القدرة الفريدة على التنظيم، مع قدر ضخم من الدأب والمثابرة. وأنا عن نفسى عندما أجد أى حالة من حالات النجاح الفردى فى مجتمعنا الملىء بالإحباط، أسأل نفسى فوراً السؤال الذى أحضرته معى من قريتي: قيراط حظ أم فدان شطارة؟! وربما كان الأستاذ محظوظا، لكن الأهم من هذا كمية العرق والجهد والشطارة التى بذلها فى عمله، حيث يأخذ نفسه بأقصى قدر من الشدة والجدية، التى ربما وصلت إلى مشارف التزمت.

وبرغم أن الأستاذ يصر على صفة صحفي ويعتبرها أكبر نيشان يمكن أن

يحمله، إلا أن ثقافته الأدبية كانت تلفت نظرى وتسبب لى حالة من الانبهار، فهو يطعم كتاباته، ومن قبلها أحاديثه بعبارات من الشعر والنصوص المسرحية والرواية والقصة، بل وبما يقوله الأدباء والمفكرون عادة. وأعتقد أن ما يحفظه هيكل من روائع الشعر العربى القديم والوسيط والحديث، ربما يتساوى مع ما فى ذاكرة أى شاعر يحترف قول الشعر، ولو قدم هيكل مختارات هيكل للشعر العربي؛ لأدهش الجميع.

وبرغم أنه رجل عصرى بكل معنى الكلمة، يتعامل مع الفاكس والإنترنت، فإنه حريص على أن تكون عنده أكثر من مكتبة، ابتداء من مكتبه الملاصق لبيته، والذى أسميه مركز الضمير الصحفى المصرى والعربي. ولديه مكتبة فى عزبته ببرقاش ومكتبة فى الإسكندرية، يحرص على أن يكون فيها جميع أدبيات البحار، وما كتب عن البحر، ابتداء من الأساطير القديمة، والنصوص الروائية والشعرية الحديثة، وصولاً إلى الكتب العلمية المعاصرة جداً. وثمة مكتبة خاصة بالكتب التى أهديت له فقط، سواء من زعماء العالم وساسته وقادته أو أدباء الدنيا، أو الإهداءات المحلية عربية كانت أو مصرية، ومكتبه بالساحل الشمالي، ومكتبه في الغردقة.

لا أحب الاستطراد فى هذا الموضوع المغرى بالكتابة فيه، وأتصور أن الاستطرادات لابد أن لها مكانًا أو أمكنة أخرى، وإن كنت أفترض أسئلة لابد من طرحها عند قراءة هذا الكتاب: لماذا يوليو ولماذا عبد الناصر؟! ولماذا هيكل؟! ولماذا جماعة المثقفين؟!.

ومع أننى لست فى حاجة للإجابة عن أسئلة؛ لأن هذه الإجابة ربما تعد من البديهيات الآن، ومع أن هذا الكتاب كله محاولة للإجابة عن مثل هذه الأسئلة، فإننى أقدم اجتهادى الخاص، مع إدراكى أن الإنسان لا يسأل لماذا يحب. فالحب طريق فى القلب. ولكنى سأقول:

ـ لولا ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ما كنت أستطيع الشعور بآدميتى وكرامتى. لم يكن فى قريتى إقطاع بمعناه المعروف، ولكن حتى الأعيان الذين كانوا فيها، كانوا قد قسموا الناس إلى نوعين، نوع له حقوق فقط. ونوع آخر، ونحن من هذا النوع، عليه واجبات فقط، أقصد واجبات قهرية قائمة على فكرة القهر، وليس ذلك الواجب الذى يقوم به الإنسان كنوع من الالتزام الداخلي.

أما جمال عبدالناصر فهو الإنسان الذى لولاه ما تعلمت؛ فلولا مجانية التعليم، ولولا أننا أصبحنا من الناس الذين لهم حقوق ما دخلت المدرسة. أيضاً، فإن هذه المدرسة لم يكن لها وجود فى قريتي، ولم تعرفها بلدتى إلا بعد يوليو. وما جرى معي وحدث لى، جرى مع الملايين من أطفال مصر فى ذلك الوقت العصيب.

أما الأستاذ فقد كان وما يزال صاحب تجربة ثقافية وفكرية ـ قبل الصحافة وبعدها ـ من أهم تجارب القرن العشرين، فى مصر والوطن العربي، أقصد تجربة جعل الأهرام منبراً فكرياً وثقافياً يحافظ على الاستقلال، وأن ذلك يمكنه أن يعمل على مسافة من السلطة.

ذلك أن هيكل خلال هذه الفترة من «١٩٥٢ حتى ١٩٧٠» لم يجلس فى مكتبه منتظراً أن يأتى إليه من يأتي، لم يجلس مستفيداً من سحر اسمه، ومن لمعان اسم الأهرام، ولا من تلاقى الصحيفة والصحفي، ولكنه ذهب إلى المثقفين وسعى إليهم.

لقد حكى لى جمال حمدان، كيف ذهب هيكل إليه فى منزله، بصحبة مصطفى نبيل رئيس تحرير مجلة الهلال، ولأن جمال حمدان كان لا يفتح باب شقته لأحد، ترك له رسالة، احتفظ بها جمال حمدان حتى وفاته.

كانت تجربة الأستاذ سواء في بعدها الإنسانى والخاص، أو فى عمقها العام، أو على صعيد علاقته الخاصة بجمال عبد الناصر، من أهم التجارب

الفريدة أمام الأجيال التى جاءت من بعده، وكل هذه العناصر هى التى تؤهله ـ وحده دون سواه ـ أن يروى القصة الداخلية لعلاقة جمال عبدالناصر بجماعات المثقفين، وهى العلاقة الفريدة التى تمت فى فترة وصل الإنجاز الثقافى المصرى فيها إلى الذروة، برغم كل ما يقال عن الإجراءات الاستثنائية وقمع الحريات. فقد أصبحت ريادة مصر السياسية والثقافية والفكرية للوطن العربى حقيقة لا تقبل الجدل. إن تجليات الإبداع الأدبي والإنجاز الثقافي في زمن عبد الناصر. وصلت إلى سماء الوطن العربي كله. والأمة الإسلامية، وإلى كل مكان سمع فيه حرف الضاد. وأصبحنا بعده في أيام الحريات والديمقراطية لا نملك سوى البكاء على ما كان. لقد قادت مصر الناصرية الوطن العربي بالكتاب والفيلم والأسطوانة ولوحة الفن التشكيلي والأغنية والعرض المسرحي، ثم تراجعت هذه الريادة من بعده وأصبحت مجرد ذكريات نتكلم عنها.

علاقة هيكل بعبدالناصر تجعله الوحيد القادر على تقديم شهادة حقيقية حول موقف عبدالناصر من الثقافة، وموقف المثقفين منه. شهادة تعود بنا إلى المربع رقم واحد، وسط كل هذا الغبار الذى أثير حول هذا الموضوع، منذ استشهاد عبدالناصر وحتى الآن.

وبرغم أن شرعية هيكل كراو لمشهد هذه العلاقة لا تحتاج إلى إثبات، إلا أننى أنقل هذا الاقتباس من كتابه: لمصر لا لعبدالناصر على صفحتى ٣٢، ٣٣ وهذا الاقتباس موجه إلى الأجيال الجديدة، التى خرجت إلى الدنيا بعد أن جرى ما جرى ووقع ما وقع.

قال هيكل لعبدالناصر وهما يعيشان أزمة من الأزمات الكبري، والتى كانا يعبرانها واحدة بعد واحدة:

ـ «هل ستتاح لنا الفرصة يوما لكى نجلس ونكتب معاً قصة ما حدث وحقيقته؟ ربما عندما نصل إلى سن الشيخوخة ولا تعود هناك مهام أو مشكلات، ستتاح لنا هذه الفرصة نجلس معاً لنكتب القصة كلها.

وقال هو ببساطة :

ـ سوف تكتبها أنت وحدك ، فما أظن أن العمر سيصل بى إلى مرحلة الشيخوخة .

قلت له :

ـ لماذا تقول ذلك؟!

وكان رده :

ـ لنكن عمليين . الذين يعيشون نوع الحياة التى أعيشها ، ليس له أن ينتظر الشيخوخة ، «وإلا كان يخرف» .

وعن هذه الصداقة ، قال هيكل لصلاح منتصر ، مجلة أكتوبر أعداد ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ الصادرة فى الفترة من ٥ يونيو ١٩٨٨ إلى ١٩ يونيو ١٩٨٨ :

ـ أحسن ما كان فى علاقتى بعبدالناصر : هو ما كان فيها من تلقائية ، بمعنى أننى لم أكن أقصد ، ولا هو كان يقصد . الصداقات لا تنشأ بتصميم سابق . الصداقات تنشأ بصلات إنسانية يشعر بها الناس ، وتتوثق لحظة بعد لحظة ويوما بعد يوم .

الذى حدث أن الرجل كان لديه استعداد تاريخى خارق ، وأنا كصحفى أعرف المنطقة بشكل أو بآخر . وأسوأ شيء تفعله لأى إنسان فى السلطة ، أن تحاول أن تتقرب إليه ، أو تفرض نفسك عليه ـ لأنه بطبيعته يشك ـ ليس فقط جمال عبد الناصر ، وإنما كل إنسان فى موقع السلطة . ولو أننى حاولت بناء على تصميم مسبق ، لأثرت الشكوك ، لكن علاقتنا نمت . إننا حتى دون أن نلتقى كنا نتكلم فى آراء واحدة .

ثم بعد ذلك الصداقات تأتى عندما يجد اثنان نفسيهما منجذبين سواء بحكم تلاقيهما الفكري ، أو بحكم عناصر الكيمياء الإنسانية ، لا هو هيأ ولا أنا هيأت ، ولكن العلاقة نشأت كما تنشأ أى صداقة بطريقة طبيعية .

عند الوصول إلى جماعة المثقفين نبدأ من سؤال : كيف كانت أحوالهم وأوضاعهم عندما قامت الثورة؟ ذلك أن الحديث عن علاقتهم بالثورة وبطلها يشكل موضوع الكتاب كله : إحسان عبد القدوس كان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، وكان رئيس تحرير مجلة روزاليوسف . وأحمد بهاء الدين كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وكان قد استقال من العمل فى الحكومة . بالتحديد فى مجلس الدولة ، وتفرغ للعمل فى مجلة روزاليوسف ، ثم أسس مجلة صباح الخير ، وكان أول رئيس تحرير لها سنة ١٩٥٦ . وأحمد حمروش كان فى الحادى والثلاثين من عمره ، وكان فى القوات المسلحة التى انتقل منها سنة ١٩٥٦ إلى الصحافة . وأمينة السعيد كانت فى الثامنة والثلاثين من عمرها ، وكانت كاتبة صحفية فى مجلة آخر ساعة ، ثم بمجلة المصور ، وأول رئيسة تحرير لمجلة حواء التى صدرت سنة ١٩٥٤ . وجمال حمدان كان فى الرابعة والعشرين من عمره ، وكان مبعوثاً للحصول على الدكتوراه من جامعة ريدنج فى بريطانيا ، فى فلسفة الجغرافيا .

حسن فتحى كان أستاذ ورئيس قسم العمارة فى كلية الفنون الجميلة . وزكى نجيب محمود كان فى السابعة والأربعين من عمره ، وكان أستاذاً زائراً فى الجامعات الأمريكية من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤ . وسهير القلماوى كانت فى الحادية والأربعين من العمر ، وكانت أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

سيد عويس كان فى التاسعة والثلاثين من عمره ، وكان يعمل مفتشاً اجتماعياً بوزارة الشئون الاجتماعية . وعائشة عبد الرحمن كانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها ، وكانت أستاذاً جامعياً . وعلى الراعى كان فى الثانية والثلاثين ، وكان يعمل مدرساً بقسم اللغة الإنجليزية بآداب عين شمس . وفاتن حمامة كانت فى الحادى والعشرين من عمرها وكانت فنانة معروفة . قدمت العديد من الأدوار فى السينما المصرية . وفتحى غانم كان فى الثامنة والعشرين ، وكان يعمل نائب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة . محمد

عبدالوهاب كان فى الثانية والأربعين من العمر ، وكان مطرباً وممثلاً معروفاً ، ومصطفى النحاس كان فى الثالثة والسبعين من عمره وكان خارج الحكم ، وقد مات بعد قيام الثورة بثلاثة عشر عاماً .

الفنانة ليلى مراد كانت فى الرابعة والثلاثين من عمرها ، وكانت وقت قيام الثورة مطربة وممثلة معروفة . وسعد الدين وهبة كان فى السابعة والثلاثين من عمره ، وكان ضابط شرطة ثم أصبح رئيساً لتحرير مجلة البوليس ثم الشهر ، وبعد ذلك مدير التحرير فى جريدة الجمهورية . وعبد الرازق السنهورى كان فى السابعة والخمسين من عمره ، ومات سنة ١٩٧١ .

أما توفيق الحكيم فقد كان فى الخمسين من عمره عندما قامت الثورة ، وكان يعمل فى دار الكتب . وعباس محمود العقاد كان فى الثالثة والستين ، وكان كاتباً معروفا ومات بعد قيام الثورة باثنى عشر عاماً . وأحمد لطفى السيد كان فى السبعين من عمره ، ومات بعد قيام الثورة بإحدى عشر عاماً . وأحمد أمين كان فى الخامسة والستين ، ومات بعد قيام الثورة بعامين . ونجيب محفوظ كان فى الحادية والأربعين من عمره ، وكان يعمل سكرتيراً برلمانيا لوزير الأوقاف . ثم مديراً لمكتب رئيس مصلحة الفنون التى أنشأتها الثورة ، ووصف السنوات التى تلت قيام الثورة بأنها سنوات اليأس الأدبى «١٩٥٢ ـ ١٩٥٧» ، وكان قد بدأ قبل قيام الثورة بخمس سنوات في كتابه السيناريوهات للسينما . وتأكد هذا الاتجاه بعد قيام الثورة . كان يكتب السيناريوهات للسينما بدون حوار لأنه لا يحب الكتابة بالعامية المصرية . ويحيى حقى كان فى السابعة والأربعين من العمر ، وكان وزيراً مفوضاً فى ليبيا ، ثم بعد ذلك رئيساً لمصلحة الفنون . ويوسف إدريس كان فى الخامسة والعشرين من العمر ، وكان طبيباً بدأ النشر قبيل الثورة بعامين ، ولكن مجموعته القصصية التى كرست اسمه «أرخص ليال» لم تكن قد صدرت بعد . وعبد الحليم حافظ كان فى الثالثة والعشرين من عمره . وكان قد عمل مدرساً للموسيقى ، واعتمد مطرباً فى الإذاعة المصرية قبل الثورة بسنة واحدة ، وقد عرفه الجمهور سنة ١٩٥٢ لينطلق بعدها

ويصبح صوت يوليو، أما وفاته فقد كانت فى السنة التى أكملت الثورة ربع قرن من عمرها.

هذا هو الحدث: ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وهذا هو الرجل: جمال عبد الناصر، بطل الواقع، الذى غير ما كان مستحيلاً تغييره.

وهذا هو بطل كتابي: محمد حسنين هيكل، صاحب أهم تجربة صحفية ارتكزت على بعد سياسي وثقافى وفكري.

وفى المقابل تلك هي الثقافية المصرية فى النصف الثانى من القرن العشرين، حيث وصلت فى هذه السنوات إلى أعظم تجلياتها داخلياً، وشكلت الريادة الحقيقية للوطن العربى ثقافياً.

والآن إلى أبطالي:

الثورة، والبطل، وراوى قصة القصة أو حكاية الحكاية، وجماعات المثقفين المصريين.

وهذا هو الكتاب نفسه.

بقى أن أقول إننى لن أستطيع وصف الرعب الذى شعرت به، وأنا أحاور أكبر محاور فى عصرنا. يشعر الإنسان بالتضاؤل أمامه، خاصة عندما يكون الحوار عن عبدالناصر وعصره وزمنه وإنجازه. وعبدالناصر الإنسان بفكره ورؤاه وعلاقته بمثقفى عصره.

لقد استغرق إعداد هذا الكتاب أكثر من خمس سنوات. تكلم الأستاذ وحكى. فى جلسات صباحية مبكرة، قبل أن تبدأ مواعيده اليومية حاول أن يضعني في قلب الحدث، نقلني إلى الأجواء باستفاضة، ثم ترك لي الحرية الكاملة في الكتابة، أن أعتمد على ما أختار من كلامه الذي يرتبط بموضوع الكتاب.

إن ما في هذا الكتاب هو كتابتي، ووحدي أبقى المسئول عمّا جاء فيه، إن كانت في هذا الكتاب إضافات جوهرية لموضوعه فإنها تعود إلى كلام الأستاذ. أما أوجه النقص والعيوب - إن وجدت - فتعود لكتابتي وحدها والمسئول عنها هي محاولة اجتهادي المشروعة. إن بلوغ تمام الكمال في الأعمال يبقى الله وحده سبحانه وتعالى.

الأستاذ هو سيد الأرشيف وأشهد أنه لم يحضر معه أرشيفه، ولم يعد إليه خلال جلسات الحوار التى طالت. فى كل جلسة كان يضع أمامه ورقة صغيرة يحضر فيها ما سيتكلم فيه، والورقة كانت صغيرة جداً، لدرجة أنه كان من الصعب رؤيتها، فضلاً عن أن خط الأستاذ من أدق وأصغر الخطوط التى رآها الإنسان فى حياته.

المحاورة الأولى

فصل في الاشتقاق

.. من الصعب القول إن عبد الناصر، منذ بداياته الأولى، كان منتج ثقافة، ولكنه كان متفاعلا صادقا مع رموز الثقافة ودلالاتها، كان متلقيا جيدا للرموز ومتفاعلا معها.

كان لابد من تعريفات محددة، قبل الدخول إلى رواق هذا الكتاب، وكان التعريف الأول الذى لا مفر منه: من هو المثقف؟

قلت للأستاذ محمد حسنين هيكل ونحن على مشارف البدايات:

- لنعرف المثقف أولاً؟!

قال هيكل:

.. فعلاً، لابد أن نتفق أولاً على من هو المثقف. هناك أولاً المثقف المعطي، وهناك ثانياً: المثقف المتلقي. وهناك ثالثاً: المثقف الذى يمكن القول - تقريباً - إنه متفرغ تماماً لأن يكون مثقفاً. وهذه القضية قد نتكلم فيها فيما بعد.

المثقف هو الإنسان الذى يستطيع أن يكوِّن لنفسه رؤية وموقف من الإنسان بالدرجة الأولى، ومن المجتمع بالدرجة الثانية، ومن الطبيعة والكون بالدرجة الثالثة. وأنه يستطيع أن يعبر عن هذه الرؤية وهذا الموقف برموز الكلمات والألوان والأصوات؛ إذن المثقف إنسان يستطيع أن يعطى هذه الرموز التى تتضمن رؤيته وموقفه الذى يعبر عن هذه الرؤية.

لكن هناك مثقفاً آخر: وهو الإنسان القادر على تلقى هذه الرموز وفهمها ويستطيع أن يجيد استقبالها.

- وبحثا عن مكان جمال عبدالناصر - بدون أية ألقاب - من هذا التعريف

وقبل السؤال، أقول أن ما أعرفه من خارج المشهد أن عبد الناصر حاول أن يكتب رواية، وأن هناك قائمة استعاراته من مكتبه الكلية الحربية، وأن ثمة مقالات نشرها عندما كان طالبًا. وهي كلها اهتمامات ثقافية مبكرة. ؟

. . **هيكل:** ما كان عند عبدالناصر - مع سنوات بداياته الأولى - هو اهتمامات ثقافية، لكنه كان متلقياً جيداً للرموز، ومتفاعلاً معها، ثم إنه حاول بعد ذلك أن يصبح منتجا لرموز وقيم ودلالات ثقافية. لقد حاول أن يكتب رواية لم يكملها، هي «فى سبيل الحرية». وقبلها كتب مقالا عن فولتير رجل الحرية.

- وعن نشأة تعبير المثقف تاريخياً؟!

. . **هيكل:** لابد من الإدراك أن وصف أو تعبير المثقف ستجد أنه ليس من التعبيرات أو الأوصاف القديمة المعمرة جداً. وقد نشأ هذا التعبير - تحديداً - مع ظروف الثورة الفرنسية، وليس قبلها. أى أننا نتكلم عن ظروف عصر التنوير، حيث كان هناك من يتكلمون سواء فى مجالات الدين أو السياسة أو الفن أو الطبيعة أو الرسم.

يتحدثون عن تعبيرات وطرق فنية ورؤى فكرية. هذا كله لم يظهر - تقريباً - إلا فى ظل عصور التنوير، ولم يتجل سوى فى أزمنة النهضة، ولم يظهر الإنسان المتفرغ بوصفه مثقفاً إلا فى ظل ظروف ما قبل الثورة الفرنسية، وهم الناس الذين كانوا يتكلمون عن تغيير المجتمع تحديداً.

لقد ارتبطت فكرة المثقف - بشكل أو بآخر - بعملية تغيير المجتمع؛ لأن هناك إنسان عنده رؤية وتصور، وهناك مجتمع عنده الاستعداد لتلقى هذه الرؤية وذلك التصور.

أتكلم الآن - بصفة عامة - عن المثقف باعتباره صاحب دور فاعل فى المجتمع، وهذا الدور متميز عما عداه، وهذا الدور يعود إلى ما قبل ظهور تعبير المثقف، حتى عندما نتكلم عن الأنبياء فى العصور التى ظهروا فيها، نكتشف أنهم لعبوا دور المثقف فى العصور الحديثة.

ذلك أن الأنبياء - مع مالهم من قداسة - قد لعبوا فى مجتمعاتهم دور المثقف، وذلك من حيث إن عندهم رسالة ورؤية: رسالة يحاولون توصيلها للناس، ورؤية يحاولون تحقيقها.

- أليس هذا هو دور المثقف فى العصر الحديث من حيث الكلام عن الرؤية؟!

.. **هيكل:** فعلاً وإن عدنا إلى الوراء سنجد أن فلاسفة الحضارة الإغريقية قد قاموا بدور المثقف الذى تحقق بعد ذلك، دور الإنسان الذى لا عمل له سوى أن يرى صوراً معينة، ويرى رؤية محددة، ويدعو إلى تغيير الإنسان والمجتمع والكون فى عصره وفى زمانه.

هذا الدور - بالتحديد - أصبح وظيفة مهمة بعد الوصول إلى عصر التنوير، وقيام العلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة والكون، وتحدد هذا أكثر مع الثورة الفرنسية وارتبط بمثقفى هذه الثورة.

- ولكن أفلاطون أبدع - من قبل - المدينة الفاضلة؟!.

.. **هيكل:** لكنها كانت فى معرض الحلم، ولم تكتف برد الفعل فقط، كانت أبعد منه. وهذا هو الفرق بين الفيلسوف والمثقف، الفيلسوف تكون عنده دعوة والمثقف يكون عنده تحريض. ثم إن الرجل الذى من الممكن له أن يغير الواقع، يصبح متلقياً لهذا - بشكل أو بآخر - وهذا هو القائد أو الزعيم الثورى. هنا نجد صانع الموقف أو صاحب الرؤية، وهناك - نجد أيضاً - متلقى الرمز الذى يتلقاه والذى يفهمه.

***

أفتح قوسا هنا، وأعود إلى هيكل ١٩٦١، فى كتابه المهم، والذى لم يعد طباعته بعد طبعته الأولى الصادرة فى نفس السنة، عن الشركة العربية المتحدة للتوزيع، ٣ شارع علوى بالقاهرة.

وعنوان الكتاب: نظرة إلى مشكلاتنا الداخلية. على ضوء ما يسمونه: وهذه العبارة كلها: عنوان فرعى ـ بلغة أهل الصحافة ـ والعنوان الرئيسى والجوهري المكتوب بالبنط العريض وبالخط العربى الجميل، الذى لم يعد له وجود على أغلفة كتبنا، هو: أزمة المثقفين.

وفى المقدمة يحرص هيكل على القول إن موضوع الكتاب ليس أزمة المثقفين، ولكن هذه الأزمة وتجلياتها أثناء احتدام المناقشة ـ ما بين مايو ويوليو من سنة ١٩٦١، لم تكن إلا باباً إليها ومدخلاً لها، ولكن الموضوع(١): هو مشكلاتنا الداخلية فى الحاضر، وجذورها الضاربة فى أعماق الماضى، ثم تطلعنا إلى المثل الأعلى فى المستقبل، وإمكانيات الاندفاع الثورى فى اتجاهه طلباً له وإصراراً على تحقيقه.

وفى الفصل الأول، والذى عنوانه(٢) هل هناك أزمة ومتى بدأت وكيف؟

يكتب هيكل: (٣)إن الذى أقصده بكلمة المثقفين هم هؤلاء الذين واتتهم الفرصة ليتعلموا وليتولوا القيادة الفكرية فى شتى المجالات.

وفى نفس الفصل يقول(٤):

ـ لقد أدت ظروف كثيرة تعرض لها غيرى بالتفصيل، فيما نشر أخيراً من أبحاث عن أزمة المثقفين، إلى أن أصبح عدد كبير من المثقفين فى مصر ـ فى واقع حالهم ـ يكوِّنون طبقة لها مصالحها المتميزة عن مصالح الجماهير، ولها ارتباطاتها الوثيقة مع الطبقة الحاكمة ضماناً لهذه المصالح المتميزة عن مصالح الجماهير.

---

(١) ص ٧ من كتاب أزمة المثقفين لمحمد حسنين هيكل، القاهرة: ١٩٦١.
(٢) ص ٩ من نفس الكتاب.
(٣) ص ١٣ من نفس الكتاب.
(٤) ص ١٦ من نفس الكتاب.

كان الوصول إلى المراحل المتقدمة فى العلم، فى الغالب الأعم، حكراً للقادرين، للذين واتتهم الفرصة بحكم المولد أو بحكم الصدفة.

الذين واتتهم الفرصة بحكم المولد، كان ولاؤهم لطبقتهم الممتازة.

والذين واتتهم الفرصة بحكم الصدفة، كان تطلعهم أيضاً إلى هذه الطبقة الممتازة، باعتبارها المالكة لمقدرات الأمور، القادرة على فتح الأبواب المغلقة.

انتهى كلام الأستاذ هيكل فى تعريف المثقف سواء الذى قاله لى مؤخراً، أو ذلك الذى كتبه فى سنة ١٩٦١ فى إطار مناقشة أزمة المثقفين.

الكتاب الثاني

الطريق إلى الثورة

المحاورة الثانية

عبد الناصر لأول مرة

.. في بداية البدايات.

.. إما أنه مثقف

.. أو أن عنده الاستعداد لأن يكون مثقفاً.

*** متى رأى هيكل عبدالناصر لأول مرة؟ وأين؟ إن ذلك يساعدنا على العودة إلى البدايات الأولى؟!**

. . **هيكل:** لقد رأيته قبل الثورة أكثر من مرة بصورة عابرة . أول مرة كانت فى عراق المنشية ، فى الفالوجا ، فى فلسطين ، بالتحديد فى قسم بوليس عراق المنشية وفى البدروم ، كان هذا بالتحديد فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٨ ، وكان معى مصطفى كمال صدقى ، كنت عائداً من عند قوات البطل أحمد عبد العزيز ، وفى طريقى إلى المجدل ، توقفت فى منطقة عراق المنشية . ولأنه كانت هناك معركة تجرى فى وقت مرورى ؛ توقفت وسألت : من الذى يقود هذه المعركة؟ وخاصة أنهم كانوا يتكلمون عن معركة مجيدة مع العدو الإسرائيلى قادها ضابط شاب . قالوا لى إن الذى قادها هو الصاغ جمال عبد الناصر . كان معى المصور الزميل الأستاذ محمد يوسف ، وكنا فى سيارة جيب تقطع القطاع الأوسط من شمال النقب وبيت جبريل إلى المجدل . سألت عن مكان الصاغ جمال عبد الناصر ، قالوا إنه فى القيادة فى عراق المنشية . ذهبنا إلى هناك .

كان المكان عبارة عن قسم بوليس من أقسام بوليس الفلسطينيين القديمة التى أقامها الإنجليز . وجمال عبدالناصر كان قد نزل أسفل فى البدروم ، وفرش بطانية ، ولف بطانية أخرى على شكل مخدة ، من أجل أن ينام ويضع رأسه عليها .

دخلت عليه للكلام معه. كان ناقداً للصحافة بصورة شديدة. من زاوية تناولها لأخبار وتطورات الحرب، كنا من وجهة نظره نبالغ ونكتب كلاما غير مضبوط، سألته: هل قرأت ما أكتبه عن الحرب؟! قال لي: لا. ثم أكمل: أنا لا أقصدك أنت، كلامى بصفة عامة، ونحن نعرف الأمور من الجرائد، وماينشر فيها لا يصلح ولا يصح.

جلسنا نصف ساعة، لم تكن سعيدة أبداً. ثم أكملت طريقى إلى المجدل.

-وعن لقاء هيكل الثاني مع عبد الناصر يقول:

.. **هيكل:** جاء إلىّ مع زكريا محيى الدين. كان زكريا محيى الدين يريد أن يطلعنى على مسألة تتعلق بما تقوم به إسرائيل، أمَّا جمال عبد الناصر فقد جاء يطلب منى نسخة من كتابى «إيران فوق بركان» لأن ثمنه كان غالياً بالنسبة له.

-كم كان سعر الكتاب؟!

.. **هيكل:** كان عشرة قروش. وقد قدمت له الكتاب فعلاً. هنا ترى رجلاً يريد أن يقرأ، وإن كنت لا تعرف إن كان مثقفاً أم لا.

-وهل كانت العشرة قروش مبلغا كبيرا بالنسبة لضابط في القوات المسلحة؟!

.. **هيكل:** كانت العشرة قروش مبلغاً كبيراً. فى هذا الوقت حتى لو كان ذلك بالنسبة لضابط في القوات المسلحة. ربما كان مرتبه أربعين جنيهاً، وعشرة قروش من أجل كتاب، قد تكون مبلغاً كبيراً فعلاً. عندما تحاول أن تفكر بقيمة النقود - فى ذلك الوقت - فإن عشرة قروش سنة ١٩٤٩ تساوى على أقل تقدير ١٢ أو ١٥ جنيهاً اليوم.

المهم أن هذا هو ما جرى فعلاً.

- يقول الأستاذ عن اللقاء الثالث.

. . **هيكل:** كان هذا اللقاء يوم ١٨ يوليو، قبل قيام الثورة بأيام. وقد ناقشني في هذه المرة: هل يمكن أن يتدخل الإنجليز أم لا في حالة قيام الثورة؟ لم يقل لي كلمة الثورة. قال لي بدقة إن عمل الجيش أي شيء، دون أن يحدد هذا الشيء. كنا في بيت محمد نجيب، في الوقت الذي كانت فيه أزمة نادي الضباط مشتعلة. وجاء جمال عبد الناصر، وجاء معه عبد الحكيم عامر. جاء جمال عبدالناصر يسأل: ماذا يمكن عمله في أزمة نادي الضباط؟!

أخذ جمال عبدالناصر محمد نجيب إلى ركن بعيد عنا، وتكلم معه. ثم خرج مع عبد الحكيم عامر، وخرجت بعدهما، وعندما شاهدتهما يقفان على محطة الأتوبيس القريبة من بيت محمد نجيب. لأن سيارة عبدالناصر الأوستين الشهيرة كانت معطلة. أوصلتهما إلى باب الحديد، محطة السكة الحديد.

في الطريق أكمل كلامه معي، لأنني عندما كنا في بيت محمد نجيب، كنت قد قلت إن الجيش عجز في فلسطين عن أن يدافع عن كرامة البلد، واليوم فإن كرامة الجيش نفسه مطروحة، ولكن في الميزان.

سألني: ماذا تريد من الجيش أن يفعل؟! هل يكرر ما جرى في زمن عرابي؟ ويتدخل الإنجليز في مصر ويحكمونها؟ قلت له: لا. لأن الإنجليز لن يتدخلوا، فسألني باهتمام شديد: ولماذا لا يتدخلون؟!

بدأت أتكلم وأشرح لماذا لا يتدخل الإنجليز وبدأ الكلام - كلامي - يرن في أذنيه. وبدأ يسمعني ويسألني.

لكن - في هذا كله - كان هناك صحفي يتكلم، وعنده - عند جمال عبدالناصر بالطبع - الفضول لكي يسأل ويناقش. هل لا يدل كل هذا على شيء؟.

لقد شعرت أنني هنا أمام إنسان عنده شيء مختلف عن الآخرين.

ثم قامت الثورة مساء وفي آخر ليل يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ليلاً، وفجر وصباح الأربعاء ٢٣ يوليو.

يوم الجمعة ٢٥ يوليو، السابق على يوم السبت ٢٦ يوليو، وجمال عبدالناصر يتكلم فى موضوع الملك فاروق. كان الموضوع مطروحاً بقوة، ماذا يمكن أن يتم مع الملك؟! كانت هناك مناقشات جارية، وكان هناك معسكران منقسمان فى مجلس قيادة الثورة. كان ذلك فى منشية البكري وليس فى مبنى مجلس قيادة الثورة الذى فى الجزيرة، وكان اسمه وقتها القيادة.

أمامى، كان هناك اثنان يتكلمان: جمال عبدالناصر يتكلم من ناحية، وجمال سالم العائد فى ذلك الوقت من العريش، أو ربما كان عائداً من خارج القاهرة، لكى أكون دقيقًا، كان جمال سالم يتكلم من الناحية الأخرى.

فى هذا الوقت كان زكريا محيى الدين يقود القوات من القاهرة إلى الإسكندرية، لكى يوجه الإنذار المعروف - بعد ذلك - إلى الملك فاروق، وسيطلب تنازله عن العرش.

كان السؤال هو: ماذا سنفعل مع هذا الملك؟!

كانت هناك إجابتان على هذا: هل نحاكم الملك فاروق، أم نخرجه من البلاد؟!

جمال سالم كان يقول: لابد من محاكمة الملك، ثم إعدامه، وجمال عبدالناصر كان يقول: إن كنا سنعدمه. لماذا نحاكمه؟ وإن قررنا محاكمته فما الداعى لإعلان إعدامه قبل المحاكمة؟ وكان رأى جمال عبد الناصر، أن أحسن تصرف أن نتركه يخرج من البلاد.

كان هذا هو الموقف الذى لفت نظرى فى شخصية عبدالناصر منذ البداية، بالتحديد الموقف الخاص بثقافته. قال عبد الناصر: إن الدماء ستأتى بالمزيد من

الدماء. ويا جماعة افتكروا قصة مدينتين لتشارلز ديكنز، إنها الرواية الشهيرة عن الثورة الفرنسية.

توقف الأستاذ وسألني: هل قرأتها؟ وقلت له نعم. واستطرد قائلاً:

.. أول ما يلفت النظر فى هذا الاستشهاد، هو أول ما لفت نظرى فى جمال عبد الناصر. أول ما يمكن قوله عن شخص مثقف. أنه يفهم لغة الرموز بالكلمة أو لغة الرموز بالصوت، أو لغة الرموز باللون. كان أول تعبير استوقفنى فى كل ما قاله، باعتباره من الأمور الغريبة جداً. كان هذا فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢، وكان الوقت بعد الظهر ولاأظن أننى بمفردى الذى استلفت نظرى هذا الأمر. يخيل إلىَّ أن سليمان حافظ الذى جاء من الإسكندرية لساعة واحدة، توقف أمام هذا التعبير مثلما توقف غيره. كان ذلك عندما قال جمال عبدالناصر «يا جماعة اقرءوا قصة مدينتين. الدم سيأتى بمزيد من الدماء».

شعرت أننى أمام إنسان قرأ رواية، وتقبل التعبير الذى تقدمه، ووصل إليه الرمز الذى فيها وفهمه، وبقى موجوداً فى وعيه، وعبر عنه فى لحظة معينة. هذا أول ما لفت نظري.

ثم لفت نظرى بعد ذلك الصورة المشهورة لهذا الرجل، والتى توشك أن تكون جزءاً من صورته الذهنية له عند الناس الذين عاصروه، أنه يبدو جالساً ويستمع فى حاله إنصات وتأمل. من يستطيع أن ينسى هذه الصورة بالذات؟

إن أهم شىء فى المثقف - من وجهة نظرى - إنه هو الذي يستطيع أن تكون عنده القدرة على الإنصات. الخطيب قد تكون عنده القدرة على الكلام طوال الوقت، وكذلك الإنسان المجادل، لكن الرجل الذى يريد الاستماع والإنصات، لابد أن يلفت النظر فى الأيام الأولى من الثورة. كان عبدالناصر يستمع فقط.

قبل هذا كان هناك موقف معين ـ على سبيل المثال ـ ودعك من كل التفاصيل التى جرت ليلة الثورة. لقد كنت هناك منذ الفجر، ولكننا هنا لا نؤرخ لهذه الثورة.

حدثت فى هذه الليلة مسألة مهمة جداً: فريد زعلوك كان وزير الدولة مع نجيب الهلالي، وكنت أعتبر نفسى مع محمود محفوظ الذى أصبح وزيراً للصحة فيما بعد، من تلاميذ نجيب الهلالى باشا، وكنا نجلس معه دائماً يوم الجمعة من كل أسبوع وهو الذى علمنا تدخين السيجار. عموماً دعك من كل هذا لأنه بعيد عن حكايتنا.

من الأشياء الملفتة للنظر أنه فى وقت الفجر اتصلت بأخبار اليوم لكى أرى ماذا سنفعل فى أخبار اليوم. كلمت حسين فريد سكرتير تحرير أخبار اليوم الذى قال لى إن على أمين ومصطفى أمين سألا عنى من فندق سيسيل فى الإسكندرية، حوالى عشر مرات.

سألت حسين فريد: وماذا قالا لك؟ وهل سننشر شيئاً عن هذا الذى يجرى؟ أم أننا لن ننشر؟ وإذا بعامل التليفون وكان اسمه حامد، يدخل على الخط ويقول لي: مصطفى بيه على الخط. ومصطفى أمين سألني: أنت فين؟! وكنت قبل ذلك معه ومع على أمين فى الإسكندرية؛ لأنه كان هناك تعديل وزارى. سألنى مصطفى أمين: ألا تعرف ما جري؟ قلت له ما مؤداه تقريباً: إننى قريب مما يجرى، لا تقلق، لكن المهم الآن أن نعرف ماذا سنفعل فى الجريدة إزاء هذا الذى يجري. واتفقنا ـ بعد مشاورات ـ أننا لن ننشر شيئاً فى الغد.

ـ وهل كان الوقت. يسمح بالنشر. وخاصة أن الكلام كان وقت الفجر. والطبعة الأولى من الجريدة تصدر فى مساء اليوم السابق؟!

.. **هيكل**: كان يمكننا أن نكتب شيئاً فى طبعة القاهرة، التى هى الطبعة

الثالثة من الجريدة، كان هذا متاحاً وكان ممكناً؛ لأن الوقت كان فى الرابعة والنصف، ولو كان المطلوب مجرد نشر خبر لكان ذلك ممكناً فى هذه الحدود، وكانت جريدة الأخبار جديدة، وكانت قد صدرت منذ شهر ونصف الشهر فقط.

ولكن لأنه لم يكن أحد يعرف تطورات الموقف القادمة بكل دقة؛ فقد جرى الاتفاق فيما بيننا على عدم الكتابة والنشر. المهم طلب منى مصطفى أمين الرقم الذى كنت أتكلم منه. سألت الضابط الذى كان يقف بجوارى عن الرقم، وكان هذا الضابط هو سعد توفيق - يرحمه الله - وقال لى إن الرقم - ومازلت أحفظه وأذكره حتى الآن - هو ٥٥٤٥٥ الذى كان رقم تليفون مكتب رئيس أركان حرب الجيش.

فى هذه اللحظة دخل علينا عبد الحكيم عامر. وكانت الأعصاب مشدودة، ووصلت الشدة إلى الذروة، وضعت يدى على السماعة. وقلت لعبد الحكيم إننى أكلم مصطفى أمين فى الإسكندرية. وفى هذه اللحظة جاء جمال عبدالناصر، قلت له: دا مصطفى أمين، بيطلب النمرة التى يمكن أن يعرف منها مكان وجودى بالضبط.

عبد الحكيم عامر رفض وهاج، وكان يرفض إعطاء النمرة لمصطفى أمين. ولكن جمال عبد الناصر، وبهدوء شديد قال لي: أعطه النمرة، وأضاف: على أقل تقدير نعرف كيف يفكرون فى الإسكندرية الآن.

وهذا المشهد، وذلك التصرف يشعرك أنك أمام إنسان يعمل عقلة بهدوء، ويفكر فيما يجرى فى مكان بعيد عنا؛ لأن فيه الطرف الآخر من القضية، والوجه الآخر من الصورة، ومن المعادلة كلها فى ذلك الوقت.

مصطفى أمين، بعد قليل من الوقت، أبلغ الرقم الذى كنت موجوداً فيه وأعطيته له. أبلغه لأحد فى مجلس الوزراء. ولا أعرف - حتى الآن -

كيف تحركت النمرة من مصطفى أمين حتى وصلت إلى فريد زعلوك، الذى طلبنى ليقول لي إن نجيب الهلالى باشا معه، ويسأل: ماذا يريد هؤلاء الضباط بالتحديد؟!

نجيب باشا كان يقول فى ذلك الوقت إن المسائل يمكن أن تمشى بالطريقة الشرعية، لكن ما هى الحكاية؟! أرد عليه. يسأل عن محمد نجيب: أين هو الآن؟ لكن كل هذه التفاصيل قد تبعدنا عن القضية الجوهرية التى نحن بصددها الآن.

أقول للأستاذ إنها تخلق الجو العام الذى تحركت فيه الأحداث؟!.

..**هيكل:** لا. إنها ليست لها علاقة بموضوعنا الذى نحن بصدده الآن، إن ما نبحث عنه مغزى ودلالة مواقف جمال عبدالناصر فى هذه الليلة، إننا يمكن أن نضيع وقتاً وجهداً فى مغامرة ليلة الثورة. هدفى هو الكلام فيما يهم ثقافياً، ونحن نصل الآن إلى موقف معين.

نجيب الهلالى باشا كان قد نزل بتفويض من الملك فاروق، أبلغه له مرتضى المراغى باشا - آخر وزير داخلية قبل الثورة - أن يحل موضوع الضباط «الولاد المجانين دول» هكذا كان يتم وصفهم.

فى نفس الوقت نزل محمد نجيب من بيته، وأنا معه، كان البيت فى الزيتون. هو فى سيارة أرسلوها له، وأنا وراءه فى سيارتى، على أساس أن يذهب إلى هناك، إلى مقر القيادة «ويلم الأولاد دول ويروحهم بيوتهم، قبل أن تتطربق الدنيا الصبح والإنجليز يتدخلون فى الأمر».

محمد نجيب نزل من بيته وهو يقول لى، فى لحظة نادرة من لحظات الصدق الإنسانى «إن كانت الأولاد أحوالهم كويسة؛ نرى ماذا سيفعلون؟» هو نزل عنده تفويض من الملك لكى يخلص الموضوع. وعنده - فى نفس

الوقت ـ دعوة من مجلس قيادة الثورة لكى يرأس ما يجرى ويقوده. نزل وهو يعرف الموقف من الناحيتين ويستطيع الذهاب فى أى اتجاه يشاء.

وصل إلى الضباط، ووجد أن الصورة مطمئنة، استولى الضباط على القاهرة كلها، والقيادات جميعا تؤيدهم. هذه ـ على الأقل ـ الصورة التى رآها أمامه. ما كان انقلاباً ـ فى تلك الليلة ـ كان قد نجح بكل المعايير.

ـ وعما جرى في ذلك الصباح البعيد يكمل الأستاذ روايته:

. . **هيكل:** حوالى الساعة السادسة. نجيب باشا الهلالي. مفاجأ بما جري. يعود يسألني: أين محمد نجيب؟ قلت له: يظهر إن محمد نجيب معهم. ويعود بعد قليل للكلام، ويقول: من أجل أن نتجنب المواجهات ماذا يريدون بالتحديد؟! إن كانوا يريدون عمل أشياء فى الجيش، فإن الوزارة مستعدة أن تستصدر مرسوماً من الملك يعين فيه محمد نجيب قائداً عاماً للقوات المسلحة، ويجرى ما يشاءون ـ بصورة شرعية ـ من تطهير للجيش، ويتم هذا فى إطار من الشرعية وبعيداً عن أى فرقعة.

محمد نجيب كان ميالاً إلى قبول هذا الحل، ونظر إلى جمال عبد الناصر، وقال له: «ياجمال بيه إيه رأيك يا جمال بيه؟؟».

فإذا بجمال عبدالناصر ـ وكانت هذه أول ظاهرة لفتت نظرى قبل حكاية قصة مدينتين التى وقعت بعد ذلك ـ قال جمال عبد الناصر: لأ. هنا الفرقعة مقصودة فى حد ذاتها.

أنت أمام ضابط، يتكلم عن أن التغييرات الكبرى تحتاج إلى ما يمكن أن يكون صفارة إنذار. تحتاج إلى إعلان تغيير. وقالها جمال عبدالناصر صراحة؛ لأن هذه الفرقعة تصبح توضيحاً أمام كل الدنيا، تعلن أن مركز السلطة قد تغير، انتقل، وهذا هو المطلوب إيضاحه أمام الناس.

لقد كان محمد نجيب يميل فعلا إلى اتجاه لقبول عرض الهلالى، ربما كان هناك من يخاف من المناورة، وآخر يخشى من القبض عليه بعد ذلك، لكن أن تجد فى وسط هؤلاء من يقول لك إن الفرقعة مطلوبة فى حد ذاتها. إذن أنت أمام إنسان يفهم ماذا يمكن أن تقول الرموز.

بعدها بيومين أو ثلاثة، كان هناك موقف قصة مدينتين. ثم خرج الملك فاروق، بالطريقة التى خرج بها، مودعاً الناس، نظرت إلى ذلك باعتباره مظهراً سياسياً، وأنا أقول إنه لم يكن مظهراً سياسياً. واقع الأمر أنه تعبير ثقافى وحضارى، لأنه يريد أن يطوى صفحة وينظر إلى ما هو آت. وهذا فى حد ذاته موقف ثقافي.

من الأمور التى لفتت نظرى - بعد مرور عدد من الأيام وبدأ تساقط الشخصيات القديمة، مثل سقوط أوراق الشجر فى فصل الخريف - لأنه من أسباب قيام هؤلاء الشباب بما قاموا به أن يلعبوا دوراً مباشراً فى العمل السياسي. فنجد أن جمال عبدالناصر يستشهد ببيت من الشعر.

- مازال الأستاذ يذكر هذا البيت رغم مرور السنوات؟

.. هيكل: أنا مازلت أتذكر هذا البيت، بل وأحفظه حتى الآن، ولست قادراً على نسيانه. وكان عبدالناصر يردده كثيراً بعد ذلك، وأنا لم أسمعه من أحد سواه.

يقول هذا البيت من الشعر:

خلت الرقاع من الرخاخ

وفرذنت فيها البيادق

- ويتذكر الأستاذ أيضا أنه سأل عبد الناصر من أين حفظ هذا البيت من الشعر؟!

. . **هيكل:** أذكر مرة أننى سألته عن أصل هذا البيت من الشعر قال لي : والله ما أعرف، حفظته فقط . ولكنه لا يعرف من أين حفظه . وحتى الآن لا أعرف لمن هذا البيت من الشعراء، ولا أعرف من الذى قاله . لكن هذا البيت من الشعر كان يقوله دائماً، لكى يعبر عن أن رقعة الشطرنج لم يعد فيها ملك ولا وزير والعساكر فرقعت .

دعنا نكمل التعبيرات والدلالات والرموز الأدبية عنده . بعد ذلك بحوالى عشرة أو خمسة عشر يوماً، وهو يستمع إلى الخلط الذى كان يمارسه السياسيون فى ذلك الوقت .

قال :

- يظهر أن حكاية النحل ياهوه دى صحيحة .

ما هى حكاية النحل ياهوه؟ ولاحظ أن هذا كله جرى فى الأول . فى البدايات الأولى، قال إنه ذات مرة كان ذاهباً لمقابلة صديق له، فوجد أن هذا الصديق يستعد للذهاب للاستماع إلى محاضرة عن النحل فى جمعية فؤاد الأول للحشرات . ومن أجل صديقه ذهب معه إلى هذه المحاضرة، واستمع إليها، لكنه عند خروجه هو وصديقه من المحاضرة لفت نظره أن واحداً من الذين استمعوا إلى المحاضرة كان يغنى . . «النحل . . النحل ياهوه» فقال إن ذلك هو ما خرج به الرجل من المحاضرة بكل ما فيها .

هنا يمكن رؤية إنسان يستخلص صوره الفنية من مشاهد يراها أمامه، وتعال نحاول إعادة خلق المشهد كله كما جرى فى ذلك الزمان البعيد . أمامك محاضر يتكلم عن حياة النحل وأنواع النحل، وطوائف النحل، واقتصاديات النحل . ومستمع لم يخرج من كل هذا سوى بغنوة «النحل . . النحل . . النحل ياهوه» .

أنا الآن أتكلم عن الشواهد الأولى التى تجعلك تدرك أنك أمام إنسان، إما أنه مثقف، أو أن عنده الاستعداد لأن يكون مثقفاً، تجده وأنت تتكلم معه ذات مرة، يحكى لك أنه كتب رواية، تفاجأ بهذا الاكتشاف الذى لم يكن يعرفه أحد. وهى رواية فى سبيل الحرية.

ـ ولكنه لم يكتب منها حوالى عشر صفحات فقط؟!

. . **هيكل:** فعلاً. وعملتها موضوع مسابقة فى آخر ساعة، مسابقة للأدباء وذلك لإكمال هذه الرواية، لكن يلفت النظر فى ذلك شىء، أمر غريب، أنه كان متأثراً فى كتابتها برواية: قصة مدينتين. كان يتكلم فى الرواية عن معركة رشيد، وعن شخصية ركز عليها كثيراً، هو بطل الرواية، وهو مثل بطل رواية: قصة مدينتين. الذى كان غامضاً فى زمن الثورة الفرنسية، ويظهر فى مواقف حاسمة، ينقذ بعض الناس، وينقلهم إلى أماكن أخرى. وهو شخص موجود فى رشيد، ويقوم بدور فى مواجهة الإنجليز، وينقذ أسرى مصريين.

جمال عبد الناصر. لم يكمل هذه الرواية، لكن بقى مع ذلك. ما يلفت النظر فى الأمر:

أولاً: أنه يستطيع أن يستخدم الأدب فى تصوير مواقف مثل استخدامه لمواقف رواية قصة مدينتين.

ثانياً: يجد فى بيت من الشعر وصفًا لصورة معينة.

ثالثاً: كذلك التعبير عن قضية ما، مستخدما قراءات أدبية سابقة له، سواء بالسخرية أو المأساوية، ولكن مجرد الاستعانة بالتعبير الأدبى، مسألة ملفتة للنظر، ولابد من أخذها فى الاعتبار.

رابعاً: أنه يحاول أن يكتب رواية.

خامساً: كلامه عن المشروعات التى استخدمت فيها أموال أسرة محمد

علي، المصادرة، ومشروعات مجلس الخدمات. وعندما أحضرت محمد فؤاد جلال من أجل إنشاء هذا المجلس تجد جمال عبدالناصر يقول:

ـ من الأشياء التى لابد أن تعملوها. نفسى فى دار كتب جديدة، ويقول بتحديد أكثر: أنا كنت أذهب إلى دار الكتب القديمة فى باب الخلق، وكنت أحلم أن تكون هناك دار كتب على النيل.

ـ متى كان هذا الحلم؟!

. . **هيكل:** سنة ١٩٥٢، بتحديد أكثر كان في أواخر سنة ١٩٥٢، أي بعد شهور قليلة من قيام الثورة.

ـ لم ينفذ المشروع إلا فى أواخر الستينيات لدرجة أن خصوم يوليو قالوا إن تنفيذ المشروع في ذلك الوقت، كان الهدف منه محاولة رفع الروح المعنوية للمصريين بعد هزيمة الخامس من يونيو ٦٧.

. . **هيكل:** ومع هذا فإن المشروع بدأ قبل ذلك بكثير، لكن عند الكلام ـ فى أواخر ١٩٥٢ ـ مع محمد فؤاد جلال. وخلال الحديث عن المدارس والمراكز الصحية والوحدات المجمعة للخدمات فى الريف المصرى، يفاجئك جمال عبدالناصر بعدة أمور:

١ ـ إنه ذهب إلى دار الكتب القديمة فى باب الخلق كثيراً.

٢ ـ إنه استعار كتباً كثيرة جداً، وكان من المترددين على الدار، أى أنه لم يذهب مرة واحدة ـ ربما كانت صدفة ـ ثم يذهب فى حال سبيله.

٣ ـ إنه قرأ في هذه الدار كتباً كثيرة.

٤ ـ أصبح لديه حلم وجود دار كتب مختلفة عن الدار القديمة.

٥ ـ أن تطل على نهر النيل. وهنا أيضاً رمز من الرموز، رمز مصر. وهذا الرمز الحلم يظل متذكراً له، ويقوله لمن ينفذون فى أرض الواقع، وينفذونه فعلاً بعد ذلك.

كانت عنده ـ بشكل أو بآخر ـ الرؤية الروائية للأمور والأشياء والوقائع ـ على سبيل المثال ـ حكى لى حكاية ـ وكانت شديدة الغرابة، وكان هو نفسه مستغرباً لها كثيراً جداً.

والحكاية تبدأ عندما دخل جمال عبدالناصر ذات مرة مكاتب جريدة المصري. كان ذاهباً لمقابلة أحمد أبو الفتح، ولكن يبدو أن أحمد أبو الفتح كان مشغولاً، أو أن جمال عبدالناصر ذهب قبل الموعد ـ كان ذلك قبل الثورة ـ أدخلوا جمال عبدالناصر إلى مكتب ينتظر فيه، وكان يجلس فيه إنسان اكتشف عبدالناصر فيما بعد أنه كان عبد الرحمن الخميسي.

جلس جمال عبد الناصر. وكان عبد الرحمن الخميسى يصلح بروفة رواية، أو قصة كان قد انتهى من كتابتها. وكانت فيها عبارة يقول فيها: «هذه ليست ساقى ولكنها ساق رجل آخر» وكان كلما حاول عبدالناصر أن يتكلم معه، ردد الخميسى نفس العبارة. وقد كرر الخميسى العبارة أربع مرات فى هذا اللقاء الذى صنعته الصدفة.

ولذلك كلما تكلمت مع جمال عبدالناصر عن أديب، يعيد عليك العبارة التى كان قد حفظها من ترديد الخميسى لها. وأنا بدورى حفظتها من ترديد جمال عبدالناصر لها بعد ذلك. وهذا التعبير لم يكن من التعبيرات الدالة على الأدباء كلهم، ولكنه أعطاه ـ عبدالناصر ـ صورة معينة عن الأدباء.

ـ تكلمنا عن فهمه للرموز والدلالات فى الأدب والفن، ولكن ماذا عن فهمه للمواقف الإنسانية الدقيقة والصعبة، وربما المعقدة. وفهمه للإنسان نفسه؟!

. . **هيكل:** هناك واقعة تجيب عن سؤالك هذا دون أى تدخل مني. كان هناك قرار بتحديد إقامة مصطفى النحاس باشا، وذلك تحت تأثير اشتداد الصراع مع الإنجليز في الشهور السابقة على تأميم قناة السويس، لأن الحكومة

البريطانية كانت تحاول الاتصال به كبديل محتمل. جمال عبد الناصر قال لي إنه لا يريد أن يجر النحاس باشا بإشاعة ناتجة عن أجواء المعركة مع الإنجليز، وكان من المفروض أن يذهب أحمد أنور. قائد البوليس الحربي من أجل أن يبلغ ذلك للنحاس باشا. وأنا كنت أعرف النحاس باشا، وكنت أحبه بشكل خاص ومازلت؛ فرجوت جمال عبدالناصر أن يسمح لى بالذهاب إلى النحاس قبل أحمد أنور؛ حيث أقوم بعمل تمهيد له، حتى لا يفاجأ النحاس باشا. ووافق جمال عبدالناصر فوراً. وذلك بصرف النظر إن كنت قد وفقت فى هذه المهمة أم لا.

ـ وعما إذا كان فهمه وإدراكه للمواقف الإنسانية الصعبة قد استمر معه بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧. حكى الأستاذ هذه الحكاية؟

. . هيكل: بعد ١٩٦٧، يمكنك أن تتصور ماذا كانت ١٩٦٧ تعنى بالنسبة له؟ ومع ذلك كان يلمح الصورة ويلتقطها. أول مرة سمعته يضحك بعد ١٩٦٧، وقتها كانت الناس كلها فى حالة اكتئاب قومى عام. يومها قال لى جمال عبدالناصر أن الأدب والفن يمكن أن يكون لهما دور في هذه اللحظة. كل ما لدينا من طاقاته لابد أن تتجمع لترفع من معنويات الناس، أم كلثوم ستغنى فى كل مكان، داخل مصر وخارجها، فى الوطن العربى وحتى أوروبا، والفرق تذهب إلى كل مكان.

وفى يوم اتصل بى وهو يضحك. كانت أول مرة أسمعه يضحك فيها بعد ١٩٦٧، سعدت بهذا جداً، وسألته عن سبب هذا الضحك المفاجئ، والذى لم أكن أتوقعه قال لي: «حصلت حاجة غريبة فى دمياط. وأنا صعبان علىّ يوسف وهبى جداً».

اتضح أن فرقة يوسف وهبى ذهبت ضمن فرق كثيرة إلى الأقاليم لكى ترفه عن الناس، وتحاول إخراجها من الجو الذى أعقب الهزيمة. فرقة يوسف وهبى ذهبت إلى دمياط، لكن يوسف وهبى، بشكل أو بآخر كان يقدم ـ فى هذه

الحفلات ـ شيئاً من أعماله الفنية بنظام الريبيرتوار : أى إعادة تقديم أعمال سبق تقديمها من قبل . وفى دمياط قدم مسرحية الذبائح ، وفيها ضرب وقتل ، فإذا بواحد من أهل دمياط يقف وسط العرض من مقاعد المتفرجين ، وهذا ما عرفه جمال عبدالناصر من تقرير مرفوع إليه ضمن آلاف التقارير الأخرى ، وهى التقارير التى كان يحرص على قراءتها بنفسه .

وقف هذا المواطن الدمياطى ، وسط المتفرجين ، وقال ليوسف وهبى أثناء العرض : اللى فينا مكفينا ياسي يوسف . قل لنا حاجة من شكوكو .

جمال عبدالناصر يلتقط من وسط التقارير عبارة «اللى فينا مكفينا» ويتوقف أمام إنسان يقول ليوسف وهبى «قل لنا حاجة من شكوكو» وعبدالناصر يقرأ هذا الكلام وهو يضحك . وأيضاً يتمثل يوسف وهبي ويحاول أن يستشعر بأى الإحساسات شعر . وهذا الإنسان يقول له «قل لنا حاجة من شكوكو» .

هنا توجد الصورة الفنية . أنت إذن أمام إنسان قادر على تلقى الرموز ، حتى رموز التعبير عن موقف إنسانى صغير . وأنه ينفعل بها . ويرى مواقع الجمال ، وتصل إليه رسالة هذا الرمز .

ـ كيف كانت علاقته بعبد الجليل العمرى وعلى الجريتلى فى ذلك الوقت؟!

. . **هيكل :** الذى حدث أنه بعد عزل محمد نجيب ، ثم عودته مرة أخرى . حدثت حالة من النفور بينهما ، كان محمد نجيب يقف ويتكلم بطريقة والناس معه ، وكان جمال عبدالناصر يقف ويتكلم بطريقة أخرى والناس معه أيضاً .

على خلفيَّة من هذه الصورة يمكن الكلام عن علاقة جمال عبدالناصر بعلى الجريتلي وعبد الجليل العمري . عبدالناصر كان يحب على الجريتلى بدون حدود ، وعلى الجريتلى لم يكن مجرد رجل اقتصادى فقط ، كان أكثر من ذلك ، كان رجلاً جاداً .

وإن كانت الحقيقة والإنصاف يدفعاني إلى القول إن على الجريتلى لم يكن وحده في هذا الميدان في ذلك الوقت. كان هناك آخرون في تلك الأيام. عبدالجليل العمرى وهو رجل فني، أصله وكيل وزارة المالية، ويتكلم في الأرقام والميزانيات وما أشبه ذلك.

وكان هناك على الجريتلى وهو خريج كمبردج، وأهم من هذا أنه رجل مثقف وقارئ. وجمال عبدالناصر - كما قلت لك منذ قليل - كان معجباً جداً بعلى الجريتلي، كان يحب الكلام معه والاستماع إليه لفترات طويلة. وعلى الجريتلى كان يقول لجمال عبدالناصر في مرة من المرات: ياجمال. وفي مرة أخرى كان يقول له: يا أخ جمال.

أعود إلى خلفيات الصورة، إلى حكاية عودة محمد نجيب، والتى سببت حالة كسر للمجلس المشترك الذي كان يجمع مجلس الوزراء، ومجلس قيادة الثورة، وكان المجلسان يجتمعان معاً. وهذه كانت صيغة مقبولة جداً، لأنها كانت تقوم بعملية تطعيم بين الاثنين؛ لأن الضباط كانت معرفتهم قليلة ببعض الناس الموجودين في مجلس الوزراء. ومنهم - على سبيل المثال لا الحصر - السنهورى وسليمان حافظ والعمرى والجريتلي.

- بعد عودة محمد نجيب حدث شرخ في المجلس المشترك، يتحدث الأستاذ عن هذا الشرخ. ومن أين أتى؟

.. **هيكل:** لأن أعضاء المجلس المشترك لم يعودوا يعرفوا هم مع من؟ وضد من؟! احتاروا بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، واحد معه القوة وواحد معه الكاريزما. عبدالناصر معه القوة. ونجيب معه الكاريزما - على الأقل في ذلك الوقت المتقدم - لكن جمال عبدالناصر غضب من عبدالجليل العمري ذات يوم؛ لأنه بعد أن خرجت الناس متأثرة بما جرى لمحمد نجيب. العمري قال لعبدالناصر جملة أعتقد أنها آلمته كثيراً وبدون حدود قال له:

- يا أخى إنتوا قلتوا لنا إن معكم شعباً. وإن معكم جيشاً، ظهر لا معاكوا لاجيش ولا شعب.

ثم أكمل قائلاً لعبدالناصر «وأنت كمان ياجمال» بتقف أمام الناس تتكلم عن الأجداد والآباء، والراجل التانى بيتكلم فيقول سأعطيكم كذا وسأفعل لكم كذا. أنت كمان لا ترضى أن تتكلم عليه، مع أنه هو يتكلم عليكم.

قال له عبد الناصر:

- هوه أنا حاأعمله يتكلم زى خطبة مارك أنطونيو. عندما قال: لا أستطيع، إننى لا أقدر على أن أفعل هذا أبداً.

لكن تشعر هنا أيضاً، أن جمال عبدالناصر يستخدم تعبيراً أدبياً من رائعة شكسبير، رائعة تاريخية قديمة فى التاريخ. وعلى أية حالة فإن الذاكرة تعود فتلتقط مشاهد من التاريخ وتستعملها فى الحياة المعاصرة، وهذا ناتج عن ثقافة وقدرة على تلقى الرمز وإعادة استعماله فى موقف معين؛ لأنه تمكن من هضم هذا الرمز

عند الكلام عن المثقف لا نتكلم فقط عن رؤية للإنسان ورؤيته للمجتمع ورؤيته للطبيعة، لأن قيمة أى رؤية عند أى مثقف هى فى قدرته على نقلها إلى الناس، وقدرة الناس على استيعابها وفهمها وهضمها.

- تكلمت عن صورة عبدالناصر الشهيرة وهو يستمع ويتأمل، وأنا أعتقد أنه من نعم الله على الحاكم أن يستمع أكثر مما يتكلم وأن يستوعب أكثر مما يقول.

هل يمكن أن نتكلم الآن عن عبدالناصر مستمعاً لما قد يقوله الآخرون؟ وهل كان رحب الصدر إزاء آرائهم التى قد تختلف مع آرائه؟

. . **هيكل :** تعال لنرى كيف كان جمال عبدالناصر يستمع . من أهم الأمور فى حياة أى مثقف احتياجه للحوار والتلقى ، عندما كنت تنظر إلى عبدالناصر وهو يستمع إلى الدكتور السنهورى ، تشعر أنه تقريباً يكاد أن يشرب الكلمات . عندما كان يستمع لمحمود فوزى أو على الجريتلى ، تشعر أن الإنسان الذى كان يبدو أمام الجميع رمزاً للقوة - يتحول فى هذه اللحظات - إلى تلميذ راغب فى المعرفة بكل طريقة ممكنة ، عنده تلك القدرة الفريدة على الإنصات ، يستمع طول الوقت .

اعتقادى فى مجمله الآن :

إننا إن كنا نعرف المثقف ، وفى إطار هذا التعريف تنسب جمال عبدالناصر إلى رجل يستطيع أن يكون مثقفاً بمعنى البدء من خلال التلقى . هو لا ينتج في البداية أى ثقافة ، لكنك تستطيع أن تقول إن بعض الناس فى التاريخ يستطيعون أن يحولوا تلقيهم الثقافى إلى بناء فى المجتمع .

خذ مثلا نابليون أو يوليوس قيصر أو أى بنَّاء من البناة الكبار ، حتى لو كان لوى فيليب ، أو محمد علي ، أو الخديو إسماعيل . القضية هى أن يصل استيعاب الإنسان لأفكار معينة إلى درجة أن يحولها إلى بناء اجتماعى ، أو بناء حضارى أو بناء اقتصادي .

تعال لنرى مثلاً طلعت حرب .

طلعت حرب لم ينتج ثقافة ، لكن تمثله الثقافى استطاع أن ينشىء بنك مصر ، وتمثله الثقافى استطاع أن يدفعه ألى إنشاء استديو مصر انطلاقاً من بنك مصر ، وأن يؤسس صناعة السينما المصرية بل والعربية التى جاءت بعد ذلك . هنا إذن نحن أمام رؤية متكاملة .

لنصل إلى السياسيين . ما الذى يفرق سياسى عن سياسي؟ السياسى الذى

يبقى فى التاريخ - فى اعتقادى - هو السياسى المستعد لأن يكون أيضاً مثقفاً. هو المستعد لأن يكون مستقبل ثقافة ومستوعب ثقافة.

إن كل الذين بقوا فى التاريخ جميعهم هم القادة الذين استطاعوا أن يستوعبوا أفكاراً، وأن يحولوا هذه الأفكار إلى مشروعات كبرى، سواء أكانت مشروعات سياسية حضارية أو مشروعات بناء وتعمير. وتوقف أمام من تشاء فى التاريخ، ابتداء من الإسكندر الأكبر هذا الفاتح الكبير، وتعال لنرى كم إسكندرية بناها فى العالم كله؟ لن أتكلم عن فراعنة مصر. كانت عندهم نزعة أخرى، كانت قضية البقاء والخلود ومكافحة الفناء. قضية مواجهة لغز الموت غير القابل للحل. ولذلك كان مالرو يقول دائماً وأبداً، إن مصر هى التى اخترعت الأبدية.

إن كل سياسى بقى هو السياسى الذى كان عنده استعداد لتلقى الرموز، ثم يحول هذه الرموز إما إلى مشروعات حضارية - مثلما قلت - أو مشروعات تعمير. وانظر إلى التاريخ قياساً إلى هذين المبدأين.

نحن إذن - مثلما قلت من قبل - أمام رجل يفهم، عنده استعداد وجاهز للتلقى وجاهز للاستجابة، لم يكتف بتلقى الرموز، ولكنه جرب أن يكتب هذه الرموز، جرب استعمال الرمز فى حياته.

لكنه بعد هذا جاء إليه مثقفو بلده. وهنا ندخل فى علاقة أخرى.

المحاورة الثالثة

الصحفي والرئيس
تلك الصداقة النادرة

أمين سر؟!

أم ملقن ؟!

جان لاكوتور

تعني الصداقة أن يجلس الصديقان صامتين، ويشعران أنهما متفاهمان حول كل قضايا الدنيا، مع أنهما لم ينطقا بكلمة واحدة.

الماريشال مونتجمرى

ـ وعن هذه الصداقة النادرة بين الصحفي والرئيس . يقول الأستاذ هيكل؟!

. . **هيكل :** عندما تنظر إلى حياة جمال عبدالناصر ـ بعد الرئاسة خصوصاً ـ تجد أن صداقاته اتسعت ، واستنفدت على نحو معين وقته وجهده ، ولم يبق مكان في وجدانه إلا للأصدقاء الذين عرفهم من قبل ، وجرى ترتيب صلاته بهم على نحو معين .

ولم يعد هناك مجال لصداقات جديدة يمكن أن تدخل دائرة الصداقات . لقد أصبح مطالبا بصفته رئيساً ، بقنوات كثيرة جداً مفتوحة أمامه واصلة إليه ، لكن ليس بالضرورة أن تكون معه شخصياً أو أن تكون على مستوى الصداقة .

أنا مستعد أن أقول إننى لو لم أعرف جمال عبدالناصر فى الأيام والساعات والدقائق واللحظات الأولى للثورة ، لم يكن ممكناً أن تكون علاقتى به كما كانت .

وأنا أتكلم عما جاء بعد ١٩٥٨ ، والرجل اكتملت أسطورته ، والجميع يتكلم عن البريق الذى فى عينيه ، وانعدام القدرة على الكلام بمجرد الجلوس معه .

إن الناس أصبحت يأخذها الإحساس بالقوة الهائلة التى تبدو فى عبدالناصر ، والشخصية التى أصبحت أسطورية ، وبالتالى أن تذهب هناك لأول مرة تصبح عاجزاً ولا تستطيع الكلام .

إن المسألة المهمة فى علاقتى بجمال عبدالناصر ـ فى اعتقادى ـ أننى بسبب الظروف، وليس بسبب المزايا، استطعت الكلام معه مباشرة كإنسان مع إنسان. أقول له: ماذا ستفعل اليوم؟ إلى أين ستذهب غداً؟!

إن كنت ستقول له سيادتك وحضرتك يا أفندم؛ تحددت المسائل مقدماً. لو أننى عرفت جمال عبدالناصر سنة ١٩٥٦، وكان قد أصبح رئيساً، كنت سأتعامل مع المنصب وليس مع الرجل، كنت سأقول له سيادة الرئيس.

ولكننى عندما عرفته فى الأيام الأولي قبل كل هذه التطورات، أكون قد عرفت الرجل، واستكشفت الرجل، وكسرت الحاجز الذى يمكن أن يقوم بينه وبين الناس.

ـ كيف كنت تناديه؟!

. . **هيكل:** فى البدايات الأولي، كنت أقول البكباشى جمال، ثم بدأت أقول: جمال لو تكلمت مع زوجته ـ مثلاً ـ كنت أقول: فين جمال؟ لو اتصلت بمدير مكتبه، كنت أقول له: هل أستطيع الكلام مع الرئيس؟ لكن عند الحديث معه أو مع زوجته أو السؤال عنه، عمرى ما قلت له أبداً سيادة الرئيس؛ لأنها تقيم حاجزاً.

ـ حتى عندما كنت عضواً فى مجلس الوزراء الذى كان جمال عبدالناصر رئيسه؟!

. . **هيكل:** مرة واحدة حدث هذا، قلت له سيادتك، وضحك الحاضرون علينا. مرة كان عندنا تحقيق فى التليفزيون، كان مطلوباً منا دفع تعويض بموجب حكم كان قد صدر لصالح شركة أجنبية، وقد تمكنت هذه الشركة من مصادرة وحجز طائرة من طائرات شركة مصر للطيران فى مطار جنيف. كان التليفزيون عليه دين وهمى لشركة وهمية. كنا قد أخذنا منها أفلاماً للتليفزيون، ولم يكن التليفزيون قد دفع ثمن هذه الأفلام.

والموضوع كله عرض على مجلس الوزراء، وكانت المسألة كلها عبارة عن عملية نصب كاملة، على الرغم من أن المبلغ الإجمالى وصل إلى ٣٠ مليون دولار. ودخلت فى إجراءات قضائية، وتم الحكم لها وجرى توقيع الحجز.

ذهبت إلى مجلس الوزراء أطلب اعتمادات مالية من أجل الدخول فى قضية ضد الشركة الوهمية. فسأل جمال عبد الناصر، عن أصل الموضوع، حكيت له الموضوع كله. عين لجنة للتحقيق فيها أنور السادات حتى تعرف ماهى الحكاية بالضبط.

فى الجلسة التالية سألنى عما تم فى هذا الموضوع، كان يجلس على المنصة الرئيسية، وكنت أجلس فى مواجهته تماماً من الناحية الأخرى. قلت له سيادتك، أمرت بتشكيل لجنة يرأسها السيد أنور السادات وهي المسئولة الآن عن الموضوع. نظر إلىّ مستغرباً كلمة سيادتك، ويبدو أنها رنت فى أذنه رنة غريبة.

كان هذا فى حضور المجلس كله. قال لي:

ـ غريبة قوى دى أول مرة أسمعك تقول فيها: سيادتك! علشان بقيت وزيرا؟

قلت له بعفوية سريعة:

ـ لأن فيه ناس قاعدين معانا فى القاعة.

وأنا قلت هذا الكلام دون أن يكون قصدى أن أنكت، لكنى كنت أجيب ببراءة. المجلس كله ضحك. وعندما ضحك أعضاء المجلس كلهم، أنا تنبهت إلى أننى قلت ما لا يجب قوله. وجمال عبدالناصر ضحك هو الآخر.

لكن عمرى ما قلت له سيادتك أبداً، ليس لأن قول كلمة سيادتك فيها

خروج أو قلة أدب لا سمح الله، ولكن لأن العلاقة الإنسانية لا تفرض هذا ولا تتطلبه.

ـ ويتوقف الأستاذ أمام قبوله دخول الوزارة بعد هذه العلاقة الإنسانية النادرة؟!

.. **هيكل:** لقد عرض عليَّ جمال عبدالناصر حكاية الوزارة لأول مرة سنة ١٩٥٦، ولم أكن مقتنعا؛ كنت متزوجاً منذ أقل من عام واحد تقريبًا، وكان سنى اثنين وثلاثين سنة. يمكن أن يكون مقعد الوزارة من الأمور المغرية جداً.

ـ ماذا كان ردك على هذا العرض الأول؟!

.. **هيكل:** قلت لجمال عبدالناصر يومها: إننى أريد أن أجعل علاقتى بك. علاقة الصديق بالصديق، ولا أريد أن أتحول وأشعر أننى أصبحت موظفاً. يومها سألنى: هل تحصل من أخبار اليوم على مرتب أكبر من مرتب الوزير؟ قلت له أبداً، وفعلاً لم أكن أحصل من أخبار اليوم على مرتب أكبر من مرتب الوزير. كانت الماهية تساوى ماهية الوزير بالضبط، وهو كان مستغرباً أننى اعتذرت فى لباقة، لا يفهم منها الرفض المطلق، حتى لا أجرح طلبه.

كنا نتكلم فى ذلك الوقت عن مجموعة من الوزراء الجدد، جيل جديد من الشباب الذين يدخلون الوزارة لأول مرة، يدخلون وزارة عبد الناصر. وكان عبدالناصر مهتماً بوزارته جداً، أول وزارة يدخل بها بعد انتخابات يونيو ١٩٥٦. الإنجليز خرجوا وسيؤلف أول وزارة. أنا لا أريد الدخول فى هذه التفصيلات، إلا إن كان ذلك مهما لك.

ـ إنه أكثر من مهم حيث، إنه يرسم الجو العام، ويقدم الخلفية التى وراء الأحداث؟!

. . **هيكل:** كان عبدالناصر قد انتخب، وكانت صورته جيدة جداً أمام الناس. قادم مباشرة من مقاومة كل ما كان قبل الثورة، ورفض الأحلاف، اتجه إلى بناء السد العالي، ثم جاءت انتخابات يونيو سنة ١٩٥٦ . وانتخب عبدالناصر رئيس جمهورية بعد خروج الإنجليز، وكان ذلك أيضاً بعد إعلان الدستور. وأجريت الانتخابات طبقاً للدستور، البلد مستقل، والإنجليز خرجوا منه، كان هذا فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ . ومازال هذا اليوم هو عيد الجلاء حتى الآن.

ـ كيف نمت وتطورت علاقتك به؟!

. . **هيكل:** لا توجد لحظة معينة يمكن القول إن العلاقة نمت انطلاقاً منها. لكن الاختلاط الإنساني، الاقتراب، الجوار، الحوار، الاتصال، التواصل. إن التواصل كلمة فى منتهى الأهمية وأنا أضع تحتها آلاف الخطوط.

إن التواصل معناه أن تكون قادراً وأنت تتحدث معه، أن تكون هناك حالة من التفاهم التام. فى يوم من الأيام قال المثقفون من الصعب معرفة أين يبدأ هو، وأين أنتهى أنا، وأين أبدا أنا وأين ينتهى هو. كنا فى حالة حوار مستمر، وفى حالة اتصال لم ينقطع طوال ١٨ سنة، سواء كان ذلك بالاتفاق أم بالاختلاف، لكنه حوار مستمر. فى العلاقات الإنسانية من الصعب الإجابة عن الأسئلة: أين ومتى وكيف؟

ـ هل كانت علاقة تكامل بين إنسانين صديقين؟!

. . **هيكل:** من الصعب التصنيف. أنا لا أحب تصنيف علاقات الناس، ولكن يمكن القول إن فيها قدراً من هذا. يمكن القول إن فيها قدراً من التكامل، شأنها شأن أى علاقة إنسانية. من الصعب توثيق العلاقات وتحديدها وأرشفتها مثل علاقات الكيمياء؛ حيث يمكن القول إنه فى حالة وضع صوديوم بمقدار معين وبوتاس بمقدار آخر، نصل إلى نتيجة معينة. العلاقات الإنسانية معقدة أكثر من هذا بكثير.

لكنى فى المحصلة النهائية يمكننى القول، إننا تقابلنا سنة ١٩٥٢، والعلاقة الإنسانية أصبحت قوية سنة ١٩٥٢، وفى سنة ١٩٥٣. توثقت وفى ١٩٥٤ ازدادت قوة. وابتداء من سنة ١٩٥٥ كنا نفكر بنفس الطريقة والآلية تقريباً. لقد ساعدنى على هذا كثيراً، أنه مع انشغاله الشديد. أصبحت علاقته بالأفكار مهمة. وهى من الأمور المهمة جداً بالنسبة لأى إنسان. إن علاقتي مع الفكرة المجردة كانت تدفعه إلى النقاش معى كثيراً، لكنى لا أريد الكلام كثيراً حول أمور شخصية. لا أحب الكلام عن نفسى طويلاً.

- ويتكلم الأستاذ عن علاقته مع عبد الناصر وتطورها بعد عام ١٩٥٥؟!

. . **هيكل:** من سنة ١٩٥٥ كتبت، له كل نص سياسي قاله. هذه حقيقة، وفي مرات كثيرة كان الجدل والنقاش بيني وبينه، في أضيق الحدود، لسبب بسيط هو أنني كنت أرى ما يراه، وهو يعرف أنني كنت أرى ما يراه بكل دقة، وهو يرى ما أراه، وأنا أعرف أنه يرى ما أراه، ونختلف ونتفق فى حدود هذه الرؤى المشتركة. عادة ما تنشأ بين البشر فى مواقع العمل صلات حميمة تنبت فيها حساسيات كثيرة. لو أننا كنا نعمل فى نفس المجال لكانت هناك حساسيات أو توهم بعض هذه الحساسيات.

- هل سمعت منه ذات يوم رأيه فى مقولة جوبلز الشهيرة: كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي؟!.

. . **هيكل:** لا لم أسمع رأيه فى هذه العبارة أبداً، ولم ترد فى أى حوار من حواراتنا. ثم كيف تسأل مثل هذا السؤال، ونحن نتكلم عن رجل كان بطبيعته يحب الفن والثقافة والمثقفين؟ أذكر أنه فى يوم من الأيام جاءنى الدكتور حسين فوزي، قال لى إنه لا يستطيع التعاون مع وزير الثقافة، كان فى ذلك الوقت الدكتور ثروت عكاشة. لأنه طلب منه أن يؤدى الطلبة السيمفونية التاسعة أمام الرئيس جمال عبد الناصر، وهى السيمفونية الوحيدة التى تعتمد على الكورال.

حسين فوزى كان يرى أن ذلك مستحيل بسبب ضيق الوقت. وثروت عكاشة كان يرى أن ذلك ممكن. حسين فوزى يشتكى من هذا، وسألنى بالتحديد: هل الرئيس يريد الاستماع إلى السيمفونية التاسعة؟ وإن كان يريد ذلك؟ ليس هناك وقت؟ إن الباقى من الزمن شهران فقط، ومن الذى يستطيع أن يتدرب عليها وهى السيمفونية الوحيدة التى يتم تخصيص نصف ساعة فيها للكورال؟ وقد تفهم الرئيس عبدالناصر المشكلة على الفور.

- هل كنت قريباً منه عندما حاول أن يكتب هذه الرواية. رواية «فى سبيل الحرية»؟

.. **هيكل:** لا. لم أكن قريباً منه فى هذه الفترة.

- هل قرأتها مخطوطة؟

.. **هيكل:** نعم. لقد أعطاها لى مخطوطة بعد الثورة بفترة، أعطاها لي، وقرأتها وعرضت عليه أن يكملها أحد الروائيين، وأن نعمل مسابقة من أجل ذلك، وظل هو متردداً فترة من الوقت، وكان تردده حول فكرة أن يكملها أحد من الكتاب، ثم وافق على مضض.

- وكتاب فلسفة الثورة؟!

.. **هيكل:** هذا كتاب يعود إلى مرحلة ما بعد الثورة.

- والمذكرات التى نشرت بعد استشهاده ورحيله؟!

.. **هيكل:** هذه ليست مذكرات، ولكنها يوميات حرب فلسطين، وهى مازالت عندي. قد دون هذه اليوميات باعتباره أركان حرب الكتيبة الثالثة، ولابد أنه كان معه دفتر يوميات.

- اليوميات الرسمية؟!

.. **هيكل:** اليوميات الرسمية نعم، ولكنه بجوارها كان يكتب اليوميات

الخاصة به. اليوميات ذات الطابع الإنساني، يوميات خاصة به. وهذه هى التى نشرت، ولكن عبدالناصر لم يكتب مذكرات أبداً. هذا لم يحدث، وأنا متأكد من ذلك.

أذكر أنه قال لى فى يوم من الأيام إنه لن يعيش طويلاً، وهذا الاعتقاد كان ثابتاً لديه. كان يقول لى دائماً: نفسى بعد أن ننتهى من كل هذا، نجلس معاً لكى نكتب كل هذا الذى جرى. ثم يقول بعد ذلك، إن من كان مثلى لن يعيش طويلاً، لن يجلس من أجل الكتابة أو غيرها. اكتب أنت ما جرى. وأنا أقول له يا ترى من الذى سيعيش بعد الآخر.

قبل الثورة، كتب نصف رواية، أو مشروع رواية، وكتب يوميات الكتيبة الثالثة فى حرب فلسطين. وهى يوميات عسكرية جافة، لكنها يوميات حرب خاصة به، ولم تكتمل أيضاً، ثم إنه كانت له دراساته العسكرية وقراءاته العسكرية أيضاً.

ـ وقراءاته قبل الثورة؟!

. . **هيكل:** قبل الثورة كان قد قرأ كتبا كثيرة، ولك أن تعود إلى سجلات الاستعارة في مكتبة الكلية الحربية لتجد قائمة استعاراته منها وهي كثيرة. تثبت لك أن الرجل كان يقرأ. لا أعرف إن كانت دار الكتب المصرية تحتفظ بسجلات استعارات الكتب. لو كانت مثل هذه هذه السجلات موجودة لوجدت أن اسم جمال عبد الناصر من بين قرائها المستمرين، وأنه استعار منها الكتب وبعض أعداد من مجلة الثقافة، علاوة على أنه اشترى أعداداً من مجلتى التى كان يصدرها أحمد الصاوى محمد؛ لأنه كان يستغرب شخصية الصاوي.

وكان يستعيدنى أكثر من مرة، لأقول له الزجل الذى قاله سعيد عبده عن الصاوى الذى قال فيه:

احترت أكلك منين يا صاوى يا حبوب

يا تمر هندى على حنضل على خروب

يا ذوق باريس داب في خلطة أيوب

كان يحب هذا الكلام كثيراً. وكان يحفظ شعر بيرم التونسى ويحبه بدون حدود.

ـ هل تذكر بعض أبيات بيرم التونسى التى كان يحفظها جمال عبد الناصر؟!

. . **هيكل:** طبعاً. خاصة قول بيرم:

قال إيه يكفي ابن آدم؟ قلت له شقة

قال إيه يعجل بعمره؟ قلته له زقه

قال حد فيها مخلد؟ قلت له لأه.

ـ بيرم التونسى عاصره. هل دفعه هذا الإعجاب إلى اللقاء به؟!

. . **هيكل:** لا أظن.

ـ ما هي العوامل التي حالت دون أن يلقاه؟! وهل هناك أدباء غيره كان يعجب بأدبهم ولم يلتق بهم؟!

. . **هيكل:** هناك اثنان لم يلتق بهما برغم إعجابه الشديد بهما: سلامة موسى وبيرم التونسي؟!

ـ مع إنه يقال إن سلامة موسى كان يمر بحاله من المعاناة في زمنه؟!

. . **هيكل:** أى معاناة؟ عن أى معاناة تتكلم؟! سلامة موسى كان فى أخبار اليوم. وكان سلامة موسى يعمل حسابه أنه سيعيش مائة سنة، قرن من الزمان، وكتب هذا وقاله أكثر من مرة، فى عيد ميلاده السبعين مات. أعتقد

أن جمال عبدالناصر كان سيراه. أنا متأكد أنه جرى ترتيب موعد من أجل هذا اللقاء.

- وبيرم التونسي؟!

.. **هيكل:** لست متأكداً إن كان عبد الناصر قد رآه أم لا، ولكن في زمن عبد الناصر، كان بيرم موجوداً وكان يعمل في جريدة الجمهورية - جريدة الثورة - وكان مستريحاً ولا أعتقد أنه كان يعاني من أية مشكلات.

- بعض الذين عاصروا سلامة موسى وبيرم التونسي، يؤكدون المعاناة التي مروا بها في زمن عبد الناصر، وبيرم مثلا كان يشعر أنه لم يأخذ حقه في زمن الثورة التي حلم بها ونفي بسببها؟!

.. **هيكل:** حجرة سلامة موسى كانت بجوار غرفتي في أخبار اليوم.

- ولكن - مثلاً - وحسب رواية ابنه الدكتور رءوف سلامة موسى - في كتاب له عنه -، أن سلامة موسى كان يرغب في زيارة الاتحاد السوفيتي ولم يتمكن من تحقيق هذه الرغبة أبداً؟

.. **هيكل:** سلامة موسى كان شديد الإعجاب بجمال عبد الناصر. وقد كلمني سلامة موسى عن جمال عبدالناصر أكثر من مرة، وكان يتمنى رؤياه.

- نعود إلى النجمين الكبيرين اللذين سنلتقي بهما كثيراً بعد ذلك وهما: طه حسين وعباس العقاد. هل قابلهما جمال عبدالناصر قبل الثورة؟!

.. **هيكل:** عندما قامت الثورة. لم يكن عبدالناصر قد رأى العقاد أو طه حسين، ليس لأي موقف من أيٍّ من الرجلين، العقاد كان قد بدأ مع الوفد وانتهى مع الملك. طه حسين كان قد بدأ مع الأحرار الدستوريين وانتهى مع الوفد. والاثنان - بشكل أو بآخر - قد تعرضا لإساءة بالغة من جراء دخولهما

ميدان السياسة ، وهى إساءة أدبية بالدرجة الأولى . إن الدخول إلى دنيا السياسة استهلكهما . إن اهتماماتهما السياسية أبعدتهما عن آفاق اهتماماته . ومع هذا فإنه بعد الثورة أخذ صلاح سالم طه حسين إلى جريدة الجمهورية ، وأنور السادات قال إن العقاد موجود فى الأخبار .

أما توفيق الحكيم ، فقد اهتم عبدالناصر به بشكل خاص ، لأنه لم يكن قد انتمى سياسيا مع أي اتجاه قبل الثورة ، لم تكن له أية اهتمامات سياسية ، لم تكن عنده أية تحيزات ، كان صفحة بيضاء سياسيا . والصراع بين القصر والأحزاب كان يدور حول العقاد وطه حسين ، ولكن توفيق الحكيم كان بعيداً عن هذا الصراع تماماً .

ـ وعن قراءات عبد الناصر . وهل قرأ لهما . يقول هيكل؟!

. . **هيكل :** قرأ لهما ، وإن كان قد قرأ أكثر لطه حسين . هل تعرف ـ ما دمت تسأل عن قراءات عبدالناصر ـ بمن اهتم أكثر؟! أنا مستعد أن أقول إنه فى أيام الثورة الأولى ، قرأ مجموعة أحمد أمين كاملة . لقد طلبها هو بنفسه منى ، وقرأها فى إجازة خصصها من أجل ذلك . لقد قرأ أحمد أمين فى أول مرة ذهب فيها إلى برج العرب ، وقبل السويس ، فى الغالب الأعم جرى هذا فى سنة ١٩٥٥ .

ـ لكنه مع هذا لم ير أحمد أمين؟!

. . **هيكل :** ليس فى حدود علمى إن كان قد رأى أحمد أمين أم لا[١] .

ـ فى مرحلة ما قبل الثورة ، هل لفت نجيب محفوظ نظره كروائي؟!

. . **هيكل :** لا أعرف إن كان هذا قد حدث أم لا . هل تعرف ـ مرة أخرى ـ عمن تكلم ، وقال لى إنه قرأه قبل الثورة؟ إنه عبد الحميد جودة السحار . تكلم

---

(١) مات أحمد أمين سنة ١٩٥٤ ، أي بعد قيام الثورة بعامين ، وهي السنة التي وقعت فيها أزمة مارس .

معى عنه بعد الثورة، وقال إنه قرأ له. وكان هذا الكلام فى مجال حديثه عن قراءاته فيما قبل الثورة.

وهنا لا مفر من اعتراف لابد منه: فى المرات التى رأيت فيها جمال عبدالناصر قبل الثورة، لم نجلس لكى نتكلم فى الأدب والثقافة والقراءات. إن هذا جرى بعد الثورة فى أواخر ١٩٥٢ وأوائل ١٩٥٣، ولم يجر قبل هذا أبداً.

ـ هل تكلم عن إحسان عبد القدوس قبل الثورة؟!

. . **هيكل:** لقد قرأ إحسان قبل الثورة، وبطبيعة الحال اهتم بما كتبه إحسان عن الأسلحة الفاسدة.

سنتكلم الآن عن ثلاثة أنواع من الناس الذين عملوا معه فى مناصب رسمية، مثل السنهورى وسليمان حافظ وحلمى بهجت بدوى، والذين التقى بهم وتركوا عليه آثاراً مهمة مثل الجريتلي. وهناك من سمع عنهم، ثم رآهم أكثر من مرة مثل: محمود عزمي، ونجيب الهلالي.

لقد اهتم جمال عبدالناصر ـ مثلاً ـ بمصطفى مرعى. أذكر أننا كنا عنده فى يوم ما، وقال مصطفى مرعى كلمة. خرج جمال عبدالناصر من عنده معى وهو يفكر فيها. قال مصطفى مرعى: أنا يئست من الكلام معكم؛ لأنه لارأى لمن لا يطاع.

نزلنا، ونحن نركب السيارة سألنى جمال عبدالناصر مستغربا إزاء تعبير لارأى لمن لا يطاع؟ تساءل عبدالناصر هل يعنى هذا أننى عندما أستمع إليه أكون ملزماً بطاعته فيما يقوله؟ وإن لم آخذ بهذا الرأى يغضب ويزعل؟! كان يستغرب هذا الكلام.

هناك أناس عملوا معه وأناس آخرون سعى هو إلى الاستماع لهم، وهناك من عرضوا أنفسهم عليه من الأدباء والمثقفين، ومنهم الصحفيون وأهل الفن. وهناك أيضاً المشاكل والأزمات التى مر بها، مشكلة المصرى وأزمة الأسلحة

الفاسدة. وأنا أقول هنا من البداية، إنه لم تكن هناك أسلحة فاسدة بالدرجة التى صورت بها.

علينا أن نفرق بين أمرين أساسيين: الحقيقة الموضوعية، ثم الرؤى المختلفة لهذه الحقيقة. إن حقيقة حدث ما، وتصورات الناس لهذا الحدث تبدو شديدة الاختلاف، مع أن الأمرين يدوران حول أمر واحد: الأول صورة موضوعية، والثانى حقيقة متصورة، وهى لها قوة الحقيقة تماماً.

ـ وعما إذا كان جمال عبدالناصر يعتقد أن هناك أسلحة فاسدة يقول هيكل:

. . **هيكل:** نعم. كان يعتقد ذلك من قراءته لإحسان عبد القدوس.

ـ هل لعبت هذه القضية دوراً فى تفكيره. وفى تفكير سواه؟

. . **هيكل:** نعم. لقد حدث هذا فعلاً.

ولكن عند بدء التحقيق فى القضية اتضح أن الأمور لم تكن بنفس القدر من الخطورة التى تم تصويرها بها فى البداية، ثم ظهر بعد ذلك أن الأمر كان مجرد خناقة بين موردى أسلحة، وموردي أسلحة آخرين. كانت عند طرف من الطرفين وثائق قدمها فى مواجهة وثائق أخرى من الجانب الآخر. لقد كانت هذه القضية مهمة جداً فى الرؤى الشخصية، بصرف النظر إن كان هذا صحيحاً أم سراباً، إنه يؤثر فى التصرف والسلوك بصورة كبيرة، حتى إن كان هذا التأثير آنياً.

المحاورة الرابعة

عبد الناصر والقوى السياسية

الإخوان المسلمون والشيوعيون.

إنهما الحركتان اللتان أثارتا اهتمامه قبل الثورة.

الأولى: جرت ثلاث محاولات لضمه إليها.

والثانية: كانت بالسماع والاهتمام الشديدين.

ـ التيارات والاتجاهات السياسية التى مر بها قبل الثورة: مصر الفتاة، الإخوان، الشيوعيون. ماذا تركوا فى ثقافة جمال عبدالناصر الشخصية؟!

. . **هيكل:** علاقة جمال عبد الناصر بمصر الفتاة كانت علاقة شاب بدأت بمشاركة في مظاهرة نظمتها، وقد انضم إليها، وأصيب عندما تعرض لها البوليس، وكان هناك موقف عظيم من الأهالى ضد البوليس. وهو حمل بروفات المنشورات ورصاص الطبع مرات كثيرة. وكان ينتقل من هنا إلى هناك، لكن هذه الفترة أخذت من عمره شهرين أو ثلاثة أشهر على الأكثر، عندما كان يعيش فى الإسكندرية ثم بعدها لم يجد فيها أى شىء.

ـ والإخوان المسلمون والشيوعيون؟!

. . **هيكل:** هنا يمكن القول إنهما الاتجاهين أو الحركتين الحقيقيتين، من فكر ما قبل الثورة اللتين اقترب منهما بصورة جادة. إنهما: الإخوان المسلمون بالدرجة الأولى، وكذلك السماع الشديد جداً والاهتمام غير المحدود بثقافة اليسار. واليساريون في هذه الحالة كانوا الشيوعيين بالتحديد. ولكن هنا يمكن القول إن الإخوان كان تأثيرهم فيه مباشراً، لأنه التقى بحسن البنا هو وبغدادى وكمال الدين حسين وأنور السادات، وفى هذه الفترة قرأ جمال عبدالناصر الكثير من أدبيات الإخوان المسلمين، لكنه يمكن القول ـ فى نفس الوقت ـ إن أكثر ما أبعده عن الإخوان المسلمين كان الجهاز الخاص، وكان

يتكلم عن عبد الرحمن السندى - رجل الجهاز الخاص فى الإخوان - على أنه رجل خطر. لقد جرت ثلاث محاولات لضمه للإخوان.

- وعن أسباب اقترابه اقترب من الإخوان يقول الأستاذ؟!

. . **هيكل:** كان اقترابه من هذه الجماعة فى إطار مقاومة المحتل الإنجليزى - فى منطقة القناة - باعتبار أنها قضية عمل وطنى أساساً. وعلى الرغم من أن الاقتراب تم فى إطار المقاومة، لكنه كان قد تلقى بعض الأدبيات عنهم. وإن كنت متأكدا أن هذه الجماعة - الإخوان - لم تكن تلبى شيئاً ما عنده.

- لكنه لم يكن عضواً منظماً فى هذه الجماعة أبداً؟!

. . **هيكل:** لا، عمره لم يكن عضواً منظماً فى جماعة الإخوان. ثم إننا لايجب أن ننسى الآن أن بعض أصدقاء جمال عبد الناصر المقربين كانوا أعضاء فى التنظيم الخاص، مثل عبد المنعم عبد الرءوف. وهنا لابد من التفرقة بين أمرين: الأول: أن يحاول التنظيم شده إليه. والثاني: أصدقاء يحاولون إقناعه بمنهج معين.

اعتقادى أنا، من شواهدى ومن سماعى له مباشرة، أنه اقترب كثيراً جداً من جماعة الإخوان فى فترة من عمره، ولكن فى إطار العمل الفدائي. واقترب أكثر من عبد المنعم عبد الرءوف وهو كان من قادة الجهاز الخاص، وفى هذه المرحلة فقد رأى - بشكل ما أو بآخر - عبد الرحمن السندى وبعض الذين كانوا فى الجهاز الخاص، وقرأ فى هذه المرحلة بعض أدبيات الإخوان المسلمين، لكنها جميعاً لم تكن مقنعة له فى الآخر.

- عندما رأيته يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٥٢. كان رأيه أن الإخوان لن يقدموا شيئاً. لا أمل فيهم - هكذا قال -. مع أنه هو الذى فتح التحقيق فى مقتل الشيخ حسن البنا؟!

. . **هيكل:** لأنه كـان يستـغـرب وقـوع مـثل هـذه الـحكاية بالطريقـة التى تـمت بها .

ـ ما الذى جعله يفقد الأمل فى هذه الجماعة مبكراً؟!

. . **هيكل:** يمكن القول إن السبب فى هذا هو موقف الـهضيبي ، وخـاصـة عندما ذهب إلى القصـر . ويمكن القـول إن الخلافات والمشاجرات التى كـانت تجرى وصلت أصداؤها إليه ، ويمكن القول ـ أيضاً ـ إن الأمور كـانت بالنسبة له عند السطح ولم يتم تعدى السطوح إلى الأعماق ، وإن هذه الأدبيات لم تصل إلى الأعماق ، وأستطيع أن أؤكد مطمئناً أنه فى الوقت الذى رأيته فيه ـ لأول مرة ـ كان جمال عبد الناصر . قد أصبحت عنده قناعة محددة تجاه الإخوان .

ـ لم يتركوا شيئاً فى مكوناته الثقافية؟!

. . **هيكل:** لا .

ـ ولا حتى مقابلة الشيخ حسن البنا وجهاً لوجه ، والرجل ـ البنا ـ كان له حضوره وتأثيره على من رأوه رؤية العين؟!

. . **هيكل:** ربما تركت أثراً مـا ولكن بعـيـداً عن الوصـول إلى الأعـمـاق والترسب فيهـا ، ولكى أكون دقيقاً أقـول إن الفكرة التى نزلت إلى أعمـاقه وترسبت فيها هى فكرة المقاومة ، أى الطابع النضالى ضد المستعمر والمحتل ، ولم يكن للشيخ حسن البنا أي دخل فيها .

ـ والشيوعيون؟! هل كانوا حدتو أم الحزب الشيوعي؟!

. . **هيكل:** كان قد تعرف علي اثنين فى هذه الفترة . كـان معجباً جداً بعزيز فهمى الذى كان يمثل اليسار الوفدي أو الطليعة الوفدية . لقد اهتم بما كان يكتبه محمد مندور وعزيز فهمي ، وكانت هذه الكتابات تمثل بالنسبة له ثقافة اليسار عـامة ، وقرأ بعض الأشياء التى أعطاها له أحمد فؤاد فى ذلك الوقت . وكما

قال لي بنفسه إنه توجد أفكار كثيرة جيدة عندهم، لكنه اختلف معهم في أمرين: في موقفهم من الدين، وفي فكرة الأممية بالتحديد تجاوز الوطنية بدعوى الأممية.

وبهذا يمكن القول إنه في اليوم الذي بدأ فيه الثورة دخل وأبوابه الثقافية مفتوحة.

ـ بالنسبة لاختلافه مع الشيوعية حول موقفهم من الدين. يقول خصومه من الإخوان المسلمين، إنه لم يكن متدينا؟!

. . **هيكل:** كان متدينا.

ـ ورغم أن التدين ليس في حاجة إلى شواهد عليه إنه علاقة بين الإنسان وخالقه. إلا أن الأستاذ يعدد هذه الشواهد؟!

. . **هيكل:** الشواهد كثيرة، ولكنه كان متديناً في غير مغالاة في ذلك. كان يقينه مستريحاً وكان يحب أن يتناقش. كان شديد الإعجاب بالشيخ محمود شلتوت، وكان يستمع إلى الكثير من الشيخ أحمد حسن الباقوري. وعندما كان يجد من يتكلم في الدين بشكل جيد، كان يحب أن ينصت إليه، مهما كان الوقت الذي يستغرقه الكلام. بشكل عام كان عنده احترام شديد للعقائد الدينية سواء الدين المسيحي أو الدين الإسلامي.

ـ حتى عقيدة اليهود؟!

. . **هيكل:** بالنسبة لليهود كانت تقف بينه وبينهم مشكلة فلسطين وقضية الفلسطينيين.

ـ الوفد ماذا ترك في ثقافة جمال عبدالناصر في هذه المرحلة؟!

. . **هيكل:** نستطيع القول إن سليمان حافظ والسنهوري هما اللذان أثرا على رؤيته للوفد، رغم أنه كان بميله الطبيعي يتصور أن الوفد هو

الحزب الذى من المفروض أن يأتى إلى الحكم بعد الثورة من خلال انتخابات حرة.

ـ يتوقف الأستاذ ليؤكد ما يقوله مع أنه ليس في حاجة إلى تأكيد؟!

. . **هيكل:** طبعاً وبدون أدنى شك. وكان رأي جمال عبد الناصر أننا سنجرى انتخابات حرة، والوفد سيأتى بعد ذلك من خلال هذه الانتخابات.

ـ وماذا ترك الوفد فى ثقافته؟!

. . **هيكل:** كان بالنسبة له حزب الأغلبية فى مصر كلها.

ـ وإسرائيل وأمريكا باعتبارهما أكبر خصمين له؟!

. . **هيكل:** إسرائيل كانت شديدة الوضوح فى ذهنه.

ـ بسبب الحصار ودماء الحرب والمواجهة فى الميدان؟!

. . **هيكل:** لا. المسألة أكبر من الدماء وأوسع من الحصار. لقد أتيح له أثناء وجوده فى فلسطين أن يطل على حقيقة المأساة الفلسطينية على الطبيعة، إلى جوار أمر آخر أهم من ذلك، إن رسالة جمال عبدالناصر للأركان حرب كانت عن خطة اللنبى للدفاع عن مصر، وأن الدفاع عن مصر كان يعتمد على خطين اثنين خارج مصر والثالث داخل مصر.

خط الدفاع الأول عن مصر يبدأ فوق فى الشمال، وذلك حسب نظرية إبراهيم باشا والجنرال سيف الفرنساوى، يبدأ هناك من شمال سوريا بالقرب من المكان الذى استشهد فيه الأشرف قانصوه الغورى، دفاعاً عن مصر عند شمال حلب.

والخط الثاني هو خط غزة بير سبع وهذه نظرية اللنبي. والخط الثالث والأخير للدفاع عن مصر ـ فى رأى الجنرال ماكسويل ـ هو خط المضايق فى

سيناء، وهو خط يمتد قبل المياه لأن من يصل إلى قناة السويس يتمكن من تعطيل الملاحة فيها، ويستطيع بذلك ضرب قيمة مصر الإستراتيجية كمعبر.

خطر إسرائيل شديد الوضوح فى ذهنه وأمامه سواء برؤيته للمأساة الفلسطينية على أرض الواقع أو بتصوراته الإستراتيجية، أو بهمه واهتمامه بقضية الدفاع عن مصر كضابط أركان حرب.

ـ وأمريكا؟!

. . **هيكل:** بالنسبة لصورة أمريكا في ذهن جمال عبد الناصر، الفكرة الأولى عنها كانت من السينما والأفلام التى كان يشاهدها، بالعكس ربما كان جمال عبدالناصر حسن الظن بالأمريكان جداً فى هذه المرحلة.

ـ هل حدثت له حالة انبهار بالأمريكان؟!

. . **هيكل:** لا، هو لم يسافر إلى أمريكا، ولم يكن ـ فى يوم ما ـ أحد المسافرين إلى أمريكا أو العائدين منها، ثم إن الصورة الانطباعية التي كانت لديه كانت من السينما الأمريكية، مرة واحدة زار أمريكا لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولكن زيارته اقتصرت على النشاط الذي كان في الأمم المتحدة ومشاركته فيه، وما توصل إليه عن أمريكا في النهاية كان من أمرين:

الأمر الأول: دورهم فى الحرب العالمية الثانية، كأداء عسكرى مخيف انتهى بتفجير القنبلة النووية بما سببته من كوارث. كانت قضية موارد أكثر منها شجاعة مهولة، أو يمكن أن تكون مهولة، مع إدراكه أن أوروبا لعبت دوراً كبيراً فى صنع هذه القنبلة.

الأمر الثاني: السينما وقد كانت هى المؤثر الأعظم عليه. لدرجة أنه غضب وزعل فترة من الوقت بسبب بطله فرانك كابرا، عندما حوكم أمام لجان المكارثية. وأنا حضرت جزءاً من هذه المحاكمات فى أمريكا.

وهكذا نجد أن هناك فارقاً. ففى الوقت الذى كانت إسرائيل شديدة الوضوح فى ذهنه، لم تكن أمريكا بهذا الوضوح في مرحلة مبكرة من حياته، لا فى علاقتها بإسرائيل، ولا فى دورها فى مخططات الشرق الأوسط. كانت أمامه إنجلترا وفرنسا، أوروبا القديمة، الاستعمار القديم، والروس الذين كانوا يمثلون له الشيوعية التى رفض فيها الموقف من الدين وتقديم الأممية على الوطنية.

لقد قرأ فى هذه الفترة كتابات لبرناردشو وكتابات لأندريه جيد.

المحاورة الخامسة

أصـــل الـمشكلـة

عندما جاءت الثورة كان طه حسين والعقاد

قد أعطيا كل ما كان عندهما..

كان من المفروض أن تأتي موجة ثقافية رابعة مع يوليو.

ولكن!!

ـ ونصل إلى الكلام عن حال المثقفين. الذي جاء عبد الناصر ليجده. قبل الدخول إلى العلاقة بينهما؟!

. . **هيكل:** بشكل أو بآخر لم يحدث إن كان هناك مثقف يتكلم في الثقافة دون أن تكون هناك حركة يخاطبها، بمعنى أكثر دقة، بدون أن يتكلم موجها كلامه إلى حركة معينة أو شخص بعينه.

خذ مثلاً ميكيافيللي وهو يناقش مشكلة السلطة والحكم، أو من تشاء، ابن خلدون مثلاً، أو أي مفكر غيرهما. ميكيافيللي كان يخاطب أميره من موقع المثقف المنتج لفكره باستمرار، ولا توجد لديه وسائل القوة التي تنفذها في أرض الواقع. لقد كان يوجه خطابه إما إلى أحد في المطلق قادر على القوة أو قادر على التنفيذ، أو لشخص معين وبالتحديد. ميكيافيللي كتب لأميره. ابن خلدون كتب لحاكم تونس. تعال لكي نرصد العصر الحديث. سنتكلم أول ما نتكلم عن كارل ماركس. كان خطابه كمثقف موجهاً إلى الطبقة العاملة.

لنترك هذه النماذج مؤقتاً ولنأخذ مجموعة الفابيين. كان عندهم إحساس بأن فكرة التغير الاجتماعي من الصعب أن تستوعبها الجماهير، وأن المثقف يحتاج إلى المحرض السياسي، حتى ينقل فكرته إلى الناس.

جماعة الفابيين لم يستطيعوا الوصول إلى المجتمع الإنجليزي. فأنشئوا حزب العمال الذي أصبح حزباً محرضا يأخذ أفكار الفابيين ويوصلها للناس.

هنا تكلم الفابيون مع الذين يشكلون الواقع، مع الطبقة المتوسطة، ولطبقة العمال، ولنحاول - الآن - الوصول إلى عصرنا لنتوقف أمام مالرو وديجول. وهذا هو المثل الهائل في اعتقادي. عندما ذهب ديجول إلى إنجلترا بعد احتلال فرنسا؛ لأنه كان ضد أن تستسلم فرنسا، وتبرم صلحاً منفرداً مع ألمانيا.

من الذي كان معه في هذه المرحلة التاريخية؟ كان معه ثلاثة: أندريه موروا، وفرانسوا مورياك، وكان معه من قبل أندريه مالرو ثلاثة هم أهم كتاب فرنسا في ذلك الزمان، بل في القرن العشرين كله، وهم الذين سعوا للذهاب معه. يمكن القول إنهم جروا وراءه؛ لأنهم كانوا يشعرون أن تصوراتهم ضد احتلال فرنسا، والأهم من هذا ضد أن تستسلم فرنسا، في حاجة إلى رجل، وأن فرنسا تحتاج إلي رجل، الرجل الذي يستطيع أن يصبح رمزاً للمقاومة.

العلاقة بين المثقف ورجل السلطة أو الرجل التاريخي القادر على تنفيذ الحلم ونقله إلى أرض الواقع، ويستطيع تلقى الرموز ويستجيب لها ويجيب عنها ومحاولة تحقيقها باستمرار، من أكبر القضايا الموجودة في العلاقة المركبة بين المثقف ورجل السلطة.

- نصل مرة ثانية إلى العلاقة بين جمال عبد الناصر ومثقفي عصره بعد الثورة، والتساؤلات التي تطرحها هذه العلاقة كثيرة. لماذا أبت هذه العلاقة على الاستقامة؟ هل لأنهم أيدوا الثورة في البداية، ثم رفضوا نظام الحكم الذي خرج من رحمها؟ أم هل لأنهم تكوَّن وعيهم وكونوا أسماءهم في ظل النظام السابق على الثورة؟! أم لأن واقع الثورة لم يخرج منه مثقفوها منذ

لحظة ولادتها الأولى؟ أم هل يعود السبب إلى طبيعة عسكرة الثورة وعسكرية رجالها منذ اللحظات الأولى؟!

. . **هيكل**: في تصوري أن العلاقة حدثت لها حالة من الالتباس، لأن هذا الرجل التاريخي جاء ليجد أن مثقفي عصره ـ أو الذين من المفترض أنهم مثقفو عصره ـ قد قال معظمهم ما كان يريد قوله.

ـ وعن معنى أنهم كانوا قد قدموا ما عندهم، يقول الأستاذ:

. . **هيكل**: الإجابة عن هذا السؤال تتطلب منا العودة إلى التاريخ ولو قليلاً. وهي عودة توفر خلفية تاريخية لما سأقوله، قد تكون ضرورية ومهمة.

مصر كانت قد رأت وعاصرت ثلاث موجات ثقافية:

وكل موجة ثقافية من هذه الموجات الثلاث لم تكن عندها سلطة، وهي تعطي ما عندها مثلما يحدث في قوانين الطبيعة؛ ذلك أن الموجة عندما تأتي فإن قدومها يكون من أعماق البحر المضطرب، وتصل إلى الشاطئ مستخدمة كل قوتها في الوصول إلى الشاطئ، وعليه ترمي ما تحمله، أي أن الموجة تنتهي بالوصول إلى الشاطئ، ولا يكون هناك هدف بعد ذلك. إن الوصول هو نفسه النهاية.

الموجة الثقافية الأولى التي قادها رفاعة رافع الطهطاوى، وكان منها: محمد عياد الطنطاوى الذي سافر إلى روسيا القيصرية، في نفس اللحظة والوقت الذي سافر فيه الطهطاوى إلى باريس، وهذه الموجة وصلت إلى الشيخ محمد عبده.

الموجة الأولى: بدأت برفاعة الطهطاوى صاحب الرحلة الشهيرة إلى باريس، وخفت صوت هذه الموجة بعد الثورة العرابية، بما جاء بعدها من

محاكمات ونفي وإحساس عام بخيبة الأمل ومجيء المحتل بعدها. هذا الجو العام أنهى كل شيء.

وهذه الموجة الأولى خلقت حالة يقظة بالنسبة للموقف من الغرب والتأثر بهذا الغرب مع الاقتصار على الترجمة عن الغرب، ومحاولة التوفيق بين الغرب والإسلام. وهذه الخطوط تقدمت متوازية مع بعضها البعض تقريباً.

لكن الذي لم يفعله رفاعة الطهطاوى تقريباً، أنه لم يستطع التوفيق بين الشرق والغرب، أو بيننا وبين الغرب، إن شئنا الدقة. ولكنه وضعنا في مأزق، ذلك أن العقل المصري أصبح - بعد الطهطاوى - يمشى في طريقين في نفس الوقت، ويركب جوادين في نفس اللحظة؛ ذلك أن صعوبة التوفيق بين الموروث الحضاري للإسلام والعروبة، وبين المكتسب الوافد من الحداثة، كان صعباً في ذلك الوقت، وقد وصلت هذه الصعوبة إلى انعدام القدرة على تحقيق أي إنجاز في هذا الاتجاه.

وهكذا انتهى القرن، ابتداء من رفاعة الطهطاوي ووصولاً إلى محمد عبده، الذي يعد بداية الموجة الثانية التي جاءت بعد الثورة العرابية واستمرت حتى ثورة ١٩١٩. ومن وجوه هذه الموجة أحمد لطفي السيد، وكل حركة الأحرار الدستورين والحزب الوطني وحتى ثورة ١٩١٩. وهذه كانت الموجة الثانية التي أعطت ما عندها بثورة ١٩١٩، وانتهت بإعلان الحماية وجاءت ثورة ١٩١٩ لتمثل الذروة. ثم وصلنا إلى تصريح ٢٢ فبراير ولم يعد لديها جديد تحت وهم أن الاستقلال قد تحقق.

وهكذا نجد أن الموجة الأولى وصلت إلى الثورة العرابية. والموجة الثانية أخذها الشيخ محمد عبده إلى ثورة ١٩١٩. وكان في هذه الموجة الشيخ علي يوسف والشيخ الغاياتي والشيخ رشيد رضا، ومصطفى كامل، والجماعة التنويرية التي كان من بين رموزها شبلي شميل، وهؤلاء انتهى دورهم مع

تصريح ٢٢ فبراير . وهو الذي أعطاهم الانطباع أن الأمور تمت، وأن الجميع يدخل على الاستقلال والمهام المرتبة عليه .

ـ وجاءت الموجة الثالثة؟!

. . **هيكل:** والذين جاءوا بها : كانوا عبارة عن الناس الذين ظهروا في مجال إنشاء الجامعة المصرية والأجواء التنويرية التي أحاطت بها، وهم الذين بدءوا دورهم العلمي بعد ثورة سنة ١٩١٩ . هذه الموجة فيها طه حسين وتوفيق الحكيم وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وأحمد أمين . هؤلاء هم الذين يمثلون الموجة الثالثة التي هي في واقع الأمر الموجة التي وصلت بالبلاد إلي الحرب العالمية الثانية . وبمجرد أن اقتحمت حياة مصر والمصريين الحرب العالمية الثانية، ودخلت بقضها وقضيضها في وجودنا . حتى يمكن القول إن هذه الموجة الثالثة وصلت إلى نهايتها . من الصعب أن يقال إن هذه الموجة أو تلك قد فشلت . يمكن فقط القول إن هذه الموجة أو تلك قد قامت بمهمتها، وأدت المطلوب منها في حدود طاقتها، حملت حياة معينة إلى أن وصلت إلى شاطئ معين، وانتهى دورها عند هذا الشاطئ .

ـ ثم جاء جمال عبد الناصر، وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . كيف كان المشهد؟ ابتداء من المقدمات، وصولاً إلى العلاقة ـ في هذا المنعطف الخطير ـ بين جمال عبد الناصر وجماعة المثقفين؟!

. . **هيكل:** لابد أن نتذكر هنا أن الحرب العالمية الثانية قد جاءت معها بمستجدات قلبت العالم الذي كان قائماً وقتذاك . لم تكن مصر ـ في ظل الموجة الثالثة ـ مستعدة لها أبداً؛ لأنها جاءت لها بأكثر مما تستطيع احتماله أو استيعابه أو حتى التعامل معه .

الموجة الثالثة كانت موجودة في ظل حماية، أو في قلب المناخ المحمي أو المغلق أو المقفول، وذلك في ظل الصراع بين الوفد والإنجليز والسراى، وبأن

مصر لها علاقة ثنائية وحيدة مع إنجلترا ومحمية بكونها في عزلة وبعيدة عن العالم العربي، ومعزولة عن محيطها. كانت مصر تعيش في حدود بيت مغلق الأبواب والنوافذ.

الحرب العالمية الثانية جاءت وأطاحت بهذا كله، وربطت مصر بمحيطها العربي، ومدت أسبابها بأسباب العالم العربي، وجذبت لمصر أفكاراً جديدة تماماً، مثل الماركسية والليبرالية والعدل الاجتماعي، أفكار قلبت الدنيا كلها. جاء هذا كله في وقت كانت الموجة الثالثة قد انتهت أو أوشكت على الانتهاء.

ولهذا نجد أن أعظم الأعمال التي أنتجتها نجوم الموجة الثالثة عندما وصلت مصر إلى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، كانت هذه الأعمال قد صدرت وانتهى الأمر.

وهذه من المآسي الحقيقية التي جرت في أرض الواقع.

قبل هذا كانت التغيرات محدودة، بمعنى أنه كان من الممكن أن تجد أناساً قبل الثورة العرابية يستطيعون الكلام في مرحلة الموجة الثانية، وهي الموجة التي أتت بعد هذه الثورة، تجد شعراء موجودين وتجد أن النفس الموجود عند أحمد شوقي في الموجة الثانية، هو نفس النفس الذي كان موجوداً عند البارودي في الموجة الأولى. لم يكن هناك انقطاع أو قطيعة. إن هذه - بطبيعة الحال - هي رؤيتي الشخصية لهذه القضية.

في الشعر والرواية والقصة، أي في الأشكال الأدبية المعروفة، كان يمكن لبعض المدارس أن تعيش بعد فتراتها وأزمنتها.

لكن المشكلة التي حدثت وتسببت في الأزمة كلها عندما جاء عالم ما بعد الحرب الثانية - بقضه وقضيضه - مرة أخرى - ووصل إلى مصر كانت الموجة الثالثة قد أعطت كل ما كان عندها، ولم يتبق لديها أي شيء.

جاء فساد الحرب وأغرق كل شيء، وكان معه طغيان الاحتلال، مثلما جرى في قناة السويس وحريق القاهرة. أصبح من الواضح أن ثمة عصر يتعرى وأن هناك عالما ينتهي. والأسوأ والأمر أنه كان في مواجهة هذا الظرف الدقيق والمفصل التاريخي المهم، أنه كانت هناك حالة من الإفلاس العامة.

وهكذا نجد أنه في الوقت الذي أعطي رموز هذه الموجة كل ما عندهم. ظهرت في ذلك الوقت موجتان، عبرتا عن تيارين، يحاولان صنع الموجة القادمة، وهما: التيار الماركسي الذي تصور أن عنده الحق في صناعة وإبداع الموجة القادمة، والتيار الإسلامي ـ الذي تصور أيضاً ـ أن عنده الحق والأهلية في أن يصنع وأن يبدع الموجة القادمة.

ومصر كانت ـ في ذلك الوقت ـ تعيش أياما عبارة عن مأزق الحياة الاجتماعية. كانت أوضاعها متعبة بل ومضنية وظروفها كانت قلقة. ورموز الموجة الثالثة، توفيق الحكيم وطه حسين وعباس محمود العقاد، كل واحد منهم أعطى جميع ما عنده، أكثر من هذا أن مواقعهم كانت قد تغيرت وتبدلت.

مثلاً، عباس محمود العقاد الذي بدأ حياته كاتباً لسعد زغلول انتهى إلى كونه كاتب الملك فاروق. وطه حسين الذي بدأ كاتباً للأحرار الدستوريين انتهى وزيراً للتعليم عند حزب الوفد.

هذا كله كان فيه تخل عن مواقف، وهجرة من موقع لموقع. لم تكن مجرد هجرة. يمكن القول إنها كانت حالة من الفوضى؛ لأنه عندما تغيرت المعالم وعندما أتت كل التيارات هنا، لم تكن البلاد ولا مفكروها مستعدين لكل هذا القادم والوافد الجديد.

مازلت أذكر حتى الآن التأثير الذي أحدثه حادث ٤ فبراير، لم يكن هناك

أحد يشعر بحالة غضب من الملك، لكن الناس جميعاً كانت تشعر بالغضب من الإهانة التي حدثت للبلد كله، لمصر بمجموعها، بصرف النظر من المخطئ. ومن الذي تنازل في هذا اليوم بالذات.

عندما يشعر الإنسان بالضيق من إنسان رمز، فإن هذا الضيق يكبر بمدى كبر هذا الرمز. وهذا يجعل الإهانة تتعدى الدائرة الضيقة وتصل حتى إلى المواطن العادي. وتتعدى الرمز وتجعل الإنسان العادي يشعر بها أكثر من إحساس الرمز بها.

إنني أبحث عن التعبير الذي يمكن أن يصف ما جرى. هل يمكن أن نقول «عاليها سافلها» العالي يصبح في الأسفل، ومن في الأسفل يصعد إلى الأعلى. إن الناس تتغير مواقعها، وربما لم يدرك نفس هؤلاء الناس إلى أي مدي تغيرت مواقعهم وتبدلت أماكنهم.

ـ قلت إن طه حسين كان قد قال ما عنده قبل الثورة، وإن العقاد كان قد قال ما عنده ـ أيضاً قبل مجيء الثورة ـ وأنهما معاً بدلا مواقعهما، لكن هذا الحال ألا ينطبق على توفيق الحكيم أيضا؟!

. . **هيكل:** اعتقادي أن توفيق الحكيم لم يأخذ موقفًا سياسياً أبداً؛ لأنه عندما أتى كانت كل المواقف قد اتخذت، طه حسين كان قد أصبح رجل الأحرار الدستوريين. والعقاد كان قد أصبح رجل الوفد. المراكز كانت قد توزعت، ولم يحصل الحكيم على أي شيء، لأنه كان آخر من جاء منهم، ولذلك ظل الحكيم حائراً، بعد ذلك أصبح المفكر الحائر والمثقف الحائر، والكاتب الحائر. وسواء أكانت الحيرة تعبيراً عن استقلال أم عن حيرة، لكن على أي الأحوال، كل أبناء هذا الجيل قد أعطوا ما عندهم وانتهى الأمر تقريباً.

- ألم يكن من المفروض مجيء موجة رابعة مع الأجواء التي صاحبت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢؟!

. . **هيكل:** كان من المفروض أن يحدث هذا، لكن الذي حدث أن كان هناك تياران يتنازعان الساحة، والمثقفون توزعوا بين هذين التيارين: التيار الديني والتيار الماركسي.

وهنا نجد أن المأساة الكبرى التي تتمثل في أن هذه الثورة التي جاءت بجديد سياسى، وبتصورات اجتماعية مغايرة لما كان سائداً، لا هي تيار إسلامى ولا هي الماركسية، ولا هي امتداد لليبرالية التي كانت قد أفلست خلال الحرب العالمية الثانية.

وهكذا نجد تفاصيل الصورة عندما نحاول أن نحققها من خلال كتاب بعينهم، أي نحاول أن نؤنسن الصورة.

سنجد أن خالد محمد خالد كان يتكلم عن أمور كلها إسلامية، وكان قد أصبح رمزاً من الرموز. وعبد الرحمن الشرقاوي كان يتكلم في الناحية الأخرى في أمر يدور حول رؤى اليسار. وقتها لم يكن إحسان عبد القدوس قد تحول إلى الأدب بعد. ويوسف السباعي كان مجرد ضابط في الجيش المصري. ولويس عوض لم يكن قد عاد من بعثته إلى أوروبا.

إن الكلام هنا عن موجة رابعة بدأت، وهي بدأت فعلاً، لكنها بدأت موزعة بين مدارس مختلفة، ولم تختبر في أرض الواقع، بينما الموجة الثالثة كانت قد انتهت فعلاً.

واقع الأمر أنهم جاءوا في ظل وجود جزء من الحيرة الكبرى، كانت تعبر عن نفسها بخلل فادح في المجال الثقافي، ولذلك جاء فتحي رضوان ليقول: وزارة للثقافة. مع أن الثقافة - عادة - ليست في حاجة إلى وزارة. يمكن أن يكون هناك وزير دولة للشئون الثقافية، يهتم بالتبادل الثقافي.

ـ سميت الثقافة والإرشاد القومي في البداية؟!

. . **هيكل:** فتحي رضوان هو الذي أطلق هذا التعبير. وكان الإرشاد القومي مع الثقافة. كان يقال: الثقافة والإرشاد القومي. إن تعبير الإرشاد القومي، أعتبره من التعابير الغليظة. إرشاد قومي لمن؟ إرشاد من؟ ونرشده لماذا؟!

الإعلام والثقافة هي أمور من الناس. الناس تحاول أن تحققها لنفسها، تسعى إليها، ولا تعطيها الدولة للناس. أي إنسان يحاول أن يقول ما عنده، ويسمع ما يريد أن يسمعه، ويرى ما يريد أن يراه.

اختيار الناس مسألة جوهرية، ولا يجب أن نمارس معهم الإملاء، وإن تدخلت الدولة وأعطت يكون هناك خلل ما.

هذا هو المأزق الذي وجد الجميع أنفسهم في مواجهته ثقافياً، وهذا هو الذي سبب الأزمات التي فاجأت الكل فيما بعد، ووجد الجميع أنفسهم في مواجهتها.

ـ تولى الأستاذ وزارة الإعلام في زمن عبد الناصر والأستاذ يفسر توليه وزارة الإعلام ويقول:

. . **هيكل:** كنت أريد أن أصفى الوزارة في الفترة التي توليت فيها وزارة الإعلام، وكان ذلك هو هدفي من قبول الوزارة.

ـ وهذا كلام قيل وقت توليه وزارة الإعلام؟!

. . **هيكل:** قلت هذا الكلام وأعلنته وقتها. هذا عن الكلام، وعن الفعل أقول إنني قمت فور توليتي وزارة الإعلام بإنشاء اتحاد الإذاعة والتليفزيون. وكان الدكتور مصطفى خليل أول رئيس للاتحاد، ومع هذا فإن هذا موضوع آخر يحتاج إلى كلام مستقل.

ـ هل قبل جمال عبد الناصر كلامك عن تصفية وزارة الإعلام، وقيام اتحاد الإذاعة والتليفزيون كبديل لوزارة الإعلام؟!

. . **هيكل:** طبعاً قبل عبد الناصر هذا الكلام، ولكن على مراحل. وذلك بمعنى أنني عندما عرضت عليه مشروعي، وقلت له سأجعل من الإذاعة والتليفزيون سلطة مستقلة، واخترت رئيساً لها، رجلا كان نائباً لرئيس الوزراء، وهو الدكتور مصطفي خليل، ورتبت له أن يذهب إلي إنجلترا لكي يدرس نظام هيئة الإذاعة البريطانية. وعملنا مشكلة مع مجلس الدولة لأنه لايجوز بمقتضى القانون ـ إنشاء أي هيئة لا يرأسها وزير أو في إطار وزارة ـ وذلك من أجل تحديد المسئولية الوزارية، لأنه من الناحية الإدارية لابد أن تتبع أي هيئة لوزير.

وبدأنا بتغيير هذا القانون.

وفي إنجلترا، تعرف الدكتور مصطفى خليل على نظام هيئة الإذاعة البريطانية وقام بدراستها كهيئة مستقلة لها ميزانيتها وسياستها المستقلة. والصحافة كان الكلام فيها عن التعاونيات. وأصدرنا ـ على هذا الأساس ـ قانون الصحافة العربية المتحدة، الذي يقول إن قانون تنظيم الصحافة ليس تأميماً، ويفتح الطريق لعمل الجمعيات العمومية. وهكذا تصبح الصحافة مملوكة للعاملين بها وتؤجر لهم. الاتحاد الاشتراكي العربي يمتلك الرخصة فيؤجر الأهرام ٢٥ سنة، إلى أن تحل المسألة والجمعية العمومية هي التي تختار مجلس إدارة الجريدة، والجريدة بذلك تصبح هيئة عامة مستقلة.

وعلى هذا الأساس قلت إن إنشاء مصلحة الاستعلامات كان خطأ. والفكرة التي كانت تقف وراء ذلك أن تعلم الناس عن كل الوزارات. هذا في حين أن في وزارة الخارجية قسم صحافة. كل وزارة فيها قسم للصحافة. فتم إنشاء هيئة مركزية واحدة. وكان رأيي أن هذا خطأ. كان المطلوب

أمرين: أولهما إعادة هذه المكاتب الصحفية إلي الوزارات؛ لأن الخارجية يمكن أن يكون لها المتحدث الرسمي الخاص، وهكذا في كل وزارة. وأما الرئاسة يكون هناك المستشار الصحفي للرئيس، ويكون هو المتحدث الرسمي باسم الرئاسة. ولذلك كان الهجوم الموجه إليّ من الاتحاد الاشتراكي، كانوا يقولون إنني جئت من أجل حل وزارة الإعلام.

قالوا إنني لا أريد أن أكون وزيراً للإعلام. في حين أنني أتصور أنني كنت أستطيع أن أقدم خدمة هائلة للدولة، لو تم ما كنت أريد القيام به. إن من يقرأ قانون اتحاد الإذاعة والتليفزيون، القانون القديم الذي أعددته، وهو القانون الذين غيره من جاءوا بعدى، احتفظوا باسم الاتحاد ولكنهم غيروا القانون، ألغوا الاستقلال المالي والاستقلال السياسي، كل هذا ألغى بعد أن كان جمال عبد الناصر قد قبله.

ـ لنعد إلى الموجات. كيف كان حال المثقفين وقت وصول عبد الناصر إلى الحكم، كيف كانت الصورة؟!

. . **هيكل:** ضع في ذهنك أن الموجة الثالثة، كانت قد انتهت قبل مجيء عبد الناصر بسبب الحرب العالمية الثانية وظروفها. والموجة الرابعة التي كان من الممكن أن تخرج كانت محكومة بتيارين أساسيين الماركسية والتيار الديني، وبقايا حالمين بالليبرالية من بقايا ما كان قديماً.

تعال ننظر إلى جريدة المصري القديمة، نادت بعمل انتخابات بجوار أمور أخرى لا أريد الدخول فيها. ثم يظهر لنا فيما بعد أن أصحاب جريدة المصري كان طلبهم الحقيقي عقود امتياز شركات أتوبيس، لكنهم حاولوا أن يظهروا خلافهم مع جمال عبد الناصر على أنه خلاف سياسي، وجمال عبد الناصر كان مقتنعاً بهذا من الأول، لكنه وجد أن التغيير الاجتماعي لم يحدث؛ ولذلك فإن الانتخابات ستكرس أوضاعاً سابقة؛ لأن ملكية الأرض ـ مثلاً ـ

ظلت مثلما كانت ولم تتغير، وعبد الناصر كان صاحب مشروع تحديث ومشروع إعادة بناء.

ـ هل كان الهدف من المشروع دعم موقف الجيش؟!

. . **هيكل:** على عيني وعلى رأسي، لا مانع في هذا، المهم والأساس أنه رجل تهمه فكرة التجديد والتحديث والتقدم، وأقبل عليها. لا يمكن أن يكون هناك حاكم يبقى موضع مناقشة دائماً وأبدا، حتى بعد مرور أكثر من ربع قرن على رحيله. سنة ٢٠٠٠ تكون قد مرت ثلاثون سنة على رحيله. وفي يوليو ٢٠٠٢ تكون قد مرت خمسون سنة على القيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ومع هذا مازال الجدل مستمراً حول مشروعه وحول ثورته. إن هذا لا يتم إلا إذا كانت لديه فكرة قابلة للاختلاف أو الاتفاق معها وحولها. الحاكم الحقيقي هو الذي لا يموت بموته، ولكنه يبقى بعد هذا الموت.

ـ هذا ليس قاعدة مطلقة. ماذا بقى مثلاً من الرئيس السادات، ومن عباس باشا الأول، ومن الخديو توفيق، وعباس حلمي الثاني، مع اعتبار أنه لايمكن مقارنة أى منهم بعبد الناصر؟!

. . **هيكل:** أنور السادات بقى بفكرة السلام. هل السلام ممكن مع إسرائيل، أم أن ذلك مستحيل؟ عباس باشا الأول لا يوجد ما يجعل الناس تتذكره أبداً ولا يخطر بالبال. توفيق تذكره بدخول الإنجليز إلى مصر في أيامه. عباس حلمي الثاني برغم أنه كان محبوباً في زمنه وكانت له شعبية ما. لكن لا تذكره بشيء لأنه لا يرمز إلى فكرة. كل حاكم يبقى في التاريخ، تاريخ أمته ـ وربما تاريخ العالم ـ بقدر رمزه لفكرة. سعيد باشا ـ مثلاً ـ تذكره عند الكلام عن ملكية الأرض.

نابليون الذي مات مهزوماً، ولكنك تذكره بأنه أعاد بناء باريس، تذكره بقانون نابليون، تذكره بفكرة الوحدة الأوروبية التي كان يتكلم عنها. كان

جان جاك روسو يتكلم عنها قبله، والتي هي في الواقع الفكرة الإغريقية الرومانية التي أصبحت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ثم أصبحت الصليبية، التي حولت نفسها بعد ذلك إلى أوروبا، وكتب عنها كل المفكرين والمثقفين.

لا يمكن أن يبقى أحد من الرؤساء أو الزعماء إلا إن كان مرتبطاً بفكرة من الأفكار التي يمكن أن تؤثر في التاريخ وقد تغيره أو لا تغيره، ولكنها تبقى من الأفكار الجوهرية والأساسية في تاريخ البشرية.

- في هذه الفترة، هل كان عبد الناصر قريباً من المثقف أكثر أم من نتاجه الثقافي؟!

. . **هيكل:** عندي مثال. قرأت شيئاً ما لطه حسين، أو شيئاً للعقاد، وأنت معجب بعقل طه حسين أو بعقل العقاد، لكن هذا الإعجاب قد يختلف مع كل مواقفه السياسية، في هذه الحالة، أيهما أقرب إليك: نتاج الكاتب أم شخصه؟ في حالة قد تكون شخصية الكاتب، وفي حالة أخرى قد يكون نتاجه. لا توجد هناك قاعدة في مثل هذه الأمور يمكن القياس عليها بصورة مطلقة.

سؤالك عن جمال عبد الناصر وإعجابه هل هو بشخص الكاتب أو الأديب أو نتاجه الأدبي والفكري؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال. لابد من تكرار فكرة سبق أن عبرت عنها أكثر من مرة من قبل. أصل المشكلة أن جمال عبد الناصر عندما جاء إلى السلطة كان المشروع التحديثي الخاص بالأحرار الدستوريين والحزب الوطني ولطفي السيد وهيكل باشا. وكل هذه المجموعة كلها، حدثت لها قطيعة بين ما مضى وما جرى، وبين الموجة التي كانت توشك على أن تبدأ. هذا هو أصل المشكلة.

لقد كان الشيخ محمد عبده كان هو همزة الوصل المهمة بين ما قبل الثورة

العرابية وما بعدها، حتى سعد زغلول كان موجوداً في الوقائع المصرية قبل الثورة العرابية وأكمل بعدها كزعيم لثورة ١٩١٩ . كان هناك نوع من الاستمرار .

لكن المشكلة تتمثل فيما جري في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات ، حصلت قطيعة بين الراهن وبين ما سبق . وإن كان هناك رمز لهذه القطيعة هو حريق العاصمة الذي كان إعلاناً صارخاً ومدوياً عن إفلاس نظام بأكمله . لم يعد الملك قادراً، ولم يعد مصطفى النحاس قادراً، ولم يعد الإنجليز قادرين .

لقد اقتحم العالم عليك حياتك ، وأصبحت هناك أمور مختلفة تماماً عما كان سائداً من قبل، وهذا الاقتحام لم يتم بالجيوش فقط ، ولا بالتواجد فقط . إن هذا الاقتحام تم بالثقافة بالدرجة الأولى .

جاءت الماركسية ، وأمام تحدي الماركسية الذي فرض نفسه ، أصبح أمامها وفي مواجهتها التيار الإسلامى ، الذي كان موجوداً قبل ذلك كتحد للفاشية .

إن ما جرى بالضبط أن العالم جاء عندك إلى عقر دارك وقلب بيتك ، ولهذا بدت الصورة على النحو التالي :

- عندما تحدث بعضهم عن فكرة الليبرالية كان الوقت متأخرًا ، لأن الفكرة فشلت . ماذا يمكن أن يقال عن الفكرة بعد أن انتهت في أرض الواقع؟

الإخوان المسلمون قيل لهم : لقد كنتم مع النقراشي ورفعتم السلاح وتعمدت التجربة بالدماء ، وانتهى الأمر .

الماركسيون ، كان يقال لهم : أنتم رجال موسكو .

كان الجميع أمام إشكالية كبرى :

١ - تيار يبدو ضد التقدم .

٢ ـ تيار يبدو ضد الوطنية وضد الدين .

٣ ـ تيار تم تجريبه وأفلس .

المسرح الثقافي كان في حالة فوضى . أتصور أن طرح القضية هنا من خلال السؤال التالي : هل كان عبد الناصر أقرب إلى المثقف ، أم أقرب إلى نتاجه الأدبي؟ القضية أكثر تعقيداً من هذا . القضية كانت أن مصر أصبحت أمام ساحة يمكن القول عنها بدقة : عاليها سافلها .

وهذا هو ما فتح الباب لصراعات وحروب ومعارك تم معظمها في الظلام . وهذا هو الذي يصب في المأزق الذي نتكلم عنه الآن ، وهو المأزق الذي يجب الحديث عنه .

لقد حدث بمحض الصدفة أنني كنت قريباً ، أو بجوار جمال عبد الناصر ، وبالتالي رأيت الصورة من الداخل ، وشاهدت التفاصيل ، وعاصرت البدايات الأولى ، أن الكلام سيدخل إلى علاقته بتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى ونزار قباني ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس .

طبعاً هناك العلاقة بينه وبين طه حسين بشكل أو بآخر . إن الأمر يدور حول علاقته بكل المثقفين .

المحاورة السادسة

عبد الناصر والفنون

كل ما كان عنده قبل الثورة.. بقى معه وتطور.

كان يعمل على صوت أم كلثوم ويذهب إلى السينما ومسرح الريحانى.

ويسأل عن تسجيلات الشيخ رفعت.

ولكن ليلى مراد كانت مشكلة بالنسبة له.

- ماذا كانت علاقته بالسينما؟

. . **هيكل :** هذا الرجل كان محبا لفن السينما ، كنت أسمعه يتكلم عنها كثيراً . فى هذا الوقت كنا نتكلم عن الممثلين ، كان معجبا بمخرج بالذات اسمه : فرانك كابرا ، كان من أهم المخرجين فى زمانه . وحكى لى جمال عبدالناصر عن أول فيلم شاهده من إخراج فرانك كابرا . وكان عبدالناصر قد شاهد له قبل الثورة فيلمين ، الفيلم الأول كان اسمه : إنها حياة عجيبة ، شاهده جمال عبدالناصر فى سينما مترو . وهو كان يحب الذهاب إلى سينما مترو وهو ضابط .

- هل هى نفس السينما الحالية؟!

. . **هيكل :** هى السينما ذاتها ، لم تتغير . إنها السينما التى تم بناؤها فى زمن الحرب . وعلى أى حال يوم إعلان قرار تأميم قناة السويس ، كان عبدالناصر فى سينما مترو بالإسكندرية . كان قد شاهد فيلمين لفرانك كابرا قيل قبل الثورة . الأول قلنا عنوانه : حياة عجيبة ، والثانى كان عنوانه : مستر ديدز يذهب إلى المدينة .

وفرانك كابرا حدث له بعد ذلك فى بلاده أن حوكم ضمن محاكمات المكارثية ، وهى التى جرت لعدد من الفنانين والمثقفين فى أمريكا . هذا المخرج

أوقف عن العمل سنة ١٩٥١ ، وأرسل له جمال عبدالناصر سنة ١٩٥٢ ، حيث طلب من الدكتور أحمد حسين سفير مصر في أمريكا أن يحاول البحث عنه ، ويدعوه إلى مصر .

موضوع الفيلم الأول كان عن رجل استطاع أن يغير الحياة فى قرية واحدة ؛ لأنه آمن بفكرة مقاومة كبار الملاك الفاسدين ، واستطاع مواجهتهم وتغيير الحياة فى القرية انطلاقاً من هذه الفكرة . جمال عبدالناصر شاهد هذا الفيلم بمفرده حوالى أربع مرات ، وقد شاهدته معه فيما بعد ، وكان ذلك بعد الثورة .

ـ هل كان قد بدأ يشاهد الأفلام فى بيته !

. . هيكل : فى بيته ؟ ! كان قد أحضر ماكينة عرض . لم تكن عنده آلة عرض . كان يستعيرها من إدارة الشئون العامة فى القوات المسلحة ، ويعيدها بعد العرض . وكان هذا يحدث مرات عندما تكون عنده أفلام وثائقية أو أفلام عادية يريد مشاهدتها .

وقد أحضر لنا فيلم حياة عجيبة بعد أن تكلم معى عنه ، وهناك إشارة له فى كتابة فلسفة الثورة . كان دائم الكلام عن فرانك كابرا . وعندما كانت تحدث واقعة عجيبة وغريبة كان يقول إنه عالم عجيب ، أو إنها حياة عجيبة .

مستر ديدز يذهب إلى المدينة ، فيلم عن رجل سياسى من إحدى الولايات ، يذهب إلى واشنطن ، ويحب أن يصلح أحوال واشنطن ، وانتهى أمره إلى الجنون ؛ ذلك أن واشنطن كانت غير قابلة للإصلاح ، ولا حتى قادرة عليه .

ـ هذا عن السينما ولكن ماذا عن القراءة ؟ !

. . هيكل : فى ميدان القراءة ، جمال عبدالناصر كان مدينا بصورة أساسية لروايات الجيب التى كان يصدرها عمر عبد العزيز أمين . قرأ فيها مدام بوفارى .

ـ مع أنه كان يعرف اللغة الإنجليزية مثلاً؟!

. . **هيكل:** أعتقد أنه قرأ بعض الأعمال الأدبية من مصادرها المباشرة، وإن كان هذا لا يمنع القراءة المترجمة. لقد قرأ ماجدولين التى صاغ ترجمتها مصطفى لطفى المنفلوطى. وقراءته لم تتوقف عند حدود الأعمال المترجمة، فقد قرأ فى هذا الفترة رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم.

ـ وخطط وعلم فيها عن البطل الذى كانت مصر فى انتظاره؟

. . **هيكل:** إن أجزاء كبيرة جداً من الأدب الإنجليزى والأدب الفرنسى قرأها جمال عبدالناصر فى ترجمات لم تكن سيئة. وعندما حكى لى قصص هذه الروايات، يتضح أن الترجمة كانت مقبولة. وأنا رأيت هذه المؤلفات بنفسى بعد ذلك، وبعضها فعلاً كان مترجماً بشكل لا بأس به.

إن المترجمين أيامها كانوا يقومون بجهد حقيقي من أجل دقة وجمال الترجمة. كان في مصر على أدهم ومحمود محمود وقبلهم وبعهدهم: عمر عبد العزيز أمين. كانت فى مصر مجموعة من المترجمين الذين يأخذون العمل بصورة قريبة من الرسالة.

جمال عبد الناصر كان من أمانيه بعد ذلك إعادة روايات الجيب. كان رأيه أنها ترجمت من الأدب الفرنسى والأدب الإنجليزى والأدب الألمانى والأدب الروسى أعمالاً كثيرة جداً، استفاد هو منها، واستفاد أناس آخرون كثيرون مثله؛ لأنها كانت تباع بقرش صاغ.

وكان العدد فيه رواية والترجمة لا بأس بها. لقد قرأ جمال عبدالناصر فى هذه الفترة: الفونس دوديه، وإلكسندر ديماس صاحب الفرسان الثلاثة.

ـ واستمرت السينما بجوار القراءة؟!

. . **هيكل:** أذكر أن بعد الثورة بشهور كان هناك فيلم يعرض اسمه: «فيفا

زاباطا» عن الثورة المكسيكية ، أو عن محاولة إصلاح أحوالها ، وفى النهاية فشلت هذه الثورة وانتهت إلى لا شىء . وكنت قد ذهبت إلى السينما ، وشاهدت الفيلم وسعدت به وأعجبنى . اقترحت عليه أن يذهب معى إلى السينما ؛ فذهب ومعه عبد الحكيم عامر . وفى الأسبوع التالى طلب منى دعوته ومعه عبد الحكيم وعبد اللطيف البغدادى ، وكان معنا إما زكريا محيى الدين ، أو كمال الدين حسين ، وكانوا يشاهدون الفيلم للمرة الثانية .

ـ هل دفعت ثمن التذاكر؟ أم كانت هناك دعوة من السينما؟!

. . **هيكل :** لا لقد دفعت ثمن التذاكر كلها . من قال إن نظام الدعوات المجانية كان معروفاً فى ذلك الوقت؟

ـ ماذا تذكر الآن عن هذا العرض؟!

. . **هيكل :** كنا نجلس على شكل صف واحد . وعندما جلسنا ـ وأذكر هذا جيداً الآن ـ كانت الناس تنظر إلينا . وقبل أن يبدأ العرض ، سمعنا على الإله القوى الاعتماد ، بالنظام والاتحاد والعمل . وقد كان النشيد الخاص بالثورة . ووقف الجميع لحظة سماع النشيد ، والناس كلها كانت تردد هذا النشيد بحماس منقطع النظير .

ـ وماذا كان موقفه من الفنون؟!

. . **هيكل :** كان يحب الاستماع إلى أم كلثوم أساساً . كان يحبها جداً ويعشق أغانيها بشكل خاص . وبعد ذلك بسنوات ، عندما أصبح عنده مكتب فى منزله يعمل فيه ، ثم ظهرت الشرائط ، وقبلها كانت هناك أسطوانات . وكانت موجودة عنده دائماً . وصوت أم كلثوم كان يؤنسه فى كل وقت سواء الأسطوانات أو الشرائط . أذكر أنه كان يتكلم أمامى باستمرار عن إعجابه بأم كلثوم .

-وهل التفت للمسرح؟!

. . **هيكل:** طبقاً لما رواه لى بنفسه، أنه ذهب إلى المسرح وشاهد أكثر من عرض لنجيب الريحاني.

-نجيب الريحانى بنفسه؟

. . **هيكل:** طبعاً نجيب الريحاني.

-ومعاصروه؟!

. . **هيكل:** نجيب الريحانى والذين كانوا يقدمون العروض معه.

-كم مرة ذهب إلى مسرح الريحاني؟!

. . **هيكل:** قال لى إنه ذهب مرات وليس مرة أو مرتين. شاهد عدة مسرحيات للريحانى فى المسرح. كان الريحانى وقتها يمثل فى شارع عماد الدين فى مسرحه الذى كان أمام سينما كوزموس، وكان مسرحاً جيداً.

-هل شاهد يوسف وهبى. الطرف الآخر من المعادلة المسرحية المصرية فى ذلك الوقت. إن كان الريحانى هو الكوميديا فقد كان يوسف وهبى هو التراجيديا؟!

. . **هيكل:** حضر مرة أو مرتين عروضا مسرحية ليوسف وهبى، الذى كان يقدم عروضه على مسرح رمسيس ومسارح أخرى.

مستعد أن أقول: إن جمال عبدالناصر ذهب إلى الأزبكية أكثر من مرة. كان فى ذهنه دائماً كلام عن مسرح الأزبكية الصيفى وسينما الأزبكية الصيفية. وكان يتكلم عن أنهم فى الاستراحة يقدمون الخشاف، وكان يقول إنه ذهب إلى المسرح وشاهد المسرحية وأكل الخشاف فى الاستراحة وعاد إلى بيته فى الليل. لقد ذهب إلى المسرح الذى يضحك، وكان حريصاً فى نفس الوقت على الذهاب إلى المسرح الذى يبكي.

ـ ولوحة الفن التشكيلي والموسيقى الكلاسيكية!

. . **هيكل:** لو تكلمنا عن الموسيقى الكلاسيكية: بتهوفن أو موتسارت، أو فن الرسم أو النحت، لا أظن أنه اهتم بذلك. هنا لابد من القول إن كل إنسان يهتم بعدة أمور تشكل اهتماماته الأساسية أو سمع عنها، أو أن الظروف أتاحت له السفر من أجل رؤيتها بنفسه، وشكلت بعد ذلك اهتماماته الخاصة التى يحرص عليها حتى آخر أيامه.

لم يكن جمال عبدالناصر يغوى الموسيقى الكلاسيكية.

ـ حتى فى زياراته للاتحاد السوفيتي لم يستمع للموسيقى الكلاسيكية؟!

. . **هيكل:** مرات قليلة اقترب من الموسيقى الكلاسيكية، لكنني لا أظن أنه اقترب كثيراً، لكنه كان يقدرها ولو من بعيد.

أذكر أننا كنا ذات مرة فى الاتحاد السوفيتى، كانت هناك زوجة سفير لكندا اسمها: تريزا فورد. وكان زوجها اسمه: جون فورد، كان قبل ذلك سفيراً لكندا فى مصر. وكانت زوجته ـ السيدة تريزا ـ برازيلية، وكانت امرأة أنيقة ومثقفة، وكانت فنانة وخفيفة الدم. وعندما كانا فى السفارة الكندية فى القاهرة. كان عندهما منزل فى الزمالك، بيت جميل فيه حمام سباحة. وكنا نذهب مرات عندهما ونسهر عند تريزا فورد.

وفورد ـ السفير ـ نفسه كان غنياً جداً، وإن كان مصاباً بعاهة. وجاء سفيراً إلى القاهرة لأنه كان يريد الخدمة فى مصر. ثم نقل من القاهرة إلى الاتحاد السوفيتى. أول يوم وصلت إلى موسكو اتصلت بتريزا فورد. قالت لي: أهلا بك. متى وصلت إلى موسكو؟ تعال عندنا اليوم، ستجد أمراً ظريفاً وجميلاً.

ذهبت، كان هناك أويستراخ يعزف على الكمان، وكان هناك العازف الشهير

بالتيانو سيعزف فى اليوم التالى ، ونحن على الغداء ؛ حيث كان بريجنيف يقيم غداء للرئيس عبدالناصر . كان الرئيس يتكلم عن الأهرام . تساءل بريجنيف . إن كان الأهرام يكسب؟ وإن كانت الصحف تكسب عموماً؟

عبدالناصر قال لبريجنيف ، اسأل هيكل عن هذا الموضوع فهو يعرفه أكثر . من الذى دخل على الخط؟! أنه سوسلوف المنظر الأيديولوجى للحزب الشيوعى السوفيتى فى ذلك الوقت . تدخل فى الحديث بشكل أو بآخر وبدأ يلمح إلى أننى كنت سهران مع البرجوازيين ليلة أمس .

ـ كان الرئيس السادات يهاجمه دائماً ويصفه بالمتشدد؟

. . **هيكل :** السادات لم يعاصر سوسلوف ، ولم يحضره . عندما أصبح السادات رئيساً لمصر كان سوسلوف قد ذهب . وموقف السادات منه موقف انطباعى ولم يقم على أساس أى تجربة عملية حقيقية .

سوسلوف هذا هو الذى اكتشف كل الناس الذين غيروا الاتحاد السوفيتى بعد ذلك ، كان أكثر الماركسيين ماركسية ، كان مسئول لجنة التصنيف والتنظيم الحزبى فى الحزب الشيوعى السوفيتى . وبهذه الصفة كان يعرف جميع المواهب الجديدة فى البلاد ، والذين اكتشفهم وأعطاهم الفرصة هم الذين هدموا الاتحاد السوفيتى بعد ذلك ، ومنهم جورباتشوف وأندروبوف الذى كان مساعداً لسوسلوف ، إنه هو نفسه أندروبوف الذى أصبح رئيساً بعد ذلك . وكان مسئولاً عن المخابرات السوفييتية .

وإن كان هذا كله بعيدا عما نحن بصدده الآن .

قلت له ، أنا كنت فى السفارة الكندية ولا داعى لكل هذه الأوصاف . الرئيس عبدالناصر استغرب ، نظر إلىّ وسألني : أنت رحت السفارة الكندية؟! قلت له : نعم رحت . شرحت له : تريزا فورد كان زوجها سفيرا

لكندا في القاهرة. سهرت عندهما وتعشيت عندهما. لم يكن عندنا فى البرنامج أى عمل نقوم به فذهبت إليهما.

فى اليوم التالى، لم نكن قد غادرنا الاتحاد السوفيتى، ذهبت إلى تريزا فورد. وقلت لها: تسببت فى مشكلة لى، أنت وزوجك السفير. لقد حاولت إقناع سوسلوف أن السهر عندكم لم يكن سهراً عند البرجوازية. فقالت لي: يا ريت لو أن الرئيس - وكانت تقصد عبدالناصر طبعاً، يحاول أن يساعده - تقصد أويستراخ - فى الخروج من الاتحاد السوفيتى؛ لأنه عنده عروضًا كثيرة فى الخارج، وحرام أن يبقى مسجوناً هكذا. كانت عنده عروض من أمريكا ومن أوروبا.

حكيت الأمر للرئيس عبد الناصر. بعدها كان هناك الموعد الوداعى مع الجانب السوفيتى. وفى الموعد فتحت الموضوع، وقلت لسوسلوف وبرجينيف وكوسجين، والرئيس عبدالناصر كان موافقاً. وقال: لم لا؟ لم لا يخرج؟ ماتعطوه الفرصة للخروج. وفعلاً بعد عدة أشهرة خرج. لا أعرف إن كان ذلك نتيجة لتدخلنا، أم أن هناك عوامل أخرى تدخلت. ولكن المؤكد أن الرئيس عبدالناصر تدخل فى الموضوع، وقال: لم لا يسافر؟ رد عليه سوسلوف، قال: إن الغرب يغريهم. قال له: وما المانع من الإغراء؟ ستبقى الموسيقى الروسية فى وجدانه مهما تعرض للإغراءات من الغرب. سيبقى هذا الموسيقار لكم. هوه اسمه إيه؟! وضحكنا جميعاً.

- من كان يذهب إلى موسكو فى ذلك الوقت. كان لابد من مشاهدة البولشوى. مثل الذهاب إلى الأهرامات فى مصر؟!

. . **هيكل:** طبعاً كان عبدالناصر يحب الباليه جداً. وهذا الكلام عن المرحلة التالية. وكان عبدالناصر يحب يفتشنكو كشاعر، وإن كان لا يفهم مايقوله من شعر لأنه كان يلقيه باللغة الروسية. إلينا أولانوفا عندما أحضروها

إلى مصر ، وكذلك مايا فيروبليستسكايا ، إنهما من راقصات البالية الروسى . وكان الرئيس عبدالناصر شديد الإعجاب بالباليه ، وإن كان هذا لا يعد إعجاباً بالموسيقى الكلاسيكية ، ولا بهذه المنظومة كلها .

عندما نتكلم عن الباليه ، فنحن نتكلم عن فن يستوعب عدداً كبيراً جداً من الفنون ، ويمكن أن تحبه لأنه خفيف وما لا تدركه فى الصوت قد يعوضه الضوء ، وما لا تدركه فى الضوء ، قد تعوضه الملابس والألوان .

هناك أناس كثيرون لا يوجد عندهم تذوق الموسيقى الكلاسيكية العالمية . لكن الباليه بالنسبة لهم شيء آخر ، فيه الحركة أسرع وأكثر وتخلو من التجريد . أنت لا تسمع صوتاً مجرداً ، ولك أن تتخيل مدى دلالته . هذه قضية أخرى تماماً . اعتقادى أن الفنون التشكيلية لم يكن له فيها كثير .

ـ هذه الفترة كانت جزءاً من زمان ليلى مراد غناء وتمثيلاً ، ألم يحدث تماس بينهما؟!

. . **هيكل :** حالة التماس وقعت مع ليلى مراد عندما حدثت مشكلتها مع وجيه أباظة ، وهذا جرى بعد الثورة . ولم أكن أحب الخوض فى مثل هذه الأمور ، عموماً لقد تزوجت من وجيه أباظة وأنجبت منه ولداً .

ليلى مراد كانت تمثل له مشكلة . ضابط من الضباط الأحرار ، كان وجيه أباظة ـ يرحمه الله ـ وهو واحد من أحسن الضباط الأحرار ، كان مسئولا عن الشئون العامة للقوات المسلحة ، وكانت تنظم حفلات للمطربين والمطربات فى الريف دعماً للثورة الجديدة ، فى هذا الوقت كانت الشئون العامة للقوات المسلحة تلعب دوراً كبيراً جداً ، وجزء منه مهم وإيجابى جداً .

فى هذا الوقت كان وقت جمال عبد الناصر يمكنه من المحافظة على ما عرفه من قبل ومن قديم ، ويضيف إليه الجديد الذي أصبح جزءاً مما كان يعرفه من قبل .

لكن يمكن القول إن غرامه الأساسى كمستمع منحه لأم كلثوم كمطربة، وأنه حافظ على هذا الغرام باقي عمره كله.

ـ فى هذه المرحلة ألم يلفت نظره ترتيل القرآن الكريم؟ كان هناك نجوم كبار فى هذا الميدان؟!.

. . **هيكل:** في الواقع أن الشيخ مصطفى إسماعيل لفت نظره فى أول مرة سمعه، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد أيضاً أحدث عنده نفس الأثر، وإن كان من الصعب علىَّ أن أفتى فى هذه الناحية.

لكن من المؤكد أن الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبد الباسط عبدالصمد كانا الأقرب إلى قلبه. وقد تذكرت الآن بتأثير السؤال: أن جمال عبدالناصر سأل ذات مرة عن تسجيلات الشيخ محمد رفعت، واكتشف وجود تسجيلات قليلة جدًا له في الإذاعة وأبدى دهشته لهذا الأمر.

ـ وما نسمعه الآن من تسجيلات الشيخ رفعت أين كانت؟!

. . **هيكل:** هذه قصة لابد من حكايتها: أم كلثوم كانت صاحبة فكرة تسجيل أداء الشيخ محمد رفعت للقرآن الكريم، لكن الشيخ رفعت كان يرفض ذلك باعتبار أنه لو جرى تسجيل القرآن كله بصوته قد يتم الاستغناء عنه، وهو كان يحصل على أعلى أجر عن ترتيل القرآن الكريم، وهو ٣٠ جنيها فى الساعة، وهو أجر كبير بمعيار ومقياس زمانه.

أم كلثوم اتفقت مع سعيد باشا لطفى وكان مدير الإذاعة، أن يسجل للشيخ رفعت بعض الأسطوانات أو الشرائط على سلك، دون علم الشيخ محمد رفعت، وعندما عرف بالتسجيل غضب غضباً شديداً، وذهب إلى الإذاعة وحصل على الأسطوانات والشرائط كلها، لكن بقى عند الإذاعة من عشرة إلى اثنى عشر شريطاً، لم يحصل عليها الشيخ رفعت عندما طالب بتسجيلاته كلها.

إلى جانب أن هناك بعض الهواة من محبى وعشاق صوت الشيخ محمد رفعت، ومنهم عاشق اسمه زكريا باشا مهران، سجل على أجهزة بدائية قراءات للشيخ محمد رفعت من الراديو الذى كان يذيعها؛ ولذلك تجد أن معظم هذه التسجيلات مشوشة وفيها خروشة وتفتقر إلى نقاء الصوت الذين كان يميز صوت الشيخ محمد رفعت.

الأشرطة التى سجلها سعيد باشا لطفى بتحريض من أم كلثوم، أخذها الشيخ رفعت لأنه عمل مشكلة ومأساة كبرى، وقال إنه سيرفع قضية على الإذاعة، ولا أذكر من الذى توسط فى ذلك الوقت من أجل حل المشكلة بين الشيخ رفعت والإذاعة وردوا له بعض هذه التسجيلات.

سؤال الرئيس جمال عبدالناصر عن تسجيلات الشيخ محمد رفعت هو الذى فجر قضية البحث عن هذه التسجيلات. واتضح لنا أن كل الموجود عبارة عن بقايا تسجيلات الإذاعة له، وتسجيلات بعض الهواة، وكانت هناك بعض التسجيلات النادرة له عند أم كلثوم ولا أعرف مصيرها، وهى كلها ليست كثيرة، ومعظم هذه التسجيلات سجلت من الراديو، وكان أهمها ماسجله زكريا باشا مهران، وكان يسكن فى الهرم، وتقدم بعد موت الشيخ رفعت، وقال أنا عندى تسجيلات للشيخ رفعت وقدمها للإذاعة.

ـ فى هذه المرحلة من عمره ألم يتوقف أمام ظاهرة سيد درويش باعتباره أكبر عبقرية موسيقية مصرية ظهرت فى القرن العشرين كله؟!

. . **هيكل:** اهتم به كثيرا. وهنا أقول إن كل ما كان عنده قبل الثورة عبر بعدها. ومن المؤكد أنه قد زاد بعدها. كل ما طرأ عليه بعد الثورة. كانت مشاغله تحاول أن تأخذه منه، لأنه لم يصبح عنده وقت بسبب الدور الذى لعبه، والمهام التى كانت ملقاة عليه ولكنه كان حريصا على المتابعة.

قد تتصور أن جمال عبدالناصر كان رجلاً مثلنا يعطى الفن والثقافة مساحة

أكبر من الوقت بعد الحكم. جمال عبدالناصر منذ عودته من الفالوجا وهو يحضّر لحركة الضباط الأحرار. تستطيع أن تقول إن هذا الرجل كل ما لم يكن عنده سنة ١٩٥٠ لم يمثل شيئاً كبيراً فى حياته بعد ذلك. الذى كان يعرفه قبل ذلك ربما جرى تعميقه؛ لأنه اتصل به مباشرة. وأكبر مثال على ذلك هو أم كلثوم. أما ما كان بعيداً عنه وسمع عنه بعد ذلك وعرفه، لكنه لم يدخل حياته.

ـ وثقافة الطعام. أو المائدة بالنسبة له؟!

.. **هيكل**: إن موقفه من هذه القضية مهم جداً. فى سنة ١٩٥٦، وكنا نتعرض لحالة من الحصار الاقتصادى، وكان الرئيس جمال عبدالناصر يطلب من الدكتور عبد المنعم القيسونى وهو فى ذلك الوقت وزير الاقتصاد، يقول له: لابد من اختصار الواردات التى ترد إلينا من الخارج، نحن نستورد أشياء كثيرة جداً.

ثم حدث فى يوم من الأيام شد وجذب حول ما نستورده؛ فطلب الرئيس قائمة الواردات التى نستوردها من الخارج، وكانت هناك أشياء كثيرة فيها، لكن جمال عبدالناصر ذهل عندما اكتشف أننا نستورد طعاماً وليس قمحاً من هذه الأطعمة أنواع من الجبن الفرنسى، فواجراه، وأسماك، وسيمون ڤيميه.

ـ ماذا فعل عبدالناصر إزاء هذا الاكتشاف؟!

.. **هيكل**: هذا مازلت أذكره جيداً. قال وقتها للقيسونى؛ لأن القيسونى نظر إلىّ لحظة الكلام ـ كلام جمال عبدالناصر طبعاً ـ وبعد خروجنا معاً تكلمنا معاً عما قاله جمال عبدالناصر قال له:

ـ شوف بقى أنا كنت بكباشى فى الجيش وكنت أحصل على مرتب قدره ١٠٠ جنيه «فقط مائة جنيه مصرى لا غير» والشىء الذى لم أعرفه قبل الثورة لابد أن الشعب المصرى لا يحتاجه، وأمسك بالقلم وشطب كل أنواع الجبن،

وشطب السيمون ڤيميه وهو يتساءل : إيه دا يا دكتور؟ إيه دا يا دكتور؟ إيه دا يادكتور؟

القيسونى كان يكتم ضحكه طوال الوقت وينظر إليَّ، وعندما خرجنا من عند عبدالناصر ضحكنا . لم يكن المجتمع قد تقشف وقتها . كان الكلام فى زمن السويس وكانت البرجوازية ما تزال موجودة، وكانت كبيرة جداً والكلام عن التمصير فى بداياته، والقرارات الاشتراكية لم تكن قد صدرت بعد، وكان فى مصر ملاك العمارات والأراضى، ولذلك فإن الدكتور عبد المنعم القيسونى كان يستهول هذا الكلام .

وهكذا يمكن القول إنه فى الفن والثقافة كل ما كان جمال عبدالناصر يعرفه من قبل ترسخ وأصبح له أساس . والأشياء التى جدت عليه بعد ذلك سواء الثقافة السياسية والثقافة الصحفية والثقافة الدولية والثقافة القانونية، كل هذه كانت ضرورات . ولكن من المؤكد أن ما لم يكن موجوداً أصلاً، ومع ضغط الظروف، تم السعى إليه فى بعض الأحيان .

الكتاب الثالث

الثائـر

المحاورة السابعة

من الثورة إلى الأزمة

من سوء حظ الثورة أنها جاءت بعد سقوط المرحلة الليبرالية ورموزها.

ـ كيف كان حال المثقفين لحظة وصول عبدالناصر؟!

ومن أين نشأت هذه العلاقة الفريدة والمعقدة والمركبة؟!

. . **هيكل:** لابد أولاً من رؤية المؤثرات التى حكمت موقف ثورة يوليو من جماعة المثقفين، التى كانت موجودة لحظة وصولهم ـ جميعًا ـ إلى السلطة. لدينا مؤثران:

الأول: مجموعة المثقفين الذين كان من الممكن أن يلتقى بهم جمال عبدالناصر ورفاقه، والثاني مجموعة الأفكار التى كان من الممكن أن يلتقى بها.

فى اعتقادى أنه كانت هناك ثلاثة مصادر لمجموعة المثقفين:

الأول: مجموعة الناس الذين كانوا فى الدولة، أو طلبوا أن يكونوا فى الدولة، وجاء عبدالناصر ليجدهم، وذلك ابتداء من على ماهر وسليمان حافظ وعبد الرزاق السنهورى وآخرين من المستشارين.

المصدر الثاني: مجموعة الأدباء والصحفيين.

المصدر الثالث: مجموعة أساتذة الجامعات.

ـ هذا عن الأشخاص. ولكن ماذا عن الأفكار التي كانت سائدة؟!

. . **هيكل:** من الناحية الفكرية، سنجد أن الأفكار التى كانت موجودة كانت عبارة عن ثلاثة اتجاهات، وهى التى لا تزال مطروحة حتى الآن.

وسنجد الأدباء والمفكرين والصحفيين كانوا ـ ومازالوا ـ موزعين على هذه الاتجاهات.

الفكر الديني الذي يمثله الإخوان المسلمون، والفكر الليبرالي الذي كان متمثلاً وقتها في الوفد وتجربته، والفكر الماركسي المتمثل في الجماعات الماركسية في ذلك الوقت وأولها حدتو.

تعال نأخذهم بترتيب الاحتكاك. مجموعة.. مجموعة.

ـ ألم يكن من بين هذه الأفكار. فكرة تقوم على الانبهار بأوربا والارتباط بها؟!

.. **هيكل:** كانت هذه الفكرة موجودة عند الليبراليين، ولكننا نتكلم عن هذه الأفكار من زاوية تأثيرها على جمال عبد الناصر. وهذا هو الفيصل في ذلك وإلى حد كبير. وكان هناك عدد من الكبار والمؤثرين في مجلس قيادة الثورة معه.

أعتقد أنه كان هناك ـ في وقت ما من أوقات الثورة ـ سوء تفاهم حدث بين الثورة وبين الفكر والثقافة، وهو سوء تفاهم تاريخي.

ـ من المسئول عن وقوع سوء التفاهم؟!

.. **هيكل:** أعتقد أن الطرفين مسئولان عنه، لكن تعال نحاول أن ندقق أكثر من ذلك. نحن أمام مجموعة شباب ـ وبالذات جمال عبدالناصر ـ قادمين، ولكن بماذا؟ نستطيع أن نقول أن ما عندهم من الثقافة هو إحساس غامض وانطباعات عامة، لا يمكن أن ندعي لأي واحد فيهم أكثر من هذا، وأولهم ـ في هذه الناحية ـ كان جمال عبد الناصر. هناك إذاً إحساس بالتوجه العام، وهناك انطباعات بشكل أو بآخر.

تعال ننظر في التعامل مع فكرة الحريات عند الحديث عن الثقافة. في واقع

الأمـر فـإن الإنسـان يتكلم عن فكرة الحـرية ، عن جـوهر الإبداع ، عن فكرة التعامل مع الجمال فى أبسط صوره .

نتوقف أولاً أمام مجموعة السلطة . ومن سوء حظ الثورة ، ومن سوء حظ مصر أيضًا ، أن الثورة قامت أو جاءت - وهذا طبيعى وكان لابد أن يحدث إلى حد ما - والمرحلة الليبرالية كلها كانت قد انتهت ، ولم تنتهـه وحدها ، ولكن انتهى معها : مفكروها ومثقفوها ورموزها . لم يكن هناك أحد .

لم يكن من الممكن أن تأتى ثورة بهـذا الشكل ، ومن هذا الموقع ، بهـذه البساطة ، إلا لو كان المسرح كله فى حالة من الخواء والفراغ . تعال نتكلم عن الاحتكاك الأول بين هؤلاء الشباب والقوى القديمة التى كانت موجودة قبل الثورة .

- ويقترح الأستاذ البدء بسليمان حافظ والسنهوري؟!

. . **هيكل :** تعـال نقـرأ فى مذكـرات سليمـان حـافظ ، التى نشـر بعـضهـا الأستـاذ عبـد الله إمـام فى جـريدة العـربى الناطقـة بلسـان الحـزب العـربى الناصرى ، وهو الذى وجدها وعثر عليها ونشر بعضها . إنها المذكرات شديدة الأهمية .

- عدت إلى هذه المذكرات بمعرفتي والاقتباسات الواردة منها - جاءت من خلال قراءتي لما نشر منها في جريدة العربي الناصري؟

. . **هيكل :** هؤلاء الشبان جاءوا - وجمال عبدالناصر بالتحديد - كانت عنده فكرة واضحـة ، إنه لابد من إجراء انتـخابات حرة ، يعـودون فيـهـا وبهـا ومن خلالهـا إلى الشعـب ، والشـعب يقـول كلـمتـه عبـر هذه الانتـخابات ، ويسلـم الحكم لمن تأتى به الانتخابات ، ويعود الجيش إلى الثكنات مرة أخرى .

ولكن النـاس الذين كـانوا حـوله ، والذين أتوا من أجـل مسـاعـدته ، طلبـوا رئيس وزراء جديدًا ونظيفًا ومشهودًا له وحـازمًا ، كان هذا التصور موجودًا فى

مجلس الدولة غداة الثورة - بطبيعة الحال - الدكتور السنهورى باشا كان رئيس المجلس، وسليمان حافظ، كان وكيل مجلس الدولة فى ذلك الوقت.

سليمان حافظ كان أول من اتصل بثورة يوليو بطريقة طبيعية؛ لأن مجلس الدولة كان هو الجهة التى لابد أن تتولى تحضير وثيقة تنازل الملك عن العرش. أول واحد التقى به شباب يوليو من المدنيين كان سليمان حافظ.

هل تعرف أن لقاءهم مع سليمان حافظ تم قبل اللقاء بعلى ماهر نفسه؟ على ماهر كانوا يسمعون عنه وطلبوا تعيينه رئيس وزراء عندما كانت الناس كلها فى الإسكندرية. لكن سليمان حافظ عندما انتهى من تحضير الصيغة الخاصة بالتنازل عن العرش. ذلك أنهم عندما طلبوا من على ماهر توجيه الإنذار للملك، كان على ماهر «مخضوضًا» من الملك ومن هذه المهمة؛ لذلك سألوا مجلس الدولة عن الكيفية التى تكتب بها هذه الصيغة من الناحية الدستورية، وكلفوا سليمان حافظ، وكتب الصيغة وعرضها عليهم.

سليمان حافظ أول من رآهم، وهذا يعطى مذكراته أهمية من نوع خاص، وهذه المذكرات أرسلتها أسرة سليمان حافظ إلى لجنة كتابة التاريخ التى كان يرأسها الرئيس حسنى مبارك عندما كان نائبًا، وكان مقر هذه اللجنة فى قصر عابدين، وعائلة سليمان حافظ هى التى قدمت هذ الأوراق إلى اللجنة. ومن قراءة هذه المذكرات، يمكن أن نتأكد أن أناسًا كثيرين سقطوا من عين هذه الثورة وسنجد - فى هذه المذكرات - جذور وأسباب عملية السقوط هذه.

ما حصل فى أول ترتيب. إن الملك تنازل عن العرش. سليمان حافظ ذهب إليه ومعه صيغة التنازل. الفكرة كانت أن جمال عبد الناصر طلب إجراء انتخابات متأثرًا فى هذا الطلب بعدة اعتبارات، أولها مناخ ١٩٥٢. الملك كان

قد أقال وزارة الوفد بعد حريق القاهرة، وجاءت وزارات أقليات، كان يتم حلها بعد تشكيلها بفترات محدودة للغاية، ومجلس النواب معطل، لكنه لم يحل، لأن على باشا ماهر عندما شكل وزارة يناير بعد حريق القاهرة وإقالة النحاس، كان رأيه ألا يحل المجلس، وأن يبقى ورقة مساومة مع الوفد حتى تحول دون دخول الوفد فى فرقعات سياسية غير محسوبة.

كان أول اقتراح من على ماهر أن مصر تحتاج ستة أشهر على أقل تقدير. وكان رأى سليمان حافظ أن مجلس الوزراء تنقل إليه جميع السلطات، سلطة الملك وسلطة الوزراء معًا، والاثنتان معهما سلطة التشريع؛ إذًا يصبح عند الوزراء سلطات: السيادة والتشريع والتنفيذ.

السنهورى باشا قال تعليقًا على ذلك إن هذا الكلام معناه أن يجتمع لهذا المجلس من السلطات الشرعية مالم يجتمع من قبل فى تاريخ مصر لأى مجلس، لأنه سوف يصبح بهذا الشكل مستودعًا للسلطة التشريعية وسلطة الملك الدستورية، إلى جانب السلطة التنفيذية التى يقوم بها المجلس.

ضع نفسك إذًا مكان هؤلاء الشبان الذين كانوا حديثى السن فى ذلك الوقت، وجمال عبدالناصر منهم، نحن نتكلم عن شباب فى الثلاثينيات، استعانوا بعدد من المستشارين الكبار علما وسنا. فماذا فعل هؤلاء المستشارون؟!

يقول سليمان حافظ، إن على ماهر كان رأيه إنه بمرور الستة أشهر التى يحكم فيها - حكما مطلقًا - تكون الثورة قد أدت مهمتها وانتهت، وينتهى الموضوع عند هذا الحد. وهكذا نجد أنه من اليوم التالى لخروج الملك، كان هناك من يريد أن يرث الثورة، ليس هذا فقط، ولكنه يريد أن يرث العرش، بطريقة لم تكن مقبولة.

لك أن تتخيل، كيف كان يمكن لهؤلاء الشباب أن يتصوروا الأمور. تعال

نواصل النظر فى هذه المذكرات المهمة والتى تعد شهادة خطيرة على هذه المرحلة، مقدمة من وجهة نظر مدنى كان فى قلب قلب الأحداث.

يقول سليمان حافظ: إن هؤلاء الشباب يقولون إن هذا الكلام لا يصلح أبدًا. لقد خلعنا الملك القديم، ولكننا لم نلغ الملكية، لابد أن يكون هناك مجلس وصاية والسيادة تنقل إليه. ولكن على ماهر لم يكن يريد وجود مجلس وصاية. وحدثت خناقة بين السنهورى وعلى ماهر نجدها فى صفحة ٣٦ من مخطوطة مذكرات سليمان حافظ.

ـ فكرة التطهير التى دار كلام كثير حولها، والتجاوزات التى تمت تحت مظلتها. من أين نبعت هذه الفكرة أساسًا؟!

. . **هيكل:** إن الكل يتكلم عن فكرة التطهير باعتبارها من مشكلات ثورة يوليو، والكل ينسب هذه الفكرة إلى شباب يوليو. والمؤكد تاريخيًا أن هذه الفكرة لم تخرج تاريخيًا من مجلس قيادة الثورة. مجلس الثورة تكلم عن إخراج العناصر الفاسدة التى من المفروض أنها تاجرت فى السلاح فى القوات المسلحة، والذين كانوا يعملون ياورات للملك، والذين سهلوا له بعض مفاسده، وبعض مبازله والتشريفاتية والخدم.

ـ وماذا عن الذين حصلوا على مصروفات سرية من الملك قبل الثورة؟!

. . **هيكل:** كان ثمة كلام عنهم وعن رجال الحرس الحديدى. وكل هؤلاء كان الكلام عن تطهيرهم فى الأساس. وكان الكلام يدور حول القوات المسلحة أساسا. والحكومة فى ذلك الوقت، ومجلس الدولة بدأ كلام فى دوائرهما بأن الأداة الحكومية لابد من تطهيرها؛ فأنشئت لجان التطهير. كل هذا حسب فيما بعد على الثورة. واقع الأمر أن الذى أشار به ونفذه كانوا مجموعة من المدنيين.

إن هؤلاء الشباب يقولون لابد من إجراء انتخابات ويعود الأمر إلى

الشعب، وفى أذهانهم مصطفى النحاس، وهنا يوجد تأثير لأحمد أبو الفتح، حتى نكون واضحين، لأننا ستتكلم عنه عند الحديث عن المجموعات والتيارات.

.. هل كانت الدعوة لإجراء الانتخابات تشكل اقتناعا من مجلس الثورة؟!

هيكل: كانت قناعة جمال عبدالناصر شخصيًا. وبالتحديد أن تجرى انتخابات حرة. الفكرة التى كانت عنده فى ذلك الوقت يمكن القول إنها كانت فيها كثير من التبسيط الذي يصبح جزءا من سنه. كان تصوره أن الملك يمسك بعصا بيديه، هى الجيش، يضرب بها الشعب، فإن أخذت منه هذه العصا، لم يعد فى مقدوره أن يضرب الشعب، وبالتالى فإن الشعب الذى لايضرب يمكنه عمل أى شىء.

هذا تفكير فيه قدر كبير من التبسيط للأمور، ربما كانت إلى درجة رومانسية الشباب، وربما لم يكن من الممكن أن ينفع فى أرض الواقع، لكن هذا على أية حال ما جرى وما حدث.

* * *

بالعودة إلى مذكرات سليمان حافظ: نجد أن السنهورى وعلى ماهر، وهنا لابد من التوقف أمام حقيقة أن على ماهر كان عدو الوفد طول عمره، السنهورى باشا كان من أقطاب السعديين ثم أصبح رئيسًا لمجلس الدولة.

إذن يجمع بين الاثنين أنهما ضد النحاس باشا؛ ولهذا كان من الصعب أن يقبلا فكرة الانتخابات التى يمكن أن تأتى بالنحاس باشا، الذى هو العدو اللدود لكل منهما. الغريب فى هذه الفترة حالة استسهال الحلول القانونية،

يقولون لك - مثلاً - إن ثمة مشكلة هنا ، فتجد نفسك على الفور فى مواجهة حل المشكلة ، إنها شطارة تفصيل الحلول القانونية .

سليمان حافظ يقول : إنه كانت توجد مشكلة متعلقة بإنشاء مجلس الوصاية وإنها تحتاج إلى لعبة فنية وإلى قياس . هكذا كان يتكلم . ثم ذهب يبحث فى كلية الحقوق ويقابل عميدها فيهديه إلى الحل المناسب ، الذى يأخذ من القانون المدنى ويقيس عليه القانون العام .

ثم يذهب إلى هؤلاء الشبان ويقول لهم : لقد وجدنا لكم ليس حلاً قانونيًا ولكن حيلة قانونية . هذه مسائل مهمة جداً ونحن نتكلم عن علاقة الثورة بالمثقفين . هنا نجد أن المثقفين ، أو الذين من المفروض أنهم من المثقفين هم الذين أساءوا إلى فكرة المثقف ، حتى أساءوا إلى المسئولية الاجتماعية والسياسية للمثقف فى مواجهة مثل هذه الأحداث .

نجد أيضًا - ومع تطور الأحداث - أن السنهورى وعلى ماهر سرعان ما انتهى شهر العسل بينهما ، وبدآ فى الخلاف الذى وصل إلى الخناقات . السنهورى يعتقد أن مجلس الدولة من المفروض أن يكون رقيبًا على كل شىء يجرى أو يحدث أو يتم ؛ لأن هؤلاء الشبان قادمون من الجيش ، والذى يقدم لهم المخارج القانونية هو مجلس الدولة .

كان مجلس الدولة يريد فرض الوصاية على مجلس قيادة الثورة ، وكان مجلس الوزراء يريد الاستيلاء على مجلس قيادة الثورة أيضًا وفى نفس الوقت ، ولهذا بدأ الشبان يشاهدون صراعًا بين مجلس الوزراء ومجلس الدولة ، بين المجلسين الأساسيين ، وبين رئيس الوزراء على ماهر ورئيس مجلس الدولة السنهورى باشا . حتى عند تشكيل مجلس الوصاية كانت هناك محاولة للعبث واللعب به ، خاصة في مواجهة شباب لا يعرفون شيئا ، كانوا بالنسبة للحياة المدنية بكراً . سليمان حافظ والسنهورى شكلا جبهة . يقول سليمان حافظ :

ـ لكى نستطيع أن نواجه الأحزاب ونقضى على عبثها الأسود وسوء مقاصدها وبغيض أساليبها، ونهيئ لمصر عهداً جديداً. أصبحت هناك تنظيمات خاصة بالمدنيين. وهذه الأمور ليست سيئة على إطلاقها، لكن هذه التنظيمات التى عملها مجلس الدولة كانت ضد الأحزاب، مع أن الأحزاب هى أداة الديمقراطية وجوهرها باعتبار أنها الميدان الذي يجرى فيه صراع الآراء.

* * *

ـ تمثل هذه المرحلة، بروز جذور سوء التفاهم بين رجال الثورة والمدنيين إذن؟!

.. **هيكل:** على ماهر معاد للوفد، ومعاد للأحزاب طول عمره. والسنهورى سعدى معاد للوفد على أقل تقدير. وسليمان حافظ حزب وطنى معاد للوفد. والوفد ـ الذى يعاديه الثلاثة ـ هو حزب الأغلبية المطلقة. وهؤلاء الشبان وقفوا فى المنتصف. ثم يحدث خلاف فى لحظة دخول جمال عبدالناصر إلى الساحة.

كانت مصر كلها فى فترة انتقالية، فيها مجلس وصاية، ستصبح هذه الفترة الانتقالية ستة أشهر. الوزارة كان رأيها أن الفترة الانتقالية المحددة بستة أشهر قد لا تكون كافية، وأنها من المفروض أن تكون مدتها عامين؛ لذلك أصدرت الوزارة بيانا قالت فيه: إن هناك فترة انتقالية من المفروض أن تكون مدتها عامين. فإذا بجمال عبدالناصر يطلب أن تكون هذه الفترة الانتقالية ستة أشهر ويصدر بيانين فى نفس اليوم. بيان من الوزارة، وبيان ثان من مجلس قيادة الثورة. وفى كل بيان موقف مناقض للموقف الآخر حول فترة الوصاية.

تقول المذكرات، مذكرات سليمان حافظ:

ـ لم يقدّر على ماهر الأمور وقتئذ برغم تجاربه. فقد قلت له وأنا أحادثه فى ضرورة التغيير. إنه لابد من تغيير هذه الأوضاع كلها وتحقيق رغبات الشعب، فإذا بعلى ماهر يدهشنى بقوله:

ـ لئن كانت ثمة ثورة، فإنها قد انتهت.

الغريب أن جمال عبد الناصر فى هذه الفترة كان قد بدأ يفكر فى ثورة. والمدنيين كانوا يتكلمون عن انقلاب، كانوا يتصرفون كما لو كان ما جرى مجرد انقلاب فقط.

ـ كتب التاريخ تقول إنه كان انقلابا أيده الناس فقيل عنه إنه ثورة؟!

. . **هيكل:** واقع الأمر أن الذى بدا كان عبارة عن حركة عصيان فى الجيش؛ لأن تصور جمال عبد الناصر الذى يقوم على أن الشعب يستطيع أن يتحرك فورا كان فيه تبسيط زائد للأمور، لأن جموع الشعب في ذلك الوقت كانت تعاني من مشاكل اقتصادية واجتماعية تحتاج مواجهتها إلى حلول ضخمة.

كان هذا الشعب يعانى من عصا الملك التى هى الجيش، فإن أخذت هذه العصا من يد الملك يبدأ الشعب فى عمل كل شيء. والمطلوب هو عمل عصيان مدنى يؤدى إلى إزاحة الملك. وأكرر من جديد، وهذه شهادة للتاريخ، أن ما جرى فى ليلة ٢٣ يوليو فى واقع الأمر هو عملية تمرد على السلطة التى كانت موجودة، أخذت الجيش من القصر. وهذه هى الفكرة التى تكلم عنها جمال عبدالناصر ـ فيما بعد ـ فى «فلسفة الثورة»، بالتحديد فكرة تطوير الزحف المقدس، ولكن أحدًا لم يأت.

ـ تقـول وقائع التـاريخ إنه جـاء إلى ثورة يوليـو كـثير من المدنيين بعـد نجاح الانقلاب؟

. . **هيكل:** فعلا جاء مصريون كثيرون، ولكن كانت لهم مطالب خاصة بعيدا عن المطلب العام للوطن كله. إن فكرة الشعب نفسها لم تأت. وهنا لابد من وقفة والنظر عن قرب إلى تفكير المدنيين. هذا مهم جدا من مجال رصد علاقة رجال الثورة بالمثقفين.

لقد بدأ رجال الثورة يفقدون الثقة فى على ماهر، لأنه بدأ يعانى من مشكلة معقدة؛ لأنه بدأ يعطل قانون الإصلاح الزراعى ويقول إنه يدخل من مجال السياسة. وهكذا بدأت حالة من فقدان الثقة فى شخص رئيس الوزراء، وخصوصًا أنه على الرغم من تعيين ضابط عضوا فى مجلس الوصاية، وهو رشاد مهنا، إلا أن على ماهر بدأ يصدر قوانين مكتفيا بتوقيع رشاد مهنا عليها.

وهذا تسبب فى حدوث مشكلة حقيقية؛ لأنه أصدر قانونا معينا ذات مرة، وعند السؤال عنه بعد صدوره ومن الذى وافق عليه. قال على ماهر إنه حصل على موافقة مجلس الوصاية عليه. ثم جاء أعضاء من مجلس الوصاية وقالوا إنهم لا يعرفون بصدور هذا القانون، لا محمد عبد المنعم رئيس مجلس الوصاية كان يعرف، ولا بهى الدين بركات كان يعرف، والأخطر من هذا كله أن مجلس قيادة الثورة لم يكن يعرف بالترتيبات الجديدة المترتبة على هذا القانون، واتضح أن رشاد مهنا فقط هو الذى كان يعرف بهذا القانون، وهو الذى وقع عليه منفردًا. لقد بدأ على ماهر يلعب فى وسط العسكريين. ورشاد مهنا لم يكن عضوا فى مجلس قيادة الثور.

وهنا بدأ التفكير فى البحث عن بديل لعلى ماهر. وقد عرضوا الأمر على سليمان حافظ، الذى كان وكيل مجلس الدولة فى ذلك الوقت.

ـ وماذا كان رد سليمان حافظ على هذا العرض من ثورة يوليو؟!

. . **هيكل:** قـال لهم إننى لا أصلح لهـذا العـمل . . . وإذا به يرشح السنهورى لتولى رئاسة الوزارة .

وهنا نجد أن سليمان حافظ يقول فى مذكراته :

ـ والحق أن توالى الخلافات بين قيادة الحركة وبين الوزارة قد استغلته الأحزاب لأغراضها . وأخص بالذكر منها الوفد، الذى استغل هذه الخلافات أسوأ استغلال . والأحزاب حاولت أن تؤثر مصالحها الحزبية على مصلحة البلاد : فأشاعت الاضطراب في الخواطر ، والقلقة فى الأوضاع وبلغ الهرج غايته خلال عطلة العيد واستأسد البغاة .

نحن هنا أمام صراعات ما قبل الثورة . خناقات ما قبل الثورة تعكس نفسها على مناخ الفكر والحرية بعد الثورة وتؤثر فى مسار الأحداث . المهم أن سليمان حافظ عرض على ثورة يوليو السنهورى رئيسا للوزارة ، ولكن جمال عبد الناصر يقول للسنهوري :

ـ يا دكتور سنهورى ، أنت وقعت بيان أنصار السلام ، ولذلك فالأمريكان يتهمونك بالشيوعية ، وبالتالى لا أستطيع أن أجعلك رئيسا للوزارة ؛ لأنه معنى ذلك أننا نستجلب على أنفسنا عداء الأمريكان ونحن نريد الأمريكان معنا فى مواجهة الإنجليز .

* * *

ـ وعن الكيفية التي قال بها جمال عبدالناصر هذا الكلام للسنهوري يقول الأستاذ؟!

. . **هيكل:** قاله له فى مواجهته ، وجها لوجه .

ـ هل كان هذا الكلام من «عنديات» جمال عبدالناصر فى اعتقادك؟!

. . **هيكل:** أعتقد أن هذا الكلام لم يكن من «عنديات» جمال عبدالناصر. هو لم تكن عنده معلومات مؤكدة حول هذه النقطة. نحن هنا فى مواجهة مدنيين كبار يدسون لبعضهم البعض، ويستغلون فى عملية الدس هذه من؟! يستغلون هؤلاء الشبان الذين قاموا بالثورة.

تعال نتوقف أمام هذه اللحظات الفاصلة فى التاريخ على طريقة السؤال والجواب. ودعنى أسأل: من الذى اقترح أن يدخل محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة طرفا فى مجلس الوزراء؟ وأجيب عن هذا السؤال: إنه السنهورى باشا. سؤال: وما دافعه وما مصلحته؟ جواب: لأنه كان يريد أن يخرج على ماهر من الوزارة ويتخلص منه.

لقد جرب السنهورى ـ فى ذلك الوقت ـ أن يكون هو نفسه رئيسا للوزارة من خلال طرح سليمان حافظ ولكن التجربة لم تنجح. ودخل سليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء مع محمد نجيب. وكان المدنيون هم الذين اقترحوا أن يؤلف محمد نجيب الوزارة وهؤلاء هم الذين بدءوا يترددون ويخافون. وهذا ما نجده فى مذكرات سليمان حافظ المهمة، التي جئت بها أنت بعد نشر بعض أجزائها في جريدة العربي الناصري.

ـ سليمان حافظ بشر يحب ويكره. لماذا يثق الأستاذ كل هذه الثقة فى مذكراته؟!

. . **هيكل:** إن قيمة مذكرات سليمان حافظ أنها:

أولاً: تروى المشهد من داخله وليس من خارجه.

ثانيًا: إنها تحكى حكاية جذور ما جرى وما حدث.

ثالثًا: إنه مدنى يتعامل مع العسكريين.

رابعًا : إنه صاحب عقلية قانونية .

خامسًا : دخل فى قلب الصراعات المبكرة .

سادسًا : كان موضع ثقة كل الأطراف تقريبا .

ـ هل عاصر الأستاذ هيكل سليمان حافظ بنفسه ، أم أن ما يقوله ينطلق من مجرد السماع؟!

. . **هيكل :** لقد حضرت ذلك بنفسى ، وشاهدت سليمان حافظ عندما كان يعرض على مجلس قيادة الثورة بيان تنحى الملك وتنازله عن العرش . وقد حكيت لك عن الخلاف حول تركه يمشى ، أو أن يقدم للمحاكمة .

كان سليمان حافظ أول من أتى من المدنيين إلى مجلس قيادة الثورة . وهناك أسباب أخرى علاوة على ذلك ، منها أنه كان يحل لهم المعضلات القانونية التى يمكن أن تواجه العمل الجديد ، ولكنه بدأ ينقل السلطات كلها لمجلس الدولة . فقال له العسكريون : لن نقبل أن يتحكم فينا مجلس الدولة ، ويقول سليمان حافظ فى مذكراته ردا على هذا الكلام :

ـ إن هذا ما كان يقوله لنا الملك فاروق وكنا نأخذه عليه ، ونعده أبشع الطغيان ، وهذا ما قامت الثورة من أجل مواجهته ووضع نهاية له .

ثم نجدهم هنا من أجل إغلاق الطريق على الأحزاب القديمة ومنها حزب الوفد ، اقترحوا محكمة الغدر . وهذه أفكار لم يكن من الممكن أن تخطر على أذهان هؤلاء الشبان ، وهكذا دخلت مصر فى محاكمات : محكمة الغدر ، ومحكمة الثورة ، وكل هذا كان يجرى والبلاد فيها دستور مؤقت ، الذى وضع فيه مجلس قيادة الثورة . إن هذه التفاصيل تقدم جذور المواقف التى اتخذتها الثورة بعد ذلك من المثقفين .

ـ هل هذه المرحلة هى التى جرى فيها صك تعبير المستبد العادل؟!

. . **هيكل**: المستبد العادل فكرة قديمة جداً، وقد أعاد الشيخ محمد عبده طرحها في مصر في أواخر القرن التاسع عشر، وهي فكرة تقوم على أنه من الممكن أن يأتى مستبد يعدل ويكون أفضل ألف مرة من الذي لا يعدل حتى لو لم يكن مستبدا، وهذه كلها تخريجات فقهاء.

وفكرة المستبد العادل لها جذور فى الفلسفة الإغريقية وإنه كان هناك كلام عن الملك الفيلسوف، سواء أكان هذا الملك الفيلسوف قيصرا أو أميرا، أو دكتاتورا بصرف النظر إن كان هناك عدل أم لا. الفكرة لها أصول موجودة.

- ثم طرحت الفكرة فى الخمسينيات. بمنطق العودة إلى القديم وإحياء التراث؟!

. . **هيكل**: فى هذا الوقت بالذات لم يقل بها أحد بعينه، ولم تكن الفكرة مطروحة.

- طرحت بعد ذلك؟!

. . **هيكل**: ربما كتبت فيها بعض كتابات، لكن فى اعتقادى، المؤكد أنها لم ترد فى فكر جمال عبدالناصر أبدا.

- ومتى خرجت إلى الوجود فكرة أهل الثقة وأهل الخبرة؟! ومن صاحب هذا التعبير؟!

. . **هيكل**: أولا أنا صاحب هذا التعبير فى دراسة لى عنوانها: أزمة المثقفين. الغريب أن الذى كتبته ويمكنك العودة إليه؛ لأن هناك كتابا منشورا بهذا العنوان. أقول إن الغريب أن الكلام الموجود فى هذا الكتاب عكس الانطباع السائد الذى حاولوا توصيله للناس.

* * *

أفتح قوسا وأكتب أننى عدت إلى كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل، نظرة إلى مشكلاتنا الداخلية على ضوء ما يسمونه : أزمة المثقفين[1]!

فى الفصل الرابع من هذا الكتاب وعنوانه طويل، أهل الثقة وأهل الخبرة والمفاضلة بينهم، ٣ نقاط على الحروف فى مستهل الحديث، مراحل الحيرة والبحث عن الطريق تم العثور على نقطة بداية.

يكتب الأستاذ هيكل[2] :

- إنها كانت الأزمة الثالثة فى العلاقات ما بين قوة الدفع الثورى وما بين المثقفين، وهى ما تعرضت له هذه العلاقات بسبب ما قيل عن المفاضلة بين أهل الثقة وأهل الخبرة ويؤكد :

١ - إن المفاضلة بين أهل الثقة وأهل الخبرة، ليست مفاضلة بين العسكريين والمدنيين.

٢ - ليست هناك خطوط فاصلة قاطعة نهائية بين أهل الثقة وأهل الخبرة، فإن الكثيرين من أهل الثقة يمكن أن يكونوا أهل خبرة، كما أن الكثيرين من أهل الخبرة يمكن أن يكونوا أهل ثقة.

ويقدم أمثلة حية : محمود يونس الذى تولى مسئولية قناة السويس. هل اختير لأنه موضع ثقة؟ أم أن الخبرة كانت أساس النجاح والترجيح؟ مع ملاحظة أنه فى الأصل كان ضابط جيش؟

ومحمود رياض : هل كان وضعه فى الصف الأول من الدبلوماسية العربية مجرد اختيار - لموضع ثقة أم خبرة؟! مع أنه كان أيضًا ضابط جيش؟!

من الناحية الأخرى يقدم ثلاثة من المدنيين تولوا الدعائم الأساسية التى يرتكز عليها تقدم مصر نحو المستقبل. وهم : سيد مرعى المسئول عن

---

(١) القاهرة ١٩٦١ نشر وتوزيع الشركة العربية المتحدة للتوزيع.

(٢) ص ٧٩ وما بعدها.

الزراعة، وعزيز صدقى المسئول عن الصناعة، وعبد المنعم القيسونى المسئول عن الاقتصاد.

وسؤال الأستاذ هيكل كان: هل كان اختيار هؤلاء الثلاثة لمسئولياتهم الأساسية الضخمة لمجرد أنهم من أهل الخبرة؟ أم أن الثقة فى نفس الوقت كان لها اعتبار فى الاختيار؟

ويكتب فى نهاية هذا الفصل:

فى كثير من مراحل التاريخ خصوصا فى بداية الثورات تكون هناك أهمية خاصة لاعتبار الثقة.

وليس هناك خطأ يساق له التبرير.

وإنما الخطأ فى مواضع أخرى.

الخطأ ألا يتم التوضيح الثورى بالسرعة الكافية، سواء فى تعميق العقيدة الثورية أو فى جلاء أهدافها حتى تذوب الثقة فى الخبرة وتمتزجان امتزاجًا كاملا وعميقا، يجعل من كل صاحب خبرة صاحب ثقة فى نفس الوقت، ومن كل صاحب ثقة صاحب خبرة.

والخطأ - أيضا - أن يهرول أصحاب المصالح من كل ناحية يتصيدون من يتصورون - تصورا قائما على الوهم - أنهم من أصحاب الثقة. ويعللون النفس إنهم عن هذا الطريق قادرون على حماية مصالحهم وتحويل اتجاه التغيير الثورى الحتمى أن يلمس هذه المصالح أو يقترب منها.

والخطأ - أخيراً - أن ينسى أصحاب الثقة منطق وجودهم، أن ينسوا أنهم فى أماكنهم يمثلون إرادة تغيير ثورى، وأن يندمجوا بعد هذا النسيان فى الأمر الواقع ويضيعوا فيه، ويتصوروا - ولو لثانية واحدة - أنهم طبقة جديدة جاءت لتحل محل طبقة قديمة وتتمتع بنفس امتيازاتها وتعيش طريقة حياتها.

من هذا كله يكون الخطأ.

ومن حق قوة الدفع الثورى إذا ما حدث شيء من ذلك كله - بل من واجبها - أن تتولى تقويمه وإعادته إلى موضعه الصحيح، من أجل تأمين الاندفاع الثورى، من أجل تحرير قوة الدفع الثوري من أى عوائق تعترض طريقها.

هذا ما قاله الأستاذ فى الماضى البعيد، ثم أقفل القوس.

* * *

- وهذا ما يقوله الأستاذ - الآن - عن نفس القضية :

. . **هيكل :** هناك قضيتان شوهتا كثيرا فيما قلت. الأولى : قضية أهل الثقة وأهل الخبرة. لأننى قلت إن كل نظام فى الدنيا لابد أن يستعين بالضرورة بأهل ثقة. ليس كل نظام جديد فقط هو الذى يفعل هذا، ولكن أيضا النظام القديم.

الرئيس الأمريكي، له الحق بعد أن يصل إلى السلطة أن يعين موظفين فى أكثر من ثمانية آلاف وظيفة، بما فيهم من الوظائف القضائية. وهذا معروف تماما.

وحزب الوفد عندنا فى مصر، فى الماضى، عندما كان يصل إلى السلطة كان يبعد رجال الأحرار الدستوريين ويأتى برجاله هو بدلا منهم وفى أماكنهم. وعندما كان يصل الأحرار الدستوريون إلى الحكم كانوا يفعلون ماكان يفعله الوفد، كانوا يفصلون الوفديين ويحلون رجالهم بدلا منهم.

كل نظام فى الدنيا نجد أن تعبير أهل الثقة بالنسبة له مهم جدا. وأنا كنت أقول - فقط - إن هناك أهل ثقة وأهل خبرة، ولكن كان أملى وأملنا جميعا أن يتحول أهل الثقة إلى أهل خبرة، وأهل الخبرة إلى أهل ثقة. وهذا من خلال تنفيذ فكرة التنمية، مشروع وطنى قومى عام للتنمية فى داخل مصر.

القضية الثانية أن كل هذه الأفكار استغلت بأثر عكسى ورجعي . بعد ذلك بسنوات طويلة ، بدأ هذا الكلام يقال فى أوائل السيبعينيات . قيل إنهم ذبحوا أهل الخبرة وذلك فى سبيل إعطاء كل الفرص لأهل الثقة . وطرح هذا الكلام ، بهذه الطريقة ، أكبر من المغالطة وأبعد من الكذب ، ربما يصل إلى حدود «السماجة» لأن من يطرحونه بهذه الطريقة يحاولون تناسى بعض الحقائق البسيطة :

١ ـ هل ننسى أنه حتى الأحزاب الصغيرة التى تشارك أحيانا فى الحكم مؤتلفة مع أحزاب أغلبية كبيرة تأتى برجالها إلى الحكم؟!

٢ ـ وهل ننسى أن طبيعة الأمر تفرض عندما يترك المحافظون الحكم ـ مثلا ـ فى إنجلترا ، ويأتى رئيس حزب العمال لكى يؤلف الوزارة ومعه مجموعة من حزبه ؛ لأنه أتى من أجل أن ينفذ سياسته ، لابد أن يكون معه ناسه ورجاله الذين يؤمنون بما يؤمن به ويسعون إلى تنفيذه فى أرض الواقع .

ـ وما الذى جرى بالنسبة للثورة؟!

. . **هيكل:** ما جرى فى الثورة ، إن الذين أحضرتهم الثورة كأهل ثقة ـ فى البداية ـ كانت تنقصهم التجربة . والخطأ هنا نكتشفه عندما نرى ماذا يفعل الآخرون مع قضية أهل الثقة وأهل الخبرة .

الرئيس الأمريكى ـ مثلاً ـ أو حزب المحافظين . عندما يصلون إلى الحكم كانوا يحضرون أناسا ويقولون إن هؤلاء الناس الذين أحضرناهم سياسيون بالدرجة الأولى ، ونحن لم نحضرهم من الهواء . ثمة أساس لذلك هو الذى يدفع أى حزب يصل إلى السلطة لإحضار رجال ، وهناك قانون يتم على أساسه اختيار كل واحد من هؤلاء الرجال .

ـ هل ينطبق هذا على الضباط الذين أحضرتهم فى البداية لتولى الأمور المدنية مثلا؟!

. . **هيكل:** الضباط الذين استعان بهم ضباط الثورة فى البداية، كان اختيارهم من حقهم لأنهم كانوا أهل ثقة، وهذا حق مطلق فى الاعتماد على بعض أهل الثقة ولا يمكن مناقشته. بعضهم كان جيدا وشكل إضافة، ولكن البعض الآخر أساء. بعضهم حسن والبعض الآخر ردىء. هناك أمثلة لحسن الاختيار، مثل محمود يونس فى هيئة قناة السويس.

والبعض - ثالثًا - كان جيدا ولكنه أسىء إليه.

هنا هل يمكن نسيان أو تجاهل أن صاحب فكرة إصلاح الصحراء وتعميرها هو مجدى حسنين؟ مهما تحاول الذهاب يمينا أو شمالا. فإن تجربة مديرية التحرير - التى نظمت ضدها حملة فظيعة - من أهم التجارب التى جرت فى هذا البلد. حتى لو كنا قد تعلمنا شيئا من خلال هذه التجربة، فإن هذا يعد أمرًا جيدًا ومفيدا بل ومطلوبا.

ما قلته بالتحديد فى هذا الوقت إن إمكانية إحضار أناس من أهل الثقة، هذه ضرورة سياسية.

وإمكانية الاستعانة - بعد ذلك - بأهل الخبرة، هذه أيضا، ضرورة سياسية وذلك لإنجاح مشروع الوطن كله، الذى يعلو فوق كل الضرورات، لكن دعونا نأمل أنه من خلال خطة التنمية، أهل الثقة يصبحون أهل خبرة، وأهل الخبرة يتحولون إلى أهل ثقة.

- وفكرة الديمقراطية بالموافقة التى قيل أن الأستاذ طرحها ودعا إليها؟!

. . **هيكل:** حدث هذا عندما قالوا إننى كتبت أبشر وأدعو إلى الديمقراطية بالموافقة. الغريب أن هذا عكس ما قلته وضد ما ذهبت إليه تمامًا.

ما قلته إننا فى مرحلة من عمر الثورة. حتى سنة ١٩٥٦، كنا نتكلم فى إطار المشروعات التى لا خلاف عليها أبدًا: إخراج الإنجليز، تأميم قناة السويس. وهكذا كان يمكن الكلام فى ذلك الوقت عن ديمقراطية بالموافقة.

لكن آن الأوان أن ننتقل من مرحلة الديمقراطية بالموافقة إلى الديمقراطية بالمشاركة. هذه نسيت ولم يتذكرها أحد، ثم محوها من الأذهان. يقولون إننى قلت بالديمقراطية بالموافقة. ويتوقفون، على طريقة ولا تقربوا الصلاة.

طالما أن الأهداف الوطنية العليا - التى لا خلاف عليها - كانت هى التى نسعى لتحقيقها. أما وقد انتقلنا من هذه المرحلة، فقد آن الأوان أن ننتقل - أيضًا - من ديمقراطية الموافقة - وأنا ليس لى أى اعتراض عليها - إلى ديمقراطية المشاركة. فهذا ما جرى. وما كان مطلوبا لمصر. ولكن التأويلات والإسقاطات والاستقراءات والتخريجات، حكاية أخرى.

- فى اليوم التالى للثورة. كانت هناك ثلاثة أنواع من المثقفين: نوع أيدها، ونوع عارضها، ونوع وقف فى تلك المنطقة الرمادية. وهؤلاء عبروا عن أنفسهم بوسائل أو بأخرى.

.. هيكل: أول شيء لا جدوى من النظر إلى الأمور كما تبدو لنا اليوم. فى هذه اللحظة الراهنة، ما أحاول أن أفعله معك، أن نحاول النظر إلى الأمور كما بدت وقتئذ. وقيمة شهادة سليمان حافظ، فى هذا السياق، أنه يقدم التجربة كما وقعت فى ذلك الزمان البعيد، أو الذى يبدو لنا بعيدا الآن.

ما جرى وقتها أنه كان هناك تيار شعبى عارم، ولكن المشكلة أن كل العناصر المثقفة التى نتكلم عنها، إما أنها كانت تعمل فى إطار ما كان، مثل الماركسيين، الحزب الشيوعى وحدتو، أو الوفديين، أو التيار الإسلامي.

فى الأيام الأولى من الثورة جمع بينهم أنهم جميعًا كانوا مفاجئين. أيدوا الانقلاب الذى فاجأهم على أمل احتوائه، أو في انتظار التطورات اللاحقة والآتية بعد ذلك بما فى ذلك انتظار وتوقع من سيتدخل. هل الإنجليز مثلاً؟! يتوقف الأستاذ ويسألني: هل عاصرت هذه الفترة؟!

ـ كان عمرى ثمانية أعوام عندما قامت الثورة؟!

. . **هيكل:** فى هذه الحالة، لابد من الشرح والاستفاضة لفترة طويلة بعد الثورة. كان احتمال التدخل الأجنبى قائمًا. كانت خطة هذا التدخل جاهزة. لابد أن تتذكر وجود الإنجليز فى قاعدة قناة السويس، ومن قبل حريق القاهرة. ومن لحظة إلغاء المعاهدة بدأت توضع خطط للطوارئ، أهمها الخطة «روديو» ومعناها الثور الجامح، وكان هدفها هو دخول القاهرة.

قبل قيام الثورة كانت التداعيات والأحوال على النحو التالى:

(١) ماجرى فى القناة.

(٢) حريق القاهرة.

(٣) فترة عدم الاستقرار السياسى الرهيبة التى وقعت وجرت فى مصر.

(٤) تمردات القوات المسلحة المتمثلة فى انتخابات نادى الضباط.

كل هذا جرى ووقع لدرجة أنه يمكن القول إنه كانت هناك حالة من العصيان.

وبعد ذلك وقع انقلاب ٢٣ يوليو.

خطط دخول الإنجليز إلى القاهرة كانت واردة، وفى الاعتبار. كان هناك ٨٠ ألف عسكرى موجودون فى قناة السويس. إن الجو السائد فى ذلك الوقت أن الكل يرحب بالخلاص من الملك، كما لو أن الملك كان هو المشكلة

إن الموقف كان على النحو التالى، كما لو أن هناك مجموعة أناس شاركوا جميعا في ارتكاب جريمة ما. الكل مشارك فى الكوارث التى وقعت وجرت وحدثت والتى وصلت إلى الذروة فى حريق القاهرة، لكن كل القوى كانت راغبة فى أن ترمى الملك فاروق للذئاب أو تحت أقدام هؤلاء الشباب القادمين من الثكنات العسكرية.

فى حين أن الضباط الأحرار عندما استولوا على جهاز الدولة وبدءوا النظر فى قلب أوضاع هذا الجهاز، اكتشفوا أن المسأله أبعد خطراً من مجرد إخراج الملك.

لننظر إلى الوضع الاقتصادى فى ذلك الوقت. لقد كان أهم ما فى مصر هو محصول القطن. البلد كله كان يعيش على هذا المحصول. وأهم شىء أن البنوك كانت تبدأ فى تمويل السلفيات للتجار الذين يتاجرون فى القطن، وكان هذا قراراً سياسياً بالدرجة الأولى لقد بدأت الناس تتساءل:

- أين بنك مصر؟! أين البنك الأهلى؟! ماذا جرى بالضبط؟! ويبدأ السؤال: ما هى الحكاية بالضبط؟! وشيئًا فشيئًا وقليلاً قليلاً، أو رويداً رويداً كما يقولون فى القصص القديمة. تكتشف. «بضم التاء الأولى» أبعاد الأمر كله.

القضية السياسية اكتشفت أبعادها من العلاقات مع هؤلاء الناس جميعا. من على ماهر والوزراء.

- حكيت لى من قبل عن أول «عزومة» أقامها على ماهر لرجال الثورة. حيث كان اللقاء الأول بين رجال الثورة والمدنيين؟!

.. هيكل: من الأمور التى كانت رهيبة جداً إلى حد الفظاظة. كيف تصرف الباشوات، باشوات زمان فى مصر، إزاء الضباط الأحرار. على ماهر يشكل وزارة كانت معظمها من الباشوات. وباشوات البلد كلهم فى ذلك الوقت كانوا يؤيدون خروج الملك. وكل الناس كانت تؤيد. لكن الصراعات بين الأفراد كانت مستمرة وكأن الملك وحده كان هو المسئول عن كل ما كان موجوداً من المشكلات، وبرحيله وخروجه من مصر تحل جميع المشكلات، والجميع أبرياء وأطهار وأشراف.

لقد تصور الجميع أن الملك فاروق هو المشكلة، والباقى بعد ذلك يدخل

تحت بند التفاصيل غير الجوهرية . فى هذه الفترة حدثت بداية التوترات بين مجلس الثورة والمدنيين الذين جاءوا إلى الحكم تحت راية الثورة ، ثم إنه كانت هناك صراعات بين المدنيين أنفسهم .

ـ من أين جاءت صراعات المدنيين الداخلية ، وكان من المفترض أن يشكلوا جبهة واحدة فى مواجهة العسكريين؟!

. . **هيكل :** أتت هذه الصراعات من عدة اعتبارات وأسباب ودوافع كثيرة :

١ ـ الاتجاه العام للمدنيين الذين اقتربوا من الثورة ، كانوا ضد الوفد ، الذى كان يتصور بعض رجال الثورة أن يسلموه الحكم ، بعد أن تنجح مهمتهم فى قلب نظام الحكم السابق .

كان تصور رجال الثورة أن تجرى انتخابات حرة تأتى بالوفد إلى الحكم .

٢ ـ داخل جبهة هؤلاء المدنيين كان هناك صراع بين على ماهر باشا والسنهورى باشا . كان فى واقع الأمر صراع السعديين مع بعضهم البعض . فى هذه الفترة أقام على ماهر باشا حفل عشاء للضباط الأحرار .

ـ هل حضرت هذا العشاء بنفسك؟!

. . **هيكل :** كنت حاضراً فيه ، وكانت فى الباخرة محاسن .

وكانت باخرة من بواخر وزارة الأشغال التى هى الآن وزارة الرى .

ـ متى تم هذا العشاء؟!

. . **هيكل :** بعد قيام الثورة بشهر ، فى الأسبوع الأخير من شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ ، فى الأيام الأولى جداً بعد الثورة .

ـ الأيام البكر؟!

. . **هيكل:** الأيام البكر. وهذا تعبير أدبى أوافق عليه. الشباب الذين قاموا بالثورة كانوا يسمعون أسماء الباشوات التى كانت ترج وتزلزل وجدانهم وتصيبهم بحالة من الانبهار الشديد. كانوا يعيشون فى ظلال الجيش والحياة العسكرية. وأسماء الباشوات كان لها رنين من نوع خاص شديد الخصوصية. عندما كانوا يسمعون النحاس باشا، سراج الدين، بهى الدين بركات، على باشا ماهر، إبراهيم عبد الهادى، السنهورى، سليمان حافظ، هيكل باشا - مع تقديرى الخاص له - حافظ باشا عفيفى، حسن باشا يوسف، إنهم رموز المرحلة الماضية، ونجوم الصفحة التى توشك أن تطوى. وحكاية الباشوات والبكوات كان لها وقع خاص. إنها مسأله مهمة جداً. ولها وقع خاص.

لقد حضرت بنفسى المشهد التالى. على باشا ماهر عمل «عزومة» لتعريف الوزارة المدنية بمجلس قيادة الثورة، وكان له طابع عسكرى. وهو ما كان يميزه عن المدنيين فى ذلك الوقت، فى الأيام الأولى من عمر الثورة، كان هدف هذه العزومة خلق علاقات اجتماعية إلى حد ما بين الطرفين.

الباخرة التى أقيم العشاء عليها، كانوا يقولون عنها دهبية الرى. كان هذا هو الاسم الشعبى المعلن والمعروف لها، وأعتقد أنه تم تشريكها أخيراً فقط. وكانت ترسى أمام الباب الخلفى لنادى الجزيرة. كان هذا مكان مرساها الأساسى فى شارع الجبلاية بالزمالك.

لم أذهب إلى الاحتفال مع جمال عبدالناصر، لكنى انصرفت من الاحتفال معه. عندما وصلت إلى الحفل كان الشباب من الضباط قد وصلوا كلهم، سواء الصف الأول، أو الصف الثانى منهم. كانت اللعبة المحيرة فى الواقع المصرى - فى ذلك الوقت - من هم أعضاء مجلس قيادة الثورة؟ وثانيًا: من المهمين فيهم؟ من أصحاب سلطة القرار؟ ومن الأقوياء من بين هؤلاء

الأعضاء؟ ومن المحرك للأمور فى هذا المجلس؟ لأنه من المستحيل أن يتساوى أعضاء المجلس فى النفوذ والدور والأهمية والقوة.

كانت تلك هى الأسئلة التى فرضت نفسها على الجميع، داخل مصر وخارجها. كانت أسئلة الساعة كما يقولون عادة. كان مطلوب عمل قاموس لمن هو من؟! للإجابة أو محاولة الإجابة على مثل تلك الأسئلة المهمة والمشروعة، والتى كان الكل يبحث عن إجابات لها. وفى ذلك الوقت كان أى واحد يلبس البدلة الكاكى، ينظر إليه على أنه من هذه المجموعة التى أمسكت بمقاليد البلاد.

ذهبوا إلى العزومة. كانت الدعوة موجهة إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة فقط، ولكن ذهب معهم أيضًا ضباط من الذين يعملون فى المكاتب. وعندما يذهب كمال الدين حسين - مثلاً - كان لابد أن يذهب معه سكرتيره عبد المجيد شديد، أو مساعده؛ لأنه فى ذلك الوقت لم تكن تذكر كلمة سكرتير، وكانوا يفضلون عليها كلمة مساعد، حيث إن السكرتير ومدير المكتب من تعابير ورموز وموروثات العهد البائد، الذى تحركت الثورة من أجل تغييره.

فى هذا اليوم أنا رأيت بنفسى. ولمست بإحساسى الفجيعة الكبرى لجمال عبدالناصر فى رموز الطبقة القديمة كلها، فجيعته الشخصية والإنسانية حتى أكون أكثر دقة فى هذا الكلام الذى أقوله الآن، بعد مرور كل هذه السنوات. وهذه الفجيعة كانت ناتجة عن التعامل المباشر معهم، مع رموز هذه الطبقة نفسها.

- هل كان يلبس عبدالناصر الكاكى فى هذا اليوم؟!

. . هيكل: عبدالناصر كان يلبس الكاكى فى هذا اليوم، وقد ظل يلبس

الكاكى بصفة مستمرة إلى أن تم انتخابه رئيسًا للجمهورية؛ فلبس البدلة المدنية بعد ذلك. حتى عندما ذهب إلى يوغوسلافيا قبل رئاسة الجمهورية فى زيارة رسمية كان يلبس الكاكى.

ـ وزملاؤه. هل كانوا يلبسون الكاكى؟!

. . **هيكل:** الجميع كان يفعل مثله. والبعض منهم كان يلبس الكاكى الصيفى، الشورت والقميص النصف كم، بدون ربطة عنق.

ـ كيف ذهب عبدالناصر إلى هذا الحفل؟!

. . **هيكل:** جمال عبدالناصر ذهب إلى هذا الحفل وهو راكب سيارة عسكرية جيب. وكان هذا من الأمور الطبيعية فى تلك الأيام، وهو الذى كان يقود السيارة بنفسه، لأنه لم يكن هناك سائقون يقودون السيارات، ولم تكن معه حراسة.

وعندما خرجنا ـ على أى حال ـ كان عبدالناصر هو الذى يقود السيارة، وكان بجواره عبد الحكيم عامر، وفى الخلف كنت أجلس وكان بجوارى إما كمال الدين حسين، أو حسن إبراهيم.

ما جرى فى العزومة هو الذى كان أهم من كل هذه التفاصيل الصغيرة التى تهتم أنت بها كثيراً. كان طعام العشاء عبارة عن ديوك رومى، خراف، لحوم.

الباشوات الكبار أعضاء مجلس الوزراء كل منهم كان يبحث لنفسه وبنفسه عن ضابط من الضباط، ويجرى لكى «يغرف» طبقًا، ويحضر به إلى ضابط من الضباط يقدمه له، مناديًا إياه برتبته، أو الرتبة التالية لها كنوع من التعظيم أو التفخيم أو التقرب أو الزلفى.

يشير أحدهم إلى جمال عبد الناصر ، ويقول إن هذا هو الضابط المهم فى وسطهم فيجرون حوله .

ـ ماذا كان وضع محمد نجيب فى هذه الحفلة ، ومن المفترض أنه كان قائد الثورة المباركة أمام جميع الناس ، ولم يكن يعرف أحد حقيقة الأمر؟!

. . هيكل : محمد نجيب؟! طبعًا كان الكل يوشك أن يقع تحت قدميه ؛ لأنه كان من المؤكد أنه قائد الثورة . لكن كان هناك من يقول إن جمال عبدالناصر هو القائد الحقيقى للثورة . فنجد أن واحدًا أو اثنين أو ربما ثلاثة من هؤلاء الباشوات الوزراء يقتربون منه ويقدمون له الطعام ، وربما فروض الولاء والطاعة ؛ ولذلك عندما خرجنا من هذا الاحتفال ، أول ملاحظه قالها جمال عبدالناصر لعبد الحكيم عامر الذى كان يجلس بجواره ، قال له وبطريقة تلقائية جدًا .

ـ إيه يا حكيم ، دا باشوات البلد اشتغلوا سفرجية .

يتوقف الأستاذ ليسأل هل يمكن تخيل هذا؟!

وألحق سؤال الأستاذ بسؤال من عندي :

ـ هل كان اعتراض عبدالناصر على فكرة تقديم الطعام؟!

. . هيكل : لا . لم يكن هناك اعتراض على هذا بالتحديد ، ربما كان يدخل تحت بند الكرم الشرقى . وهؤلاء ضيوف ولابد من إكرامهم . اعتراض عبدالناصر فى هذا الوقت كان على الطريقة التى يقدم بها الطعام .

يكفى أن أقول لك ما جرى معى أنا ، لمجرد أنه كان هناك تصور أننى متداخل مع رجال الثورة ، مع أننى ـ وقتها ـ لم أكن أكثر المتداخلين معهم . كان متداخلاً معهم أكثر منى أحمد أبو الفتح . كان متداخلاً أكثر منى حلمى سلام . كان متداخلاً أكثر منى إحسان عبد القدوس .

و ـ آل أمين

. . **هيكل :** آل أمين هؤلاء موضوع آخر . أصحاب العزومة لم يقدموا لى الطعام فقط . من أول رئيس الوزراء الذى كنت أعرفه كصحفي . كنت فى ذلك الوقت رئيس تحرير آخر ساعة ، وأحد رؤساء تحرير الأخبار .

إن كان هذا قد جرى معى ، فماذا تم مع الآخرين ؟ ! كل من كان يلبس الكاكى فى هذا الحفل ، قدم له من الباشوات القدامى ما هو بعد من الولاء وماهو أعمق من الطاعة . كل من يلبس الكاكى عومل كما كانوا يعاملون الحاشية الملكية أيام زمان .

إن ما كان يدور فى ذهن الباشوات القدامى أن هؤلاء الضباط قد حلوا محل الملك ، فبدءوا يتعاملون كما لو أن مجلس قيادة الثورة هو البديل للقصر .

كان ـ يقول **هيكل** واصفا موقف عبد الناصر لحظة انصرافه من العزومة ـ يشعر بحالة من الاستغراب والدهشة ، وربما عدم التصديق ، لأننا فوجئنا بأناس مجوفة تتعامل مع الضباط كما لو كانوا «فسوخة» كما يقولون بالعامية .

لقد انتهينا إذن بشكل أو بآخر من الحديث عن الخليط السياسى ، القانونى ، الفكرى ، المؤثر من الناحية الرسمية والذى كان موجوداً غداة القيام بالثورة .

تعال إذن إلى الصحفيين ، وتلك هى قضية القضايا كلها .

ـ والأدباء ؟ !

. . **هيكل :** سنتكلم عنهم فيما بعد ، وعموماً فإن الأدباء فى هذه الفترة لم يكن لهم دور مؤثر ، أو أن صورة هذا الدور كانت غامضة .

ـ قبل الوصول إلى الصحفيين . ماذا عن التيارات العامة التى كانت موجودة على الساحة . ماذا عن الماركسيين مثلاً ؟ !

. . **هيكل:** كان لهم وجود مؤثر فى قلب حركة الضباط الأحرار . وقرب موقع التأثير . كان هناك أولا خالد محيي الدين وهو عضو في مجلس قيادة الثورة وكان خلافه عن غيره من الماركسيين معروفا ، وإيمانه الشديد بالديمقراطية معروفا أيضا ، وكان هناك أيضا أحمد فؤاد وهو ينتمي إلى حدتو . تصورات حدتو بالتحديد هى التى كانت سائدة فى تلك الأيام . هذه التصورات كانت تقول نحن لنا حصة فى هذا الانقلاب . نحن لنا حصة فيما يجرى من أمور . وبالتالى لابد من وجود حصة فى دفع الأمور ، بشكل أو بآخر ، وبما أن الثورة قد قررت البدء بقانون الإصلاح الزراعى ، يصبح هناك إذن أمل فى دفعها .

هنا انقسم الشيوعيون إلى قسمين : قسم بادر على الفور بالعداء ، لأنه لايمكن فى تصورهم أن تحدث ثورة داخل القوات المسلحة ؛ لأن القوات المسلحة بالطبيعة هى أداة لفرض وحفظ الأمر الواقع والإبقاء عليه كما هو . فإن حدث فيها تغيير فهذا معناه أن هذا التغيير ذو طبيعة انقلابية وأنه لابد أن يؤدى إلى مزيد من تكريس الأمر الواقع .

حدتو كانت عندهم فكرة أحسن ؛ لأنهم بحكم الاتصالات الداخلية . كانت لديهم قدرة أعمق على الرؤية وإدراك أن الذين قاموا بهذه الثورة شباب لا ينتمون إلى أى شيء . عندهم انتماء وطنى عام ، وفكرهم مفتوح ولذلك يمكن التأثير عليهم .

كانت البداية بالإصلاح الزراعى . إذن لابد من دفعهم إلى ما هو أكثر من هذا . لكن وهم يحاولون دفعهم إلى ما هو أكثر من هذا . بدأت الجماعة المسئولة عن حماية أمن النظام تقلق من الشيوعيين . جمال عبدالناصر بدأ يساوره القلق من الشيوعيين ، وهنا تطورت الأمور بشكلها الطبيعي .

بدأت وزارة الداخلية تلعب دورها . لقد أرسلوا لها زكريا محيى الدين . لأن فكرة ترك الأمور كاملة للمدنيين لم تكن قابلة للتطبيق فى جميع

الأحوال. والمدنيون بدءوا الخلاف مع بعضهم. وبدأت ملامح الفوضى تطل على البلاد. وكان المطلوب - على الأقل - وجود ضباط فى الأمن، وفى الجهات التى تسيِّر حياة الناس اليومية، وفى المقدمة كان الأمن. قالوا لزكريا محيى الدين انظر إلى الأمن الداخلي.

وبدأ جهاز الأمن القديم، السابق على الثورة يعطى معلومات عن الشيوعيين. وهم كانوا يعملون عليهم ويتتبعونهم. كان لابد من القلق؛ لأن الشيوعيين يريدون التدخل أكثر من اللازم، بما لا تحتمله ظروف النظام والإنجليز والأمريكان. وهكذا تطورت الأمور إلى حافة الصدام.

- والإخوان؟!

. . **هيكل:** كان لهم - فى نفس الوقت - أناس موجودون مثل حسن عشماوى. وبعضهم كانوا متداخلين مع ثورة يوليو. وفى وقت من الأوقات كان فيه - كما قلت من قبل - كان هناك أعضاء فى مجلس قيادة الثورة، كانوا فى قلب التيار الإسلامي.

- فى هذا الوقت. ألم يكن كمال الدين حسين وعبد المنعم عبد الرءوف يمثلان الإخوان صراحة فى قلب حركة الضباط؟!

. . **هيكل:** لا. القول إنهما يمثلان الإخوان صراحة فى هذا الوقت ربما كان فيه بعض التجاوز. عبد المنعم عبد الرءوف كان منظما، بمقدار ما كان أحمد فؤاد منظما أيضا من الناحية الأخرى، وكذلك خالد محيى الدين كان منظما.

- لكن هناك فارق جوهرى وهو أن خالد محيى الدين ذهب إلى جمال عبدالناصر وأخبره أنه منظم وعضو؟!

. . **هيكل:** فعلا. خالد محيى الدين قال لعبدالناصر إنه عضو فى حدتو. وجمال عبدالناصر اكتفى بكلمته، وقال له لا تخبر أحداً بذلك. ومع هذا هم

عرفوا أموراً كثيرة، والمنشورات كانت تطبع عندهم، وأحمد فؤاد كان يعرف الكثير جدا عن الثورة، وما كينة طبع المنشورات كانت عند أحمد فؤاد.

خالد وأحمد فؤاد وعناصر من اليسار كانت موجودة في الداخل. ولذلك كانت تعرف. لكن المسئول عن سلامة النظام كان ينبه إلى أن هؤلاء لا يجب أن يعرفوا ما هو أكثر من اللازم.

ثم نصل إلى الناحية الأخرى ونتكلم عن الإخوان. صحيح أن عبد المنعم عبد الرءوف كان منظمًا، وأن كمال الدين حسين كان متعاطفا بشدة.

- أيهما كان منظما؟!

. . **هيكل:** عبد المنعم عبد الرءوف كان منظما، ولذلك تجد أن عبد المنعم عبد الرءوف ترك الثورة؛ لأنه كان منظما. كمال الدين حسين استمر لأنه كان متعاطفًا فقط، لكن على أية حال كانت هناك صلات موجودة. والخناقات التي جرت بعد ذلك دارت كلها حول أن هذه الثورة ثورتنا نحن، لنا فيها نصيب.

- والوفديون. ألم يدخلوا هذه المنافسة؟!

. . **هيكل:** طبعا. من خلال أحمد أبو الفتح. ولكن سأصل إلى أحمد أبوالفتح بعد ذلك.

ثم إن الوفد كان هو التيار الليبرالي وسنتكلم عنه.

- والتيار القومي؟!

. . **هيكل:** هو موجود اليوم لكنه في ذلك الوقت لم يكن موجودا. كانت هناك إرهاصات ومقدمات خاصة به.

- والبعثيون المصريون؟!

. . **هيكل:** لم يكن لهم وجود. جاءوا فيما بعد.

ـ نتوقف أمام الصحيفين إذن بمن نبدأ؟!

. . **هيكل:** أحمد أبو الفتح، على وجه اليقين كان قريبا من جمال عبدالناصر، وعبد الحكيم عامر، وكان ذلك عن طريق ثروت عكاشة؛ لأن أخت ثروت كانت متزوجة من أحمد أبو الفتح. بشكل أو بآخر كانت هناك علاقات.

والجورنال الوحيد الذى دخله جمال عبدالناصر قبل الثورة، كان هو «المصري» الذى كان مقره فى شارع قصر العينى، مكان دار الشعب الآن. وكان قد ذهب إليه من أجل زيارة أحمد أبو الفتح بالتحديد.

ـ كم مرة؟!

. . **هيكل:** مرتين أو ثلاث وليس أكثر من هذا.

ـ وزياراته لك قبل الثورة؟!

. . **هيكل:** زارنى مرة فى أخبار اليوم قبل الثورة لأسباب أخرى تماما، جاء مرة مع زكريا محيي الدين وكان زكريا محيي الدين يرغب أن نكتب شيئا عن هوية إسرائيلية توزعها على بعض عرب العزازة في سيناء لتسهل لهم التنقل في ذلك الوقت. وكان زكريا محيي الدين هو المسئول عن مخابرات سيناء. وفي هذه المقابلة سألني عن الانقلابات السورية، وطلب مني نسخة من كتابي «إيران فوق بركان» وكان ذلك سابقا على قيام التنظيم.

ـ قلت لى حكاية طلب نسخة من إيران فوق بركان، لكن تبقى حكاية السؤال عما جرى فى سوريا؟

. . **هيكل:** كنت قد رأيت جمال عبدالناصر فى الفالوجا. وعندما حضر إلىّ كنت أكتب عن انقلابات حسنى الزعيم وسامى الحناوى وأديب

الشيشيكلى . وعبدالناصر كان مستغربا من كل هذه الانقلابات . هذا ما بدا لى على أية حال . كان صلاح سالم يتكلم طوال الوقت . وعبدالناصر تدخل فى الكلام أكثر من مرة، وكان يسأل باهتمام من نوع خاص عما جرى فى سوريا وما حصل هناك .

ـ ماذا كان وضع الصحافة المصرية غداة الثورة؟!

. . **هيكل :** عندما قامت الثورة كنت رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة وأحد رؤساء تحرير جريدة الأخبار، بمسئولية خاصة عن أخبار اليوم . كان هذا هو وضعى الصحفى بدقة ليلة الثورة . ولكن ما هو أهم من هذا تعال نلقى نظرة على المواقع الصحفية الكبرى، على المدارس الصحفية التى كانت موجودة ليلة الثورة، وفى أجواء الثورة .

كانت هناك مدرسة المصرى، ومدرسة أخبار اليوم، وكانت هناك مدرسة ثالثة يمثلها الأهرام والمقطم والهلال . وهذه المدرسة كانت محسوبة ـ بشكل أو بآخر ـ على عناصر متمصرة ولم تكن داخلة فى الحياة المصرية بشدة .

ذلك أن القضية الوطنية فى الأربعينيات والخمسينيات أخذت الناس إلى مواقف أكثر تطرفا . ولكن المتمصرين كانت لهم ظروف خاصة لابد من وضعها فى الاعتبار ونحن نتكلم الآن . ولا يجب أن ننسى أن أحد أصحاب الأهرام لم يكن يستطيع أن يتكلم اللغة العربية . بشارة تكلا كانت اللغة العربية عنده مضحكة، ومجلس إدارة الأهرام كله لم يكن يتكلم العربية، كان لهؤلاء وضع خاص، وكان أشطرهم جميعا هو كريم ثابت، الذى كان متداخلا مع الملك . وكانت له علاقة خاصة به .

لكن التيارين الأساسيين أو المدرستين الرئيستين فى الصحافة المصرية، كانتا المصرى التى كانت مدرسة صحفية متحمسة، ومدرسة أخبار اليوم التى كانت

مدرسة صحفية أخرى. المصرى كان مدرسة تعتمد على الرأى وإن كانت تعتمد على التهييج أحيانا، والأخرى كانت تعتمد على الصحافة.

إن الإنصاف لابد أن يدفعنا إلى القول إن واحدة من المدرستين تعتمد على الصحافة، صحافة تخبرك ما لم تعرفه، والأخرى صحافة لها رأي.

كانت المدرستان - وهذا هو المهم - تكرهان بعضهما كراهية التحريم؛ لأنهما كانتا المدرستين الوحيدتين الموجودتين فى مصر، ولذلك فإن الكراهية تبدو من الأمور الطبيعية، وإن كانت الأخبار أقرب إلى الأهرام. هل تعرف لماذا تصدر أخبار اليوم يوم السبت من كل أسبوع؟!

- لا.

. . **هيكل:** لأن يوم السبت كان إجازة الأهرام. منذ زمن الحرب العالمية الثانية كل جريدة كان لها يوم إجازة أسبوعية. ولم يكن الأهرام يصدر فى يوم السبت

- لم كان اختيار هذا اليوم بالذات؟ هل كانت للاختيار دلالة ما؟!

. . **هيكل :** الإجازة كانت فى اليوم السابق. الإجازة كانت يوم الجمعة. ولذلك لا يصدر الجورنال يوم السبت، وهو اليوم التالى. المصرى كان يحاول الاستفادة من غياب واختفاء الأهرام فى ذلك اليوم. وجبرائيل تقلا باشا كان واضحًا عندما جاء مصطفى أمين لكى يطبع أخبار اليوم فى الأهرام ويختار يومًا للصدور، اقترح عليه الصدور يوم السبت حتى لا يستفيد المصرى من غياب الأهرام فى ذلك اليوم.

كان أنطون الجميل يقول إن الأهرام عندما يحتجب يوم السبت، فإن الطلب على المصرى يزداد فى السوق، لدرجة أنه كان يختفى من الأسواق. وتتبعه باقى الأيام بعد ذلك، الأحد والاثنين والثلاثاء، حتى يعود الأهرام إلى

الاحتجاب مرة أخرى، وهكذا. فى هذا الوقت كان توزيع الأهرام يتآكل، والمصرى كان «شادد حيله قوى».

أنطون الجميل باشا - ولكى أكون منصفًا - لابد من القول إنه كان ذكيًا.

- كم كان توزيع الصحف فى ذلك الوقت عادة؟ وهل كانت الصحف مؤثرة؟!

.. **هيكل**: كان فى حدود خمسين ألف نسخة. هذه هى الحدود التى كانت موجودة. عندما صدرت أخبار اليوم وباعت من العدد الأول ثمانين ألف نسخة، كان هذا حدثًا من الأحداث المهمة فى تاريخ الصحافة المصرية أو من حالات الأرقام القياسية بلغة زماننا. طبعًا فى الأزمات كان الوضع يختلف، كانت تحدث حالة من الإقبال الشديد وغير العادى على الصحف.

كان بين المصرى وأخبار اليوم حالة من الكراهية الشديدة، كراهية التحريم، كما قلت لك من قبل.

ولذلك تلاحظ أنه فى اليوم التالى للثورة اعتقل مصطفى أمين وعلى أمين.

- يقال إن الذى أبلغ عنهما فى ذلك الوقت المتقدم كان صحفيا. من هو؟!

.. **هيكل**: مصطفى أمين هو الذي كتب يؤكد أن أحمد أبو الفتح هو أبلغ ضباط الثورة أن مصطفى أمين على علاقة مع الأمريكان، وأنه تكلم فى التليفون، وأعطى إشارة لشخص ما فى الخارج، فى لندن بالتحديد. كانت هذه الإشارة عن قيام الثورة. لابد أنك تعرف هذه الأمور.

- كنت أعيش في قريتي الضهرية مركز إيتاي البارود محافظة البحيرة بعيدا عن القاهرة وأجوائها التي قامت الثورة - في ظلها - كان عمرى ثمانى سنوات؟!

. . **هيكل :** عموما هذه الواقعة ذكرت . لكن أهم ما قيل عنها . كان فى شهادة مصطفى أمين نفسه فى محاكمته ، وفى خطابه الموجه إلى جمال عبدالناصر .

قال له فيه أنت تذكر أن الذى أوقع بينى وبينك فى ليلة قيام الثورة هو أحمد أبو الفتح . وأحمد أبو الفتح كان قد اتصل بجمال عبد الناصر وقال له إن مصطفى أمين أعطى إشارة عن الثورة قبل قيامها . ألقى القبض عليه فورا وعلَى علِى أمين أيضًا .

وقتها اعتبرت أن هذه مسألة مهينة جدا ، للمهنة ولى شخصيا .

ـ كنت صديقا للطرفين فى تلك الأيام؟ !

. . **هيكل :** كنت أعمل فى أخبار اليوم ، وكنت أعرف محمود وحسين أبوالفتح .

ـ والعلاقة مع أحمد . ماذا كانت طبيعتها؟ !

. . **هيكل :** كانت العلاقه عادية .

ـ هل يمكن القول إنها كانت علاقة منافسة؟ !

. . **هيكل :** من الصعب القول بهذا ؛ فهو طول عمره يكتب مقالات . عمره ما عمل صحفيًا محترفًا . ثم إنه أصبح رئيس تحرير لأن أخاه الأكبر ـ وهو أخ غير شقيق ـ كان يمتلك صحيفة كبيرة عندما دخل الصحافة . بدأ من رئاسة التحرير ، وهو شبه مالك وهكذا بدأ من أعلى السلم .

لكن التوتر الشديد كان بين أخبار اليوم والمصرى . كانت تلك هى المعركة الرئيسية الصامتة فى الصحافة المصرية ، لقد حاولوا أن يؤسسوا شركة مشتركة بينهما قبل الثورة ، لكن الفكرة لم تنجح ولم تخرج إلى النور .

كانت أخبار اليوم محسوبة على الأهرام أكثر من كونها محسوبة على المصرى بسبب أنطون باشا الجميل.

ـ ماذا فعلت بعد إلقاء القبض على مصطفى وعلي أمين؟!

. . هيكل: اتصلت بجمال عبد الناصر. ثم ذهبت مع محمد التابعى إلى مجلس قيادة الثورة. قابلنا جمال عبدالناصر، وتكلمنا فى الموضوع معه. وكانوا قد قاموا بعمل اللازم والمطلوب ولم يكن هناك ما يثبت أقوال أحمد أبو الفتح. وقد استغرقت هذه الإجراءات التى قاموا بها، يومين. وتقرر الإفراج عنهما. وأحضرنا على ومصطفى أمين من السجن إلى مكتب جمال عبد الناصر.

الفكرة الشائعة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت أن مصطفى أمين كان قريبًا من القصر. وهذا صحيح وسليم. كان مصطفى أمين قريبًا من كريم ثابت، وكريم ثابت كان بالدرجة الأولى من الذين يتعاملون مع أخبار اليوم. وإن كانت علاقة مصطفى أمين مع الملك على البعد. مصطفى أمين لم ير الملك فاروق مباشرة إلا فى حضور آخرين عند محمد حسن.

ـ ولكن مصطفى أمين كتب وروى غير هذا أكثر من مرة؟!

. . هيكل: لك أن ترجع إلى حوار تليفزيوني على قناة أوربيت، أكد فيه الأستاذ مصطفى أمين إنه لم يقابل الملك فاروق شخصيا سوى مرة واحدة وكانت في غرفة محمد حسن الذي كان يتولى الخدمة الخاصة له، وكان ذلك في مرحلة متأخرة سنة ١٩٥١.

الملك كان ملكًا، برغم كل ما يقال عنه وما قيل بعد ذلك وكتب. كان يرى الناس ولكن عن بعد، الأستاذ محمد التابعى سافر مع الأسرة الملكية سنة ١٩٣٧ إلى سان مورتيز باعتباره أحد صاحبى المصرى.

كان التابعى من مؤسسى المصرى مع محمود أبو الفتح ، كان كريم ثابت والتابعى ومحمود أبو الفتح هم الذين أسسوا المصرى .

هذه أول وأكبر مرة اقترب فيها صحفي مصري من الملك فى هذه الرحلة ، طبعا باستثناء كريم ثابت ، وكتب التابعي نفسه إنه كان يقف فى مدخل نفس اللوكاندة التى ينزل فيها الملك ، وكان الملك خارجًا من الأسانسير ، وكل ما قاله الملك على البعد هو : «بونجور مسيو تابعى» .

والتابعى هو الذى كتب هذه الواقعة بنفسه بعد ذلك

هل تتصور أن الملك كان يرى أحدًا من الصحفيين؟ !

مثلما فعل رؤساء الجمهوريات الذين جاءوا بعد ذلك . إن هذا لم يكن يحدث .

ـ ولكن الصحافة انتقلت من حالة عدم اهتمام تجاه الصحفيين فى زمن الملك . إلى وضع له أهمية خاصة سواء للصحافة أو الصحفيين بعد ثورة يوليو . ومجيء رؤساء الجمهوريات الذين كانوا أقرب إلى الشعب من الملوك؟

. . **هيكل:** سأحكى لك واقعة ، على الرغم من أنها معروفة ولا تعد سراً ، ما كنت أحب أن أرويها الآن ؛ لأنها ربما تكون قد نسيت ، فالنسيان نعمة للإنسان . كان الأهرام فى مرحلة معينة فى حاجة إلى تمويل ، وتكلا باشا طلب مائة ألف جنيه من صدقى باشا ، وصدقى باشا وافق ، ولكنه عمل فيه مقلبًا مشهورا في تاريخ الصحافة المصرية . إن صدقى باشا استدعى تكلا باشا إلى مجلس الوزراء وقام بتسليمه مائة ألف جنيه ورق من فئة جنيه مصري واحد ، وكانت مبلغًا كبيرًا جدًا فى ذلك الوقت ـ ولكن جنيهًا جنيهًا ـ أى ألا يكون المبلغ من ورق فئة المئات ، ولا يحصل عليه على شكل شيكات . وهذه أزمة معروفة فى تاريخ الصحافة المصرية .

ـ ثم جاءت دفعتكم أنتم للصحافة!

. . **هيكل :** الدفعة! إنه تعبير عسكرى لا يقال سوى فى الجيش ، ومع هذا لا بأس من استخدامه . كان من أسماء ورجال هذه الدفعة : أحمد بهاء الدين ، إحسان عبد القدوس وإلى حد كبير فتحى غانم ، وتستطيع أن تضيف أحمد أبو الفتح ، ولكنه كان أكبر سنا ، وله ظروف مختلفة شرحتها لك .

بشكل أو بآخر ، نحن جعلنا الصحافة ليست ذيلا ولا تابعا ، لها استقلاليتها وكيانها فى مواجهة أى قوة أخرى . وعندما أقول الصحافة فإن هذا الكلام يعنى ضمنًا الصحفيين .

تعال ننظر إلى الآخرين ، تكلا باشا كان رجلاً محترمًا وكان غنيًا ولكنه كان قلقًا خصوصا في ظروف الفوران الوطني وإحساسه إنه ليس مصري . مصطفى أمين وعلى أمين حسبوا على القصر . محمد التابعى كان كاتبا ممتازاً وكان إنسانًا وفنانًا ، ولكن مشكلته كانت هذه الغراميات الكثيرة التى كتب عنها الكثير .

الملك فاروق كان يعامل الصحفيين ـ فى ذلك الوقت ـ عن طريق الحاشية . وأولها كريم ثابت وكذلك محمد حسن ، وذلك استنادا إلى حوار أخير أجراه مصطفى أمين على قناة أوربيت .

ـ نعود إلى جيلكم وما فعله للصحافة المصرية!

. . **هيكل :** أتصور أن جيلنا كان محظوظًا عندما جاء نوع جديد من الحكام غير الملكيين . فى الوقت الذى بدأنا فيه تعاملنا مع الحكام الجدد كنا مشهورين أكثر منهم .

أنا مثلاً ، صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كنت رئيس تحرير مجلة آخر ساعة ـ والناس كانت قد قرأت لى : تحقيقات عن الشرق الأوسط والعالم العربي من إيران إلى الأردن ومن إنقلابات دمشق إلى حرب فلسطين ، وفي وقت من

الأوقات كانت مانشتات أخبار اليوم كلها عن رسائل صحفية بعثت بها من فلسطين. والبطل أحمد عبد العزيز - سواء لقاء معه أم كتابه عنه - كل هذا وأكثر منه كنت قد قمت به. والضباط لا يعرف أحد عنهم أى شيء. عندما تقابلنا مع الحكام الجدد كنا معروفين، وبالتالى استطعنا أن نقيم معهم علاقات مختلفة، علاقات من نوع مغاير، وإن كان هذا لم يستمر، لأن هذه العلاقات انقلبت بعد هذا.

- الصراع الذى كان قائمًا بين المصرى وأخبار اليوم ماذا كان تأثيره؟!

.. **هيكل:** كان هذا الصراع محتدمًا.

- قلت لى من قبل كان المتداخلون مع رجال الثورة ثلاثة: أحمد أبو الفتح وحلمى سلام وإحسان عبد القدوس؟!

.. **هيكل:** لكن - وهذا كلام لابد وأن يقال الآن من أجل الحقيقة والتاريخ - إن أحمد أبو الفتح كان ينظر إليه من قبل الجميع باعتباره صحفيًا مهمًا وعنده جريدة وله مصالح. وأظن أن هذا كان سبب المصيبة التى وقعت له بعد ذلك. وقد حكيت هذه المصيبة لمحمود أبو الفتح فى وقت لاحق.

حتى لو شاهدت فؤاد باشا سراج الدين فيما قاله لعماد الدين أديب عن دور أحمد أبو الفتح فى الترتيب للقاء قادة الثورة مع النحاس باشا.

كانت المعلومات كلها خاطئة وغير دقيقة، وكان هذا من الأمور الطبيعية في أوقات فوضى شديدة. وعلى أي حال لم يكن أحمد أبو الفتح هو الوحيد الذي أعطى معلومات خاطئة. لكن أحمد أبو الفتح بدأ يتصرف وكأنه يدفع الثورة إلى أحضان الوفد، وعلى أى حالة كان ذلك متفقا مع الاتجاهات الأولية لضباط الثورة.

لكن تعال ننظر إلى الأمر عن قرب أكثر، لأن هذه الأزمات لا تنسى. إن

كل واحد من هؤلاء كان يمثل مدرسة صحفية قائمة بذاتها. عندما يتم ضرب أحمد أبو الفتح فكل الذين وراءه فى المصرى لا بد وأن يأخذوا مواقف حتى بدون إرادتهم. عندما تضرب أخبار اليوم كل الذين يكتبون فيها يأخذون مواقف لا إرادية.

ـ والقبض على مصطفى وعلى أمين!

.. **هيكل**: عندما ألقى القبض عليهما، شعرت أننى شخصيًا قد أهنت، وغيري كذلك، وكل الناس فى أخبار اليوم وقتها شعرت بحالة من الإهانة، وأصبح هناك موقف عام معهما.

ـ ما هى قضيه أحمد أبو الفتح تحديدًا؟!

.. **هيكل**: سأقفز بك إلى حديث جرى بينى وبين محمود أبو الفتح بعد ذلك فى فندق سان جورج فى بيروت؟!

ـ متى؟!

.. **هيكل**: فى يناير ١٩٥٥ وقبل الكلام عن لقائى مع محمود أبو الفتح، ألفت نظرك إلى لقاء فؤاد باشا سراج الدين مع عماد الدين أديب، حيث يقول له إن أحمد أبو الفتح أرسل للنحاس باشا بعد قيام الثورة. وقال له تعالوا بسرعة؛ لأن الثورة قامت. كان النحاس باشا فى الخارج، بالتحديد فى أوروبا. والنحاس باشا لم يكن يحب ركوب الطائرات. طول عمره لم يستخدم الطائرة.

اثنان كانا يشتركان فى هذه الظاهرة: محمد عبد الوهاب والنحاس باشا. لكن عندما قامت الثورة، كان حجم المفاجأة مهولاً ومذهلاً وغير طبيعى وغير معقول. أحمد أبو الفتح بدأ يرسل الرسائل إلى محمود أبو الفتح الذى كان يقيم فى أوروبا معهم. كان أحمد يتصل بمحمود ويبدو أنه عمل لهم «البحر

طحينة». النحاس ترك إيفيان وذهب إلى جنيف، وهما قريبان، وفؤاد باشا سراج الدين يذهب إلى جنيف أيضًا.

وهناك يتصلان بمحمود أبو الفتح الذى يطلب منهما نزول مصر بسرعة، وإلا فإن الأحزاب الأخرى - وذلك حسب رواية فؤاد باشا سراج الدين لعماد الدين أديب - ستحصل على كل شىء. فى غيابهم وربما بسبب هذا الغياب.

النحاس وسراج الدين كانا يفضلان الانتظار حتى تتضح الأمور، وكانا يتخوفان من على ماهر بعد أن أصبح رئيسا لمجلس الوزراء. إنه العدو التقليدي لهما. الذى سبقهما إلى السادة الجدد.

النحاس وصل إلى مصر بالطائرة، وهذا تغير لابد وأن يوضع فى الاعتبار. هل تعرف من الذى كان فى انتظاره فى المطار؟! إنه أحمد أبو الفتح، الذى قال لثورة يوليو إنه لابد وأن يكون فى استقبال النحاس وسراج الدين فى المطار لأن النحاس كان متعبًا جدًا، وكان الوصول ليلاً، بالتحديد الساعة ١١ ليلاً.

فى المطار قال لهما أحمد أبو الفتح لابد وأن يتجهوا من المطار إلى مجلس قيادة الثورة فالكل ينتظر هناك. النحاس قال إنه متعب وسراج الدين - وذلك طبقًا لكلامه - وجد من المناسب ومن الأفضل أن يذهب النحاس إلى بيته.

ومن يريد مقابلته يذهب إليه فى بيته.

أحمد أبو الفتح كان مصممًا ومصراً على الذهاب فوراً إلى مجلس قيادة الثورة وكان رافضًا ذهاب النحاس إلى بيته، وقال إن هذا سيعطى الآخرين فرصة خطف ضباط الثورة منهم وأكد أن الفرص كلها ستضيع مرة واحدة.

وكانت النتيجة أن ذهبا معه إلى مجلس قيادة الثورة.

ـ من كان فى انتظارهم فى مجلس قيادة الثورة من الضباط الأحرار؟!

. . **هيكل:** المفاجأة أنه لم يكن هناك أحد فى انتظارهم، الجميع كانوا نياما؛ لأنهم وصلوا الساعة ١٢ ونصف«نصف ساعة بعد منتصف الليل» ورجال يوليو كانوا متعبين بصورة لا يمكن وصفها، كان قد مر على قيام الثورة خمسة أو ستة أيام، وكان الملك قد رحل عن البلاد.

جلسوا نصف ساعة، وسألوا أحمد عن الضباط الأحرار أين هم؟! أحمد أبو الفتح بدأ يصعد وينزل ويذهب ويجيء، ولم يجد أحداً، وبالتالى لم يحضر إليهم أحد.

وفى كل مرة يقول إنهم سيحضرون بعد خمس دقائق. ولكن بعد مرور نصف ساعة، قال النحاس وقال سراج الدين إذن نمشى. طلب أبو الفتح إعطاء الضباط فرصة ربع ساعه أخرى وأخيرة، ولن تكون هناك مهلة بعدها. كان الضباط الأحرار نياماً، وأنا الذى أيقظتهم من النوم. وبعد نصف ساعة أخرى وليس ربع ساعة كما قال أحمد أبو الفتح، قال للنحاس وسراج الدين اتفضلوا فوق، حيث إنهم كانوا ينتظرون فى الدور الأسفل. لحظة صعودهم كان الانتظار قد وصل إلى ساعة كاملة. صعدوا إلى الدور الأعلى لكن المقابلة كانت فاترة.

ـ من الذي حضر هذا اللقاء من أعضاء مجلس قيادة الثورة؟!

. . **هيكل:** كان هناك جمال عبدالناصر يقيناً، وكان هناك محمد نجيب يقيناً، وكان موجوداً خالد محيى الدين يقيناً، كمال الدين حسين كان حاضراً يقيناً، زكريا محيى الدين موجوداً على وجه اليقين. وهذا اللقاء كان من جزأين: جزء أول حضره الصحفيون. وهناك جزء آخر من اللقاء لم يحضره أحد سوى أحمد أبو الفتح بمفرده معهم. كان الصحفى الوحيد الذى حضر هذا الجزء.

ـ ماذا جرى فى الجزء الأول من اللقاء؟!

. . **هيكل:** هذا الجزء من اللقاء الذى حضرناه نشر معظم ما جرى فيه فى حينه. قال النحاس لنجيب: مبروك. . مبروك. أنت قائد الجيش. وأنا باسم الشعب أهنئك. وألقى النحاس كلمة لم تخرج عن هذا المعنى. أن قيادة الشعب ممثلة فى النحاس تهنئ قيادة الجيش. أحدهما قائد العسكر والآخر قائد الجماهير. وقد خرجت بعد ذلك، ولم أحضر الباقى.

ـ لكن تبقى رؤيتك. ويبقى تحليك لما جرى!

. . **هيكل:** أظن وأعتقد أن هذا اللقاء لم يكن سعيداً. أولاً: لأن النحاس كان متعبًا جداً، متعبًا أكثر مما ينبغى. حضر من سفر بعيد، وركب طائرة لأول مرة فى حياته، وذهب من المطار إلى مجلس قيادة الثورة مباشرة، وفى المجلس انتظر لمدة ساعة كاملة، وكان الانتظار على غير هواه.

كان النحاس مدفوعًا فى هذا اللقاء بفكرة الوصول إلى الضباط الأحرار قبل الآخرين. وهى الفكرة التى كان أحمد أبو الفتح قد نجح فى وضعها فى ذهنه. وكان أحمد أبو الفتح قد نجح فى أن يفهم كل طرف أنه مندوبه عن الآخر، وقد حضر اللقاء كله ليس بصفته صحفيًا، ولكن على اعتبار أنه «محضر خير».

كان هذا أول لقاء وآخر لقاء بين الوفد والثورة. وكان اللقاء الثانى قد جرى بين جمال عبدالناصر وفؤاد سراج الدين، لكن هذا اللقاء الثانى كان متعلقًا بأمور سياسية وليس بأمور ذات طابع فكرى.

ـ ومحمود أبو الفتح! ولقاؤك معه فى بيروت عام ١٩٥٤؟

. . **هيكل:** كان أحمد أبو الفتح قد صعَّد فى الكتابة عن حكاية الديمقراطية فى المصرى.

ـ قلت لى إن الضباط الأحرار كانوا يريدون ترك الحكم للوفد باعتباره حزب الأغلبية! ومع هذا فشل اللقاء الأول!

. . **هيكل:** هذا ما لا يستطيع أحد أن يفهمه ولم يحاول أحد ـ مجرد محاولة ـ أن يفهمه وأن يستوعبه، ومع هذا أنا متأكد بالنسبة لثورة يوليو، أن الذى كان مترسخًا فى يقين قادتها، أن الوفد هو حزب الأغلبية الكبرى فى مصر، وأنهم أتوا من أجل إزاحة الملك فقط، ثم يجرون انتخابات حرة تأتى بالوفد إلى الحكم. لكن الصورة أصبحت بعد ذلك أكثر تعقيدًا من هذا التبسيط المخل.

عند الخروج من الصورة العامة والاقتراب من أحمد أبو الفتح. أقول إنه بدأ يشعر أن نفوذه يقل تدريجيًا؛ ولهذا بدأ يجعل من الديمقراطية لعبته وهذه القضية بالذات كانت قد أصبحت لعبة كل من لا لعبة له.

أعود إلى لقائى مع محمود أبو الفتح. كنت عائدًا من دمشق. كان هناك انقلاب فى سوريا أتى بأديب الشيشكلى إلى الحكم. مررت على بيروت لمدة يوم واحد. زهير عسيران كان يملك جريدة «الهدف»، وكان هو مراسل المصرى فى بيروت. قال لى إن محمود أبو الفتح فى بيروت.

فى هذه الفترة كانت قد حدثت أمور كثيرة مهمة. كان أحمد أبو الفتح بعد التصعيد فى الكلام عن الديمقراطية. كان قد خرج من مصر وعاش فى جنيف، حيث كان يعيش هناك أصلاً ومن قبل محمود أبو الفتح.

كان خروج أحمد أبو الفتح ـ كما قال بعد ذلك ـ بناء على نصيحة بعض أصدقائه. بعد قليل اتصل بى زهير عسيران، وقال لى إن محمود أبو الفتح يريد أن يراك. وكان محمود ينزل فى نفس الفندق الذى أنزل فيه أيضًا.

تقابلنا أولاً فى ركن بالفندق ثم خرجنا إلى صالة مفتوحة وجلسنا فى ركن

من أول الساعة السابعة مساءً. حيث كان موعده معى حتى الساعة الثالثة صباحًا.

سألنى: ماذا جرى بالضبط؟! ألم يكن أحمد واحدًا منهم؟ ماذا جرى بينه وبين جمال؟! فى هذا الوقت كان المصرى قد بدأ يتورط فى اللعبة السياسية التى كانت تجرى فى مصر. ومحمود أبو الفتح كان قد بدأ يقلق على مصالحه.

قلت له: أنا لا أعرف ماذا جرى بالضبط؟

أحمد كان بالتأكيد واحدًا منهم. مثلما تقول أنت بالضبط. لكن أنا يخيل إلىّ أن هناك فارقًا بين أن تكون كأنك واحد منهم، وبين أن تكون واحدًا منهم فعلاً. وأتصور أن أحمد ربما يكون قد وعد حزب الوفد ووعد أسرته بأكثر مما يستطيع، ثم أحس بحرج.

ربما كان أحمد أبو الفتح أمينًا فى ذلك لأنه رأى الاتجاه أمامه وفديًا. وهكذا بشركم أنه يستطيع أن ينجز ما تريدونه، وأن الثورة كلها ستصبح تحت تصرفكم، ثم اكتشف أن هذا مستحيل أو غير ممكن، فبدأ يشعر بضيق ويبحث عن أى مخرج. وهذا جعل الأمور تصل إلى حدود التوتر.

سألنى محمود أبو الفتح: هل تتصور أن إمكانية الصلح بين أحمد وجمال قد أصبحت متأخرة الآن؟!

قلت له: لا. لا أعتقد أن أوان الصلح قد فات.

سألنى: هل تستطيع أن تفعل شيئا فى هذه القضية؟!

قلت له: أحاول.

سألنى: ما الذى تقدر على فعله؟!

قلت له : إننى أرى أن الاجتماع بين جمال عبدالناصر وأحمد أبو الفتح يمكن أن يحل الكثير من المشكلات المعلقة .

قال لي : ولكن أحمد قد يشعر بالخوف من فكرة السفر إلى مصر .

قلت له : أحصل له على ضمانات قبل حضورة إلى مصر .

كنا نجلس فى الركن ، وأمامى محمود أبو الفتح الذى بدا لى إنسانًا غريبا . كان قد كوّن أموالاً كثيرة من تجارة الورق ، وتاجر فى كل شىء ، لكنه كان يحتفظ فى جنيف بسيارة رولز رويس ، وكان يسبق اسمه لقب سناتور فتح . كان عضواً فى مجلس الشيوخ ، وحصل على لقب سناتور فتح ، وكان محمود مخبراً صحفيًا فى الأهرام فى بداياته .

ـ هو الذى أسس إذاعة صوت مصر الحرة المعادى لثورة يوليو !

. . هيكل : ذلك صحيح .

المهم عندما أكدت لمحمود أبو الفتح أننى يمكن أن أحصل لأحمد أبو الفتح على ضمانات . طلب منى أن يكون الاتصال بيننا عن طريق سيد أبو النجا . ورجانى بعد العودة لمصر أن أتفق مع جمال عبد الناصر . وإذا كان مستعداً لمقابلة أحمد بضمانات ، بمعنى أن يتركه يسافر ويخرج من مصر بعد ذلك . وكان سيد أبو النجا هو مدير المصرى فى ذلك الوقت .

حضرت إلى مصر وجمال عبدالناصر كان يريد أن يتم اللقاء ؛ لأنه من الصعب عليه أن تصل صداقته مع أحمد أبو الفتح إلى طريق مسدود .

وإلى المدى الذى وصلت إليه . قال جمال دعه يأتى فى أى وقت يشاء .

ـ هل كان سفر أبو الفتح إلى الخارج قطيعة ، أم مجرد سفرية قد يعود منها؟!

. . هيكل : لا أعرف .

- **والمصرى: هل كان مستمرًا فى الصدور؟!**

. . **هيكل:** كان مستمرًا فى الصدور. سيد أبو النجا كان مسئولاً أمام محمود أبو الفتح من الناحية المالية والإدارية، وكان هناك مسئول عن التحرير.

اتصلت بسيد أبو النجا. حضر إلىّ ومعه عبد الله عبد البارى، وكانا مع باقى العاملين فى المصرى يشعرون بالقلق مما يقوم به أحمد أبو الفتح فى الخارج. فقد كان يصور لهم الأمور فى البداية على أن الجريدة هى الثورة نفسها، ولكن ما جرى - بعد ذلك - أن أحمد دخل فى خناقة وفعل مالم يكن يتوقعونه منه، وتركهم وخرج من مصر.

قلت لسيد أبو النجا على الموعد المحدد لأحمد أبو الفتح مع جمال عبدالناصر. ثم أبلغنى محمود أبو الفتح عن الطائرة التى سيحضر فيها أحمد لمصر. وكانت طائرة سويس إير. تصل إلى القاهرة فى الساعة السادسة والنصف من بعد الظهر.

أحمد أبو الفتح كان يسكن فى عمارة الشمس التى كانت تطل على النيل. وهى أمام المكتب الذى نجلس فيه الآن - فى الناحية الآخرى من النيل - فى الدور الرابع منها. سيد أبو النجا قال لى أنا خائف من بعض المشكلات التى يمكن أن تحدث فى المطار، ورجاني أن أذهب معه إلى المطار.

قلت له سأذهب معك إلى المطار. وصلت الطائرة، نزل منها أحمد أبو الفتح. ذهبنا إلى منزله. وكان موعده فى اليوم التالى مع الرئيس جمال عبد الناصر.

فى الموعد ذهبنا. وكانت لدى رغبة فى الخروج وتركهما معًا بمفردهما. ولكن الرئيس عبدالناصر قال لى: اقعد لكى تكون موجودًا وحاضراً هذا

اللقاء. كان تصورى أن صديقين يلتقيان مع بعضهما وكلما كانا بمفردهما كان ذلك أفضل من أجل تصفية النفوس.

ـ أيه يا أحمد؟! أنا بقيت دكتاتور؟!

هكذا تكلم جمال عبدالناصر وأكمل:

ـ وبقيت أنا فاشستى. وأنت عمال تزايد علىَّ فى الديمقراطية يا أحمد؟!

كان مؤدى كلام جمال عبدالناصر ما يلى:

ـ قال له يا أحمد أنت تعرف أننى جئت من أجل عمل انتخابات، وتعرف أن هذا هو هدفنا، ولكن الذى حدث أننا جئنا وحدنا واكتشفنا أننا لو أجرينا انتخابات بدون عمل تغيير اجتماعى فى البلد، فإن هذه الانتخابات ستأتى بنفس العناصر القديمه. كان لابد من عمل الإصلاح الزراعى ونقوم ببعض الإصلاحات والأعمال الأساسية التى تحرر الفلاح، بحيث إن الانتخابات لو أجريت بحرية تامة ينتج عنها تغيير حقيقى.

أما إن إجريت الانتخابات الآن، مثلما كنا نفكر من قبل ستأتى هذه الانتخابات بالعناصر القديمة وكأننا لم نفعل شيئًا. هذا كان مؤدى الأسانيد التى ساقها عبد الناصر.

ـ كم من الوقت استغرق اللقاء؟!

.. **هيكل:** ساعتين إلا ربعًا.

ـ ألم يكن هناك أحد من مجلس قيادة الثورة حاضراً الاجتماع؟!

.. **هيكل:** أبدا. كان جمال عبدالناصر بمفرده.

ـ أين تم اللقاء؟!

. . **هيكل :** كان جمال عبدالناصر حريصًا على أن يتم فى البيت وليس فى مكتبه .

. . **كيف تم سياق اللقاء؟!**

. . **هيكل :** تحدثا عن الوفد . وحاول أبو الفتح أن يذكره بتصوراته القديمة ، أى التى كانت قبل الثورة . وجمال عبدالناصر قال له ما عرفه عن الوفد . وهنا كلمه أحمد أبو الفتح عن شخص من عائلة النحاس كان صهرًا لعائلة أبوالفتح ، جرت له بعض الأمور فى التطهير . فقال له جمال عبد الناصر «وأنا مالى ومال التطهير؟!»

ثم تكلم أحمد أبو الفتح قائلاً :

ـ لا أعرف لماذا يضطهد بغدادى محمود بيه ، وأنا لحم أكتافى من خير محمود بيه . هكذا نطق أحمد أبو الفتح اسم محمود . كان يردفه فى كل مرة بكلمة بيه .

كان محمود أبو الفتح يريد الحصول على امتياز أتوبيسات القاهرة ، وكان عبد اللطيف البغدادى قد أعطاه لأبو رجيلة . وكان بغدادى وقتها وزير الشئون البلدية والقروية ، وعمل كورنيش النيل ، وكانت له ضجة كبيرة فى ذلك الوقت ، وكان يتولى القاهرة . وفى المناقصة الخاصة بأتوبيس القاهرة تقدم أبورجيلة بعطاء أفضل من عطاء محمود أبو الفتح ، الذى كان متقدمًا مع مجموعه بلجيكية ؛ فرسى العطاء على أبورجيلة .

وأيضًا كان محمود أبو الفتح متقدمًا مع نفس المجموعة للجيش المصرى ببندقية معينة اعتمد عليها حلف شمال الأطلنطى فى تسليحه . بدأ أحمد أبو الفتح يتكلم عن البندقية ، ويقول لجمال عبد الناصر : هذه البندقية أخذها حلف الأطلنطى والجيش المصرى رفضها ، ولماذا يرفضها؟!

عملوا لجنة برئاسة حافظ إسماعيل . واللجنة رفضتها ، وقالت إن هذه البندقية ليست الأولى فى العالم . قال أحمد أبو الفتح ، إن الذى تقدم بهذه البندقية كان محمود بيه أبو الفتح ومعه المجموعة البلجيكية .

لقد رأيت بنفسى الأزمة التى وقعت فى هذا اللقاء . جمال عبدالناصر دهش جدًا . وقال له : أيه يا أحمد أنا بأكلمك فى السياسة ، وأنت بتكلمنى فى الأتوبيسات والبنادق ، أنا مالى ومال الأتوبيسات والبنادق .

جمال عبدالناصر قال لأحمد أبو الفتح أنت تكلمنى عن محمود أبوالفتح ، خلى بالك أن محمود على اتصال بحلف بغداد مع نورى السعيد . الذي كان قد أعلن عن عطاءات . وقال أحمد أبو الفتح إن هذه العطاءات رسيت على محمود بيه مثل أى مقاول آخر . فقال له عبد الناصر : لا أعرف إنه مقاول . مش كنت تقول لى إنه مقاول؟ .

توتر الجو وفقد الكلام معناه . وخرج أحمد من اللقاء والحقيقة إنه لم يكن لقاء موفقًا . ذهبت معه إلى بيته ، وفى اليوم التالى أخذته مباشرة من بيته إلى المطار ، حيث سافر إلى جنيف . ولم يقابل جمال عبدالناصر بعد ذلك أبدًا .

ـ على أى أساس سافر أحمد أبو الفتح؟!

. . **هيكل:** كان هذا هو الترتيب الأصلي ، وكانت تلك رغبته .

* * *

ـ ومدرسة أخبار اليوم ومدرسة المصرى؟!

. . **هيكل:** مدرسة أخبار اليوم كانت عندها شائعة علاقة بالأمريكان ، أحمد أبو الفتح أبلغ عنها قيادة الثورة من أول يوم ، وحصل بعدها إلقاء القبض على مصطفى أمين وعلى على أمين ثم أفرج عنهما ، ولكن بقيت

ظلال، كانت هذه الظلال موجودة من قبل. لكن هذه الظلال عادت للظهور في ملابسات أخرى.

الأمر الثاني أن رجال يوليو يعرفون علاقة آل أمين بالقصر وبيوت ما قبل الثورة. وهنا أيضًا توجد باقى الظلال.

ـ كانت هناك مشاكل باقى الصحفيين!

. . **هيكل:** فى هذا الوقت حدثت مشكلة مع إحسان عبد القدوس. إحسان فى ذلك الوقت كان رئيسا لتحرير روز اليوسف، وكان صحفيا مهما، وكان على اتصال بهم، أقصد على اتصال بضباط يوليو.

وكان من القضايا التى أثيرت قبل الثورة. قضية الأسلحة الفاسدة. لم تكن القضية بالشكل ولا بالحجم الذى صورت به، وقد جرى تحقيق فيها وإحسان لم يكن راضيًا عن هذا التحقيق الذى تم.

من طبيعة الأمور أن إحسان كان يشعر أن قضية الأسلحة الفاسدة هى التى بنى بها مجداً معينًا، ولأن هذه القضية لم يعد لها صدى بعد الثورة. لم يكن هذا من الأمور المريحة له، وهذا خلق حالة من التعقيد.

ـ كان يتوقع مثلاً وجود حالة من العرفان بالجميل تجاهه؟

. . **هيكل:** أكثر من هذا، كان إحسان يتصور أنه من الذين مهدوا للثورة. وهذا حقيقى إلى حد كبير، لكن الذى يحصل عادة فى الثورات وفى العمليات السياسيةأن شيئًا بعينه يمكن أن يكون له أثره النفسى، لكن الواقع الحقيقى غير متماثل مع الأثر النفسى. وذلك بمعنى إنك من الناحية السياسية هناك ما يمكن أن يسمى الرؤية، لكن هناك الواقع الحقيقى لشىء ما، والطريقة التى يمكن رؤيته بها بشكل أو بآخر.

ـ هل هناك ما لا يعرفه جيلنا عن قضية الأسلحة الفاسدة؟!

. . **هيكل :** إن التحقيقات التي أجريت بعد الثورة، أثبتت أن المسألة لم تكن بتلك الدرجة من الخطورة، ثم تبين أن الخناقة بالدرجة الأولى كانت خناقة موردي أسلحة وهم الذين أحضروا الوثائق ضد بعضهم. والناس كانت تحضر الأسلحة القديمة والمتخلفة من إيطاليا بالتحديد منذ الحرب العالمية الثانية، ومعها ذخائر تعرضت لأحوال جوية، وبعضها فسدت، لكن نسبة الفاسد فيها لم تكن بذلك الحجم أو بذلك التأثير.

وعندما أجرى تحقيق فيها اكتشف أنها لم تمثل ما كانوا يتصورونه، ومع هذا عملت أثرها من الناحية النفسية فى مرحلة معينة، لكن عند التحرى لايجد الإنسان أن القضية بنفس الدرجة.

اعتقادى أن هذه المسأله تركت أثرًا.

ـ مشكلة إحسان هذه هل هي التي أدت إلى القبض عليه؟!

. . **هيكل :** في ظروف أزمة مارس اختلطت أمور كثيرة. وفي وسط هذا الخلط وقع القبض على إحسان. المشكلة أنه بعد قليل بدأ مجلس قيادة الثورة يواجه أزمة تآلب عليه كل الناس الذين كانوا يشعرون ببعض الضيق. حدثت واقعة مع السنهورى وجماعة القانون وأصبحت مشكلة. دخل المجلس فى مشكلة مع على ماهر والوزارة، وتم تغيير على ماهر وأصبحت مشكلة. ثم دخل المجلس فى إشكالات مع بعض الصحفيين هنا وهناك.

أكثر من هذا، بدأ رجال الثورة يدخلون فى مشكلات مع أنفسهم. محمد نجيب فى مواجهة مجلس قيادة الثورة. عند الوصول إلى سنة ١٩٥٤ كان المسرح السياسى يعيش حالة من الفوضى. مجلس الثورة كانت هناك مشكلات بينه وبين كل الناس تقريبًا. اعتقادى أنهم أساءوا لأنفسهم فى هذا الوقت.

ـ عندما نصل إلى بدايات سنة ١٩٥٤ ماذا نجد؟!

. . **هيكل:** هناك مشكلات نجد أن مجلس قيادة الثورة كان له حق فيها. ومعظم هذه المشكلات كانت بسبب محمد نجيب. لقد كان رجلاً قاموا هم باختياره ووضعوه فوق رءوسهم وفي مقدمة حركتهم، ولكنه بدأ يحاول أن يأخذ من السلطة بمقدار ما أخذ من الشعبية وهذه طبائع بشر.

محمد نجيب؟! قال لى أنا، ثانى يوم بعد الثورة: أنا والله أشعر بجريمة تجاه هؤلاء الشبان كلهم، أخذت المجد الذى صنعوه كلهم.

وهذا لا يجعلنا نتجاهل أن الذى يوقع على الإنذار الموجه إلى الملك يصبح بطلاً قوميًا فى خمس ثوان فقط، لمجرد هذا الإمضاء، مهما كان هذا الإنسان الذي وقع. لو كان رجلا يصبح بطلا ولو كان امرأة تصبح قديسة. يعاملها المصريون مثلما تعامل الفرنسيون مع چان دارك.

لقد كان محمد نجيب متأزمًا من هذا الوضع، وكان الرجل يتمتع بميزات كثيرة جدًا. لكن الحقائق هي الحقائق.

كل الذين غضبوا من مجلس قيادة الثورة، ابتداء من سليمان حافظ حتى السنهورى حتى الوفد حتى الإخوان حتى الصحفيين، بمجرد أن بدا أن هناك خلافا فى داخل مجلس قيادة الثورة فى قلب جبهة الضباط. بدأ الجميع يدخلون طرفًا فيه ويحاولون أن يستغلوه لصالحهم. وأبرز خلاف داخل جبهة الضباط كان خلاف محمد نجيب مع مجلس قيادة الثورة.

ـ لكن الكلام عن الضباط الأحرار ـ حتى الآن ـ يظهرهم بمظهر الثوار الأطهار. ألم تكن هناك أى أخطاء ارتكبوها؟ لقد أخطأ الجميع. وهذا وارد. ولكن ماهى أخطاء الضباط بعد أن أصبحوا فى مواقع السلطة؟!

. . **هيكل:** لعلك تقصد هذه الأخطاء الخاصة بالثقافة. فى هذه الفترة ـ من حيث الثقافة ـ فإن هناك خطأين أساسيين تم ارتكابهما:

الخطأ الأول: هو الجهل بفكرة العمل العام عند بعضهم. وخذ مثلا أن

جمال سالم عندما كان يجد شخصًا عاديًا يركب سيارة ويخرق قواعد المرور، ويسبب بخرقه هذا حالة من الفوضى، ويكون جمال سالم يقود سيارته فى نفس الوقت، فما يكون منه سوى أن يكسر عليه ويوقفه عن السير ويتصور أن في سلطته يحاسبه.

تقول له إن طريق العدل الشخصى لا يوصل إلى أى نتيجة، أنت لست الخليفة، مثل الزمان البعيد الذى مضى. عندما كان الخليفة ينزل بالعصا ويضرب المخطئ حتى يعيده إلى الصواب.

هنا نجد فكرة الخطأ فى فهم القانون، بمعنى أن القضية ليست أن تنفذ ما تريده وقد تكون محقًا فيه. لكن مسألة أن تنفذه، لابد وأن يكون ذلك من خلال إجراءات؛ لأن روح القانون هى الإجراءات وليست أى شىء آخر.

فى مجتمع متقدم مثل الولايات المتحدة الأمريكية - قيل هذا الكلام قبل أحداث ١١ سبتمبر والتداعيات التي جاءت بعدها - أو إنجلترا أو فرنسا. شخص يقتل لابد من قتله ولكن بعد محاكمة ومن خلال إجراءات. لكن فى مجتمع متخلف، شخص يقتل يأخذونه ويعلقونه على شجرة فى الغابة. الأول مر على إجراءات طويلة ومعقدة من مراحل المحاكمة، وربما تمضى عشر سنوات خلال المحاكمة، وقد تكون النتيجة هى البراءة، ربما بسبب خطأ فى الإجراءات، مثل حالة أوجى سمبسون لاعب الكرة الذى قتل زوجته وحبيبها، ولأن الإجراءات كانت خطأ خرج براءة.

القانون بالدرجة الأولى ضمانات وإجراءات، أو ضمانات تحددها إجراءات. ولكن بالنسبة لرجال يوليو - أو فلنقل البعض منهم - كانت هناك حالة سيولة فى فهم القانون. وأقول هذا الكلام حتى نكون منصفين، لقد كانت هناك تجاوزات فى فهم القانون أو فهم روح القانون، لأن القانون ليس التلاعب بالنصوص من عدمه، وإن كان المدنيون قد تلاعبوا - أيضًا - بهذه

النصوص، وليس الضباط فقط هم الذين فعلوا هذا. مع أن الجوهر هو روح القانون.

الأمر الثانى: قلة الوعى الحضارى. أذكر أنه بعد الثورة جرى عمل مجلس إنتاج ومجلس خدمات وذلك من أجل البناء والانطلاق. أنا قلت: أن من يمشى فى شارع الملكة نازلى يشاهد أربعة أو خمسة مبان منها مبنى المحكمة المختلطة الذى أصبح دار القضاء العالى، ومبنى مصلحة التليفونات، وجمعية فؤاد الأول للتشريع. تجد هذه المبانى وكلها من عصر الملك فؤاد، كلها من الأعمدة الرخامية الرومانية فيها طراز معمارى هو الطراز السائد فى المحاكم.

كل هذه المبانى أنشئت فى زمن الملك فؤاد، ويمكن القول إن فيها تعبير عن الرؤية الإيطالية الحضارية للملك فؤاد. كنت أقول إننا سنبنى كثيراً. سنبنى فى البلد مبانى بلا حدود. وأنا أقترح أن المبانى التى ستقام فى وقت الثورة يصبح لها طابع معمارى مميز.

وقلت إن عثمان محرم استطاع أن يتوصل إلى طراز معمارى يجمع ما بين الفرعونى والإسلامى، وبنى به فى جامعة الأسكندرية، خاصة مبنى كلية الهندسة. أنا قلت هذا الكلام وكأنى كفرت. وجمال سالم قال لى:

- يا أستاذ. يا بنى آدم. الموضوع مش موضوع الحاجات السفسطائية دى. اللى بيتكلموا فيها.

الحضارة فى النهاية، جزء منها إحساس بالجمال. إحساس بأين يكون الجمال. أعتقد أن هذا كان ناقصًا.

من ناحية الثقافة، فى هذه الفترة بصرف النظر عن أن المدنيين هم الذين دخلوا فى ألعاب القانون وعملوا أشياء كثيرة. اعتقادى أن مجلس قيادة الثورة

لم يستطع أن يستوعب روح القانون، وإن روح القانون هى بالدرجة الأولى الضمانات والإجراءات.

الأمر الثانى: اعتقادى فى الناحية الحضارية أن الإحساس بالجمال أخذ على أنه ترف وكلام سفسطائى وميزات من أزمنة سابقة. مع أن المهم هو المصلحة. هل شاهدت مترو موسكو؟!

ـ نعم، ورأيت محطات المترو التى تبدو أجمل من القصور.

. . **هيكل:** عندما شيدها لينين. قال إننى أنظر إلى الأجيال القادمة، لهذا شيد محطات مترو شديدة الفخامة؛ لأنه حلم أن يكون هذا هو شكل الاتحاد السوفيتى المقبل، إنه يعمل ونظرته بعيدة المدى وبما يتناسب مع إنجازات الدولة السوفيتية فى المجالات الأخرى.

ـ ألا يدخل ضمن أخطاء هذه المرحلة بيع تحف القصور الملكية؟!

. . **هيكل:** إن بيع جزء من التحف التى كانت فى القصور الملكية كان خطأ فادحًا. لقد اشتراها عدد من التجار اللبنانيين وهم فى الغالب من النصابين. هذه التحف كانت مهمة جدًا؛ لأن العائلة المالكة كانت قد قامت بأمرين هامين جدا. من الناحية الجمالية والحضارية فى اعتقادى:

الأمر الأول: إن العائلة الملكية دخلت فى المزادات الفرنسية التى أقيمت على ممتلكات نابليون الثانى، واشتروا منها أشياء كثيرة من ممتلكات الإمبراطورية الفرنسية الثانية.

الأمر الثانى: إنه عندما أقيمت المزادات على ممتلكات عائلة هاتسبورج فى النمسا. اشترت العائلة الملكية كميات كبيرة من هذه الأشياء الثمينة.

وهكذا، فإن القصور الملكية أصبح فيها بمرور الوقت. مقتنيات كثيرة. وبصرف النظر إن كان هذا فنا مصريًا أو فنًا عالميًا ففى كل الأحوال كان قد

أصبح فنًا عالميًا. جزء أصيل وجوهرى من تراث العالم، وبعد شرائه يصبح ملكًا لمن اشتروه.

ـ من الذى قرر بيع هذه التحف؟!

. . **هيكل:** من الصعب القول إن هناك شخصًا مسئولا عن ذلك. بدأ بلجنة أو لجان قامت بجرد محتويات القصور الملكية، ثم بدأ الإحساس العام اقتصاديًا بالرغبة فى التنمية، خاصة فى مواجهة الأزمة الاقتصادية التى كانت موجودة فى مصر. وهنا طرح تساؤل: ما المانع من بيع هذه التحف؟

خاصة أنه عندما صودرت أموال الملك فاروق، الأراضى الزراعية والأطيان الشاسعة، كان من السهل مصادرتها وأمكن بعد المصادرة بيعها. وكانت الحصيلة ٧٠ مليون جنيه حولت إلى مجلس الخدمات وشكلت أول ميزانية لهذا المجلس، الذى لم تكن له ميزانية من الدولة. كانت كلها من الأموال المصادرة من الملك.

وهنا بدأت الفكرة تطرح: لماذا لا نبيع جزءًا من هذه التحف الفنية أيضًا من أجل التنمية؟! وعند محاولة الإجابة على السؤال. حدثت حالة من التغاضى عن القيمة الفنية والحضارية لمثل هذه التحف. لم يفهم أحد هذه القضية أبدًا. وربما يكون الناس الذين قالوا بالبيع لم يكونوا أمناء. أنا أعتقد ذلك بصدق، فهم أولاً لا يفهمون قيمة هذه التحف الفنية ذات الطابع الحضارى. وثانيًا: هؤلاء الناس أحضروا مثمنين من أوروبا. لكن اعتقادى أن الأمر كان نظره سطحية للأمور من الأول وإلى الآخر.

ـ ماذا كان موقف جمال عبدالناصر من عملية البيع؟!

. . هيكل: هو الذى أوقف هذا البيع على آية حال فى النهاية، ولكن عندما تقرر وقف عمليات البيع كانت أشياء كثيرة قد بيعت.

ـ فى هذين العامين من عمر يوليو. قبل أزمة مارس ١٩٥٤. ماذا كان

موقف عباس محمود العقاد؟! لقد قرأت مؤخراً نص إهداء كتاب فلسفة الثورة من جمال عبدالناصر إلى العقاد؟!

. . **هيكل :** من الممكن أن يكون هذا قد حدث .

ـ ألا تذكر موقفًا محددًا للعقاد؟ تأييدا؟! رفضا؟! موقفا رماديا؟!

. . **هيكل :** لا أذكر مثل هذه المواقف التى تتكلم عنها ، ولكن أريد أن أقول لك إنه فى هذا الوقت كان رجال يوليو يتعاملون مع الصحف والجرائد من الخارج .

لم يكونوا قد قرروا إنشاء جريدة الجمهورية . كانت علاقاتهم بالدور الصحفية قلقة ، ما عدا أفراد . جزء من المسئولية هنا يعود إلى خطأ الصحفيين وحتى المثقفين والمفكرين دائمًا وأبداً ؛ لأن هذا المثقف أو ذاك يبدى رأيًا ثم يصر على أن يجاب إلى ما يطلبه .

من الخطر أن يتحول المثقف إلى سلطة .

قيمة المثقف ـ فى اعتقادى ـ تجاه أى إنسان فى موقع السلطة ، أى صاحب قرار ، أن يدرك المثقف أن حدوده تبدأ وتنتهى بالفكرة ، فإن زادت الأمور عن الفكرة فهو إما متدخل أو طالب لشىء .

ـ ولكن إحسان عبد القدوس كان صاحب أفكار أخذت بها ثورة يوليو فى البداية!

. . **هيكل :** فعلا إحسان عبد القدوس كان صاحب فكرة اختيار على ماهر لتأليف أول وزارة بعد الثورة ، وذهب مع أنور السادات مبكراً جداً فى صباح يوم ٢٣ يوليو إلى على ماهر وذلك من أجل تكليفه بتشكيل الوزارة .

المثقفون الأغريق هم الذين فهموا بدقة وموضوعية حدود دور المثقف . هل تذكر عندما حضر الإسكندر إلى ديوجين وقال الإسكندر لديوجين :

ـ هل تريد منى أى شىء؟! هل أستطيع أن أفعل لك شيئًا؟!

ماذا قال ديوجين للإسكندر؟! قال له :

ـ لا تحجب عني ضوء الشمس . ابتعد عن الشمس حتى يصلنى ضوؤها .

هذه فى اعتقادى ، إشارة مبكرة لعلاقة الفليسوف بالقيصر أو القائد العسكرى أو الحاكم . وهى إشارة قادمة لنا من فجر التاريخ . وأعتقد أن أهم درس ممكن لأى إنسان يشتغل بالفكر أنه من حقه أن يبدى رأيه . وهذا بالمناسبة حق لكل إنسان . فإذا طلب منه أن يوضح رأيه أكثر ويصبح من حق المفكر أن يكون مشيراً . فإذا طلب إليه أن ينفذ ، إذن ينفذ ولكن فى حدود ما كلف به ، ولا يتجاوز ذلك . وينتهى من تنفيذ ما طلب منه ويمشى ولا علاقة له بشىء .

ـ وأنت! لماذا استمرت العلاقة بينك وبين جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل :** ربما لأني حاولت التزام حدود الفكرة ، وآخر مدى يمكن أن تصل إليه .

ـ يقول زملاؤك . وربما خصومك : إن هيكل احتوى عبدالناصر والثورة؟!

. . **هيكل :** أنا لم أحتو أحداً . إن كنت قد احتويت أكون قد احتويت نفسى أولاً . القضية قضية أن يدرك الإنسان ما هو دوره بعيداً عن أن تكون طامعاً فى أى شىء ، أو أنك تريد أن تفرض أمراً من عندك .

أنور السادات ، قال لى أنت تريد أن تصبح مركز قوة ، وأنت تفرض علىَّ سياساتك . قلت له : أنا فقط أقول لك رأيى وأكتب هذا الرأى . ولهذا فأنا ـ قلت له ـ قوة مركز ولست مركز قوة ؛ لأنك تستطيع أن ترفض هذا الرأى ولا تقبله .

قال لى : إن هذا الرأى يحدث لى بلبلة . قلت له : إن هذا أمر جيد . إنه يعنى أننا دخلنا إذن فى صميم الديمقراطية . أن هناك أناساً تقتنع برأيى وهذا أمر جيد ويحسب للديمقراطية .

نعود إلى ما بدأنا به هذا الكلام وأقول : لقد دخلت مصر أزمة مارس والحالة أبعد من الفوضى ، والخطوط كلها متداخلة .

ـ توفيق الحكيم . . ماذا كان موقفه من الثورة؟!

. . **هيكل :** لم يكن له موقف محدد . كل هؤلاء جاءوا بعد ذلك . لم تكن مواقف محددة فى هذا الوقت المبكر جداً .

ما يخص توفيق الحكيم وثورة يوليو سنصل إليه فيما بعد وسنجد حكاية صراعه مع وزير المعارف العمومية وقتها الأستاذ إسماعيل القباني ، عندما كان الحكيم مديراً لدار الكتب ، وتلك حكاية سنصل إليها فيما بعد .

ـ وطه حسين؟!

. . **هيكل :** كل هؤلاء وقفوا يترقبون القادم . الكل كان يؤيد . كل الناس أيدت الثورة . لم يكن هناك معارض واحد لها . الكل أيد من مواقع مختلفة .

ـ حتى سيد قطب!

. . **هيكل :** طبعًا . حتى سيد قطب .

ـ فى مرحلة ما بعد يوليو . ألم يلفت نجيب محفوظ نظر جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل :** لا أعرف إن كان هذا قد حدث أم لا . لاحظ أنى لا أتكلم سوى عن الأمور التى عاصرتها بنفسى ، ولا أقول أى أمور سمعتها من الآخرين .

ـ ومن الذى لفت نظر عبدالناصر بعد الثورة؟!

. . **هيكل :** الذى أثار اهتمامه كان توفيق الحكيم ، وهذا سنصل له فيما بعد .

* * *

المحاورة الثامنة

الانقلاب الذى أصبح ثورة

كان عبد الناصر يريد أن يستمع

مصطفى أمين يحكى ما كان يجرى في القصر

ومحمد التابعى حكى ما كان يحدث في الوفد

وحكاية الشـريط الذى أحـضـره مـصطفى أمين.

تكلمت قبل هذا وقلت: إن جمال عبدالناصر عندما أتى، كان أدباء جيل معين قد أدوا أدوارهم وانتهوا، كان جزء كبير منهم قد استهلك في المجال السياسي، وكان هذا عند الكلام عن طه حسين وعباس محمود العقاد. وقلت لي أن جمال عبدالناصر قرأ أحمد أمين وأعجب به جدًا، وإن طه حسين ذهب مع صلاح سالم إلى جريدة الجمهورية.

ـ سؤالي هو: هل صحيح أن طه حسين هو أول من أطلق على حركة يوليو كلمة ثورة؟!

. . **هيكل:** إن موضوع الحركة والثورة أخذ دويًا لا لزوم له في ذلك الوقت، لأنه على سبيل المثال هؤلاء الضباط الذين قاموا بالثورة كان في ذهنهم أنهم يقومون بثورة، كانوا يتصورون ذلك في واقع الأمر، لكن لم تكن فكرة الثورة واضحة في أذهانهم، بمعنى أنك عندما تقول: ما هي تعريفات الثورة العلمية؟ ستجد أن الثورة: هي التمرد على شيء أو وضع قائم واستبداله بوضع ينبغي أن يقوم. اللغة الإنجليزية تعبر عن هذا بشكل أكثر دقة لأنه في اللغة الإنجليزية توجد الكلمتان معًا. تمرد. وثورة. كلمة Revolt هذه معناها تمرد فقط. ولكن كلمة Revoultion تعني الثورة.

الكلمة الأولى تعني أن تزيح ماهو قائم فقط وهذا معناه التمرد. ولكن الثانية تعني الثورة وهنا لا تكتفي بإزالة ما هو قائم ولكن يكون هناك بديل.

-إلى أى المعنيين كان جمال عبدالناصر أقرب؟!

. . **هيكل:** أعتقد أن جمال عبدالناصر كان أقرب فى فكره إلى الثورة ومفهومها. كان يتكلم دائمًا عن ثورة.

وإن كانت حكاية التعريفات والمفاهيم وما يجرى في الواقع قد سببت كل هذا اللبس الكبير سواء عند المثقفين أو غير المثقفين؛ لأن الثورة ليست رفض الأمر الواقع فقط، بل هى رفض الأمر الواقع فى صالح برنامج بديل.

ولأن الثورة لم يقم بها حزب ولكن مجموعة من الضباط، ولا يوجد فى أذهانهم -لحظة القيام بالثورة- نظام بديل، وكل الذى تصوروه أن البديل هو إجراء انتخابات، ومجىء الوفد إلى الحكم. إذن توقف الأمر عند حدود المرحلة الأولى من الثورة، وهى رفض الأمر الواقع. لكن لم يكن عند الضباط، لا بحكم تكوينهم، ولا بحكم ظروفهم التاريخية برنامج.

-ومبادئ الثورة الستة كانت فيها ثلاثة تهدم ما كان قائمًا وثلاثة تبنى ماهو آت!

. . **هيكل:** هذه المبادئ الستة لم تعلن فى البدايات الأولى.

-ألم تكن معلنة فى صباح يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢؟!

. . **هيكل:** لا. لم تكن موجودة فى هذا اليوم الفريد، ولكنها وضعت فيما بعد. التصورات والرؤى كانت هائمة فى الجو، كانت أقرب إلى التصورات العامة.

-بأى معنى؟!

. . **هيكل:** كانت هذه التصورات تتكلم عن الديمقراطية بالمعنى المطلق. الأمر المؤكد والواضح، هو رفض ما كان موجوداً وقائمًا.

ـ هذا كلام جديد ربما يقوله الأستاذ لأول مرة!

. . **هيكل:** إن هذا يجعلنا نقف وجهًا لوجه أمام أزمة الفكر فى العمل العربى العام والعمل المصرى. لقد شاهدت فؤاد سراج الدين مع عماد الدين أديب مؤخرًا.

ـ هل من حقي معرفة موقف الأستاذ النفسى من فؤاد سراج الدين؟!

. . **هيكل:** أنا أحبه جدًا كإنسان وقد جمعتني به روابط كثيرة، منها صداقة عائلية مع كريمته السيدة نائلة. فؤاد سراج الدين يقول فى هذا الحوار، وهو يحكى عن علاقته بالثورة، ويبدأ مما كان سائدًا وموجودًا قبل قيام الثورة.

يقول بالتحديد إن الملك فاروق كان موجودًا فى الخارج، فى كابرى سنة ١٩٥١. وهذا صحيح تاريخيًا، وإنه كان ضمن حاشية فاروق شخص اسمه أدمون جهلان.

وأن أدمون جهلان من الناس الذين وردت أسماؤهم فى تحقيقات النائب العام محمد عزمى ـ فى ذلك الوقت ـ وهو يحقق فى قضية الأسلحة الفاسدة، وهذا صحيح وأنه كان مطلوبًا من أجل أخذ أقواله. وإن الملك وهو فى الخارج ـ هكذا يقول سراج الدين ـ كانت معه الحاشية كلها. لكن أدمون جهلان أرسل إلى القاهرة. أرسله الملك فاروق من أجل أن يحضر له شيئًا ما أو أن يقوم بعمل معين. حتى الآن فإن الوقائع التاريخية كلها صحيحة.

لكن الخطير هو أن يضيف فؤاد سراج الدين ـ وأنا كنت مذهولاً من هذا ـ حيث يقول:

كان هناك أمر من النائب العام بالقبض على جهلان واستدعائه، ولذلك أنا حاصرت قصر عابدين، عندما علمت أن جهلان يختبئ فيه، وكلمت رئيس الديوان حسن باشا يوسف، وقلت له إذا لم يحدث أن جهلان يخرج ويسلم نفسه، سأصدر أمرًا للبوليس بأن يقتحم قصر عابدين.

انتهت رواية سراج الدين. وأتساءل: أى إنسان يعرف ألف باء السياسة هل يمكن أن يقول هذا الكلام؟! هذا لا يمكن أن يحدث. أى إنسان يعرف أوضاع مصر قبل الثورة. يقول هذا الكلام الغريب والمدهش، والذى لا يقوم - ليس على الحقائق - ولكن على تصور الأمور بشكل غير دقيق.

إن هذا الكلام يرينا أزمة العمل العربى والعقل العربى. فمنذ هذا الوقت وحتى الآن. الأمنية الكبرى المكبوته أن هناك أناسًا كثيرين كانوا يريدون أن يقوموا بما قامت به الثورة، وتخيلوا فى أذهانهم أنهم قاموا به. وهم لم يفعلوا هذا، ولكن ما فعلوه كان عكسه تمامًا.

هل يمكن أن تتصور ولو بعين الخيال، أن فؤاد سراج الدين، كان يجرؤ فى ذلك الوقت على وضع عسكرى بوليس واحد بجوار قصر عابدين؟ هل كان يجرؤ على أن يخبر حسن يوسف، رئيس ديوان الملك، أنه سيقتحم قصر عابدين، ويعطى أوامره بذلك للعساكر؟!

- ومفهوم الثورة عند ضباط يوليو؟!

. . **هيكل:** جمال عبدالناصر كانت قد اتضحت فى ذهنه بصورة دقيقة فكرة رفض الأمر الواقع.

لكن البديل الذى يمكن أن يحل محله، كان يخرج إلى النور مع مرور الوقت. وهذا كان جزءًا كبيرًا من المأزق ومن الأزمة، خصوصًا أنه أتى وكان فى ذهنه أن حزب الأغلبية الرئيسى فى البلد هو حزب الوفد. وقد كان حزب الأغلبية بصورة صحيحة.

لكنه لم يكن يتوقع ما رآه بعد ذلك، سواء عند تجربة الإصلاح الزراعى، او ما شاهده مباشرة من فؤاد سراج الدين، أو ما قاله له السنهورى وما قاله سليمان حافظ عن الوفد، باعتبار أنهما كانا من أحزاب الأقلية.

أيضًا هناك شريط فى منتهى الأهمية، وأعتقد أنه لعب دوراً مهما جداً، أحضره مصطفى أمين.

ـ الآن أصبح الكلام ممكنًا للتاريخ ولوجه الحقيقة المطلقة.

هل كانت في هذا الشريط تفاصيل عن أشياء حساسة وخطيرة ومهمة فيما كان يجري قبل الثورة؟!

. . **هيكل**: طبيعي إنه كان بعد الثورة وبعد أن برز دور جمال عبد الناصر ومسئوليته فيها، إنه أراد أن يعرف أكبر ما يمكن عن حقائق الأحوال قبل الثورة. طلب أن يجلس مع حسن يوسف. وجاء حسن يوسف إليه، ولكن للحقيقة وللتاريخ فإن حسن يوسف لم يتكلم بما يخرج عن الإطار العام. وهذا الرجل كان رئيس ديوان الملك فاروق.

ـ حتى خلال هذا اللقاء بين جمال عبدالناصر وحسن يوسف؟!

. . **هيكل**: هناك أكثر من هذا. هناك فترة من الوقت. كان حسن يوسف أصبح فيها رئيسا للديوان مع جمال عبدالناصر الذى كان يراه خلال هذه الفترة حسب ضرورات العمل. لكن قبل هذا بكثير فى يوم من الأيام التقى على صبرى مع حسن يوسف، حاول أن يسأله، لكن حسن يوسف رفض أن يتكلم. رفض أن يقول كلمة واحدة.

ـ وهل كان هذا الرفض عامًا. أى من آخرين غير حسن يوسف؟!

. . **هيكل**: هناك اثنان أو ثلاثة حكوا كثيرا وقدموا شواهد وأدلة. الأستاذ محمد التابعى ذهب مرة، والرئيس جمال عبدالناصر استمع إليه. خاصة ما كان يجرى فى الوفد، وكان عبدالناصر مندهشا مما يسمعه منه. مصطفى أمين تكفل بما كان يجرى فى القصر وأضاف إليه الكثير عن أحوال الوفد. وأنا لا أحب الخوض فى هذه الأمور طويلاً.

ـ لماذا؟!

. . **هيكل:** لأنها تتصل بأمور شخصية .

ـ إنها أمور عامة . إن جمال عبدالناصر كان يحاول أن يعرف من خلال التفاصيل الإنسانية كيف كانت تحكم مصر؟ من خلال تصرفات الذين قاموا بالثورة ضدهم كلهم. ضدهم جميعًا . .

. . **هيكل:** المصيبة أن رجال يوليو لم يكونوا ضدهم كلهم .

ـ كانوا ضد من إذن؟

. . **هيكل:** بالنسبة للوفد، لقد جاء جمال عبدالناصر وفي تصوره أن الوفد سيأتي إلى الحكم . الكارثة الكبرى أنه كان يتصور أن فى الوفد جناحا يستطيع أن ينفذ ما لم يقدرهو ولم يستطع زملاؤه أن يتصوروه . لقد تصوره بالأمل . كان يتصور أن دوره هو إحضار جناح من هؤلاء الذى هو جناح الأغلبية التى تأتى عن طريق انتخابات حرة، أليست هذه هى إرادة الشعب؟!

ولكن الذى حدث أن جمال عبدالناصر فوجئ بأن هناك أشياء كثيرة جدًا . سواء ما سمعه عن الوفد . وحكاية تأجيل الانتخابات التى تكلم عنها على ماهر . قال لا يمكن أن تحدث انتخابات ولا يمكن أن يعود البرلمان الذى كان موجودًا مهما كانت الظروف .

ثم دخل مع على ماهر السنهورى وسليمان حافظ وفتحى رضوان وكل من تتخيل لإعطاء صورة سيئة ورديئة عن الوفد . كان يرى مواقف معينة فى رفض الإصلاح الزراعى ويشعر بضغوط من أحمد أبو الفتح ، وبعض أصدقاء الوفديين وكانوا كثيرين .

فى الناحية الأخرى ، كان هناك من يعدون شديدى العداء للوفد ، يتكلمون ضده على طول الخط : على ماهر باشا رئيس الوزراء ، بهى الدين بركات

عضو مجلس الوصاية الذى كان يرأسه محمد عبد المنعم، ثم تقريبًا كل وزراء على ماهر، والسنهورى وسليمان حافظ، ثم تلك الحقائق التى بدأت فى التكشف؛ ولهذا وجد نفسه فى موقف صعب.

جمال عبدالناصر وهؤلاء الشبان استطاعوا أن يقولوا إن ما لا نريده يمشى فمشى، لكنهم اكتشفوا بعد ذلك أن المصيبة أكثر ثقلاً من مجرد مشى الملك. والحزب الذى تصوروا أنه يمكنه ملء الفراغ كان هو نفسه الفراغ. كان هذا جزءًا كبيرًا من الأزمة. عندما نظر رجال يوليو فوجدوا أحوالاً ما كان من الممكن تصورها.

ـ ما هو الشريط الذى أحضره مصطفى أمين وماذا كان عليه؟!

. . هيكل: لم يكن شريطًا من هذه الأشرطة الحديثة التى نستخدمها الآن لأنها لم تكن موجودة فى ذلك الوقت، ولكنه تسجيل أجراه صدقى باشا فى وزارة سنة ١٩٤٦. بعد اغتيال أحمد ماهر سنة ١٩٤٥. جاء النقراشى، مكث قليلاً، وجاءت وزارة صدقى سنة ١٩٤٦ عندما عرضت قضية مصر على مجلس الأمن.

صدقى كان رئيس وزراء ووزير داخلية طاغية، وإن كانت عنده مقومات شخصية لا يمكن إنكارها، كان ذكيًا جدًا، ومثقفًا وقارئًا، لكنه لا يعتقد أن الديمقراطية هى الحل مع الرعاع. بهذا المنطق كان عنده إحساس فوقى تجاه الناس.

صدقى كان من مؤسسى الوفد. من السبعة الذين أسسوا الوفد مع سعد زغلول. وكان هناك شخص لعب دورًا كبيرًا جدًا وهو حفنى محمود، وهو شقيق محمد محمود. حفنى هذا كان يعرفه عدد من ضباط الثورة. ذهبوا إليه ورأوه، وكان من بينهم عدد كبير معجبا به. وحفنى محمود يذكرك بشخصيات فى الثورة الفرنسية لعبوا دور الأخ الأصغر لنبيل كبير مثل دوق

أورليان. وهو شخصية غريبة جداً؛ لأنه فى زمن الثورة الفرنسية كان هناك أناس من أعضاء الأسرة المالكة مع الثورة كانوا الأصغر سنًا فى هذه العائلة ولم يرثوا آباءهم ولم يرثوا الألقاب، أصبح هناك أخ أكبر يعتقدون أن عندهم الحق، ولكنهم حرموا منه.

حفنى محمود هو الشقيق الأصغر لمحمد محمود، وهو عضو فى الأحرار الدستوريين. لكن محمد محمود ظل واستمر طاغيًا جداً على الحياة السياسية، على الأقل فى أحزاب الأقلية. وحفنى محمود وهو الأكثر ثقافة وأديب وشاعر ويقرأ الشعر والأدب ويهتم بالثقافة. كان هذا من الشخصيات التى استمع إليها رجال يوليو.

هذه الشخصيات كلها تكلمت عن الوفد وقالت أموراً كثيرة، مصطفى أمين لم يتكلم فقط، ولم يحك فقط، ولكنه أحضر الشريط أيضًا.

الكتـــاب الرابع

إنسان مطروح على الناس

المحاورة التاسعة

صراع على السلطة دخل التاريخ تحت عنوان أزمة مارس

محمد نجيب: يصلح بطلاً لرواية ولكنه لا يستطيع أن يكون قائداً للثورة.

خطأ الثورة وخطيئتها: لم يكن أحد يمثل الديمقراطية.

عبد الناصر كان مجروحاً من تصرفات الأساتذة الكبار.

ـ نصل إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . من زاوية موضوعنا وهى علاقة عبدالناصر بالمثقفين؟!

. . **هيكل :** أزمة مارس حدث تاريخى يحتاج إلى خيال روائى . ضع نفسك فى قلب الحوادث، وحاول أن تتسلح بدور الفنان وتتلمس وترى وتحيط بحجم الغضب الذى كان موجودًا .

أولاً : نتكلم عن أزمة مارس من الناحية السياسية وانعكاساتها على الناحية الثقافية .

ـ إذن يكون سؤال البديهيات الأول : ما هى أزمة مارس بالتحديد بعد كل هذه السنوات التي مرت على وقوعها؟!

. . **هيكل :** أزمة مارس هى خلاف بين مجلس قيادة الثورة وبين محمد نجيب ، وهذا الخلاف كان متعلقًا بمن يكون صاحب القرار الأخير . وأنا أقول هذا الكلام من أجل أن نكون واضحين .

مجلس قيادة الثورة فى ذلك الوقت كان قد أنجز الإصلاح الزراعى ، وألغى الألقاب ، وأنشأ مجلس الخدمات ، وأنشأ مجلس الإنتاج ، وذلك من أجل تجاوز الروتين الحكومى . ويستطيع المجلس بذلك أن يؤثر فى حياة الناس .

هناك أناس حاولوا الدخول على الخط فى هذه الأمور، حتى لا يقال إن هذه إنجازات مجلس الثورة بمفرده.

لكن فى الناحية الأخرى، جرت أمور ربما لا يكون لمجلس الثورة دخل فيها، مثل حكاية التطهير وحكايات رفت بعض الموظفين، ثم ضيق بعض الناس من إجراءات الإصلاح الزراعى، وضيق بعض الناس الآخرين من إلغاء الألقاب.

أنت لم تعاصر ما جرى في زمن إلغاء الألقاب فى مصر والحكايات التي جرت حول هذا الموضوع، ولابد وأن تحيط بالجو النفسى العام الذى كان موجودًا، بسبب هذه الألقاب، وحجم السعى إليها.

ـ سمعت أنها كانت نوعًا من الوجاهة الاجتماعية.

. . **هيكل:** الأمر أبعد من هذا وأعمق وأخطر. الألقاب كانت تشترى بمبالغ أكثر من خيالية وأكبر من فلكية.

الناس كانت تكافح كفاحًا رهيبًا من أجل الحصول على لقب، أو أن تدفع الثمن من أجل الحصول على اللقب. هناك بعض الناس فى أواخر سنة ١٩٥١ وأوائل سنة ١٩٥٢، من أجل الحصول على لقب فعلت ما يفوق حتى الخيال نفسه.

هل تعرف أنه عند إلغاء الألقاب ماتت بعض الناس بالسكتة القلبية؟!

نحن إذن أمام نظام جديد، لم يكن يريد أن يعمل نظامًا، لكنه وجد نفسه مسوقًا من أجل عمل نظام بتأثير مجموعة من الناس الذين كانوا معه، ثم وجد أن هناك مهامًا حقيقية لابد من عملها، وليس هناك من يقوم بها ولا مفر من تحمل مسئوليتها.

لقد تم عمل أشياء كثيرة بطريقة صحيحة، وأشياء أخرى كثيرة عملت

ولكن بطريقه خاطئة، وهناك آخرون مشتركون معهم فى الصواب الذى فعلوه، ولكن هناك أيضًا آخرون مشتركون فى الأخطاء التى ارتكبت.

لكن فى أثناء هذا اتضح بداية وجود خلاف بين مجلس قيادة الثورة وبين محمد نجيب، وهو - كما قلت لك من قبل - خلاف على من الذى يقرر، من يكون صاحب القرار.

ومحمد نجيب رجل اختير فى الوقت الأخير، لقيادة تنظيم الضباط الأحرار. وهو رجل فاضل وتقاسيم وجهه سمحة، وهى التى وصلت إلى الناس فى أول الثورة. وبالتأكيد كان له دور مهم، وكان لملامح وجهه أيضًا دور مهم.

محمد نجيب قال لى ذات مرة:

- أنا أشعر إننى أخذت مجد هؤلاء الشباب - حرام هذا - إننى أشعر بتأنيب ضمير.

فى العمل المسرحى يمكن أن تحضر شخصًا ما لكى يلعب دورًا ما، لكن المشكلة إنه قد يصدق هذا الدور بعد ذلك. والمشكلة الحقيقية تبدأ عند عملية التصديق هذه، أو ربما بعدها، فطالما إنك أنت الذى طلبت منه القيام بهذا الدور، يصبح من حقه بعد ذلك أن يطالب به.

على سبيل المثال السنهورى يريد أن يصبح رئيسًا للوزارة. فيقول له رجال يوليو إن هذا صعب لأنك قد وقعت على وثيقة السلام. لابد أن تلاحظ إن الإنسان يمكن أن يستمع إلى نصيحة ما، وتكون على غير هواه ويقبلها مترددًا، ولكن هذا لا يعد قبولاً لأن الإنسان يمكنه أن يتراجع عنه بعد ذلك عند أول فرصة.

جمال عبدالناصر يقول أكثر من مرة: الوفد، ويقول النحاس. ولكن الآخرين يقولون: لا. لا. وتكون النتيجة هى الإحساس بخيبة الأمل؛ لأن

مـا كـان الإنسـان يتـصـوره لـم يتـحـقق . لكـن تبـقى هناك أدلـة من الصـعب أن ينكرها الإنسـان ، وقد يصـل الإنسـان إلـى لـوم نفسـه . ثـم تصـل إلـى النـهـايـة لتجد صراعًا .

ثم يجد بعض الناس مثل السنهوري وسليمان حافظ أن هناك صعوبة فى التعامل مع مجلس الثورة ، فانحازوا إلى محمد نجيب .

وفى الوقت الذى كـان المحيطون بعبـدالناصر يحـذرونه من التـعـامـل مع الوفد ، فإذا بمحمد نجيب فى صراعه مع مجلس الثورة يتصل بالنحاس ويطلب منه اللقاء .

كـمـا لو أن هناك من جلس يتكلم عن مجموعة من المبادئ ، ويدخل من يسمعه يردد مجموعة من الأخطاء ، ثم عند اللزوم ، عند نقطة معينة من عبور النهر يبيعك ، وهو يريد الحصول على ما قمت به ، على إنجازك .

كان محمد نجيب يقول فى هذه الفترة أنا وضعت يدى على رقبتى ، حملت رأسى على كفى ، وقمت بما لم يقم به أحد . وهذا كله صحيح .

ثم إن الوضع السياسى كان صعبًا وعصيبًا ؛ لأننا كنا نتفاوض مع الإنجليز ، وفى هذا التفـاوض فإن مـحـمد نجيب وجد من يراهن عليه ، وغيره كثيرون راهنوا عليه .

ـ راهنوا على ماذا . ومن الذين راهنوا؟!

. . هيكل : سليمان حافظ وغيره من مجموعات الضباط الذين حاولوا استغلال محمد نجيب . ومن الناس الذين شاركوا في تضخيم الأمور في ذهن محمد نجيب . طبيعي أن يكون .

ـ وخالد محيى الدين؟!

. . هيكل : خالد مـحيى الدين ، لأ . خالد طول عـمره رجل أمير جدًا .

خالد محيى الدين الراهن لم يتغير فيه شىء، إنه رجل نقى، فيه نقاء. ولكنى أتكلم الآن عن محمد نجيب ومجموعة الضباط الذين كبروها فى دماغ محمد نجيب. ومن الناس الذين شاركوا فى تضخيم الأمور فى ذهن نجيب، طبيعى أن يكون منهم مجموعة «اللواءات» الذين يرون هؤلاء الضباط الشباب، أصحاب الثورة، أنهم كانوا فى سن الأولاد بالنسبة لهم.

من الطبيعى أن تتجه مجموعة اللواءات هذه إلى محمد نجيب، وأن يكون الكلام معه ممكنا. يضاف إلى هذا أنهم أصبحت لهم السيطرة على الجيش. وفى نفس الوقت كان ضباط يوليو يقولون إنهم هم الذين يسيطرون على الأمور.

لقد تضافرت مجموعة مصالح على مجلس قياده الثورة، بما يمثله، سواء من شرعية الفعل الذى قاموا به، أو شرعية التصورات التى يمكن القيام بها وتنفيذها.

ـ هذا عن الرهان على محمد نجيب. ألم يكن هناك من يراهن على جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل:** لا تنسى أن وفد المفاوضات مع الإنجليز. كان مشكلاً من محمد نجيب.

ـ هو الذى أصدر قرار تشكيله!

. . **هيكل:** طبعًا. ولكن كان جمال عبد الناصر هو رئيس الوفد وكان أعضاؤه هم: عبد الحكيم عامر، عبد اللطيف البغدادى، جمال سالم. مجلس الثورة إذن كان موجوداً، ومجلس الثورة كان «مزنوقًا» فى قضية التفاوض مع الإنجليز، والمسائل كانت قد وصلت إلى حدود التعقيد.

هكذا كانت تبدو الصورة المعقدة:

محمد نجيب ومجموعة اللواءات المحيطة به فى جانب، ومجلس قيادة الثورة فى جانب آخر.

هنا حدث خلط شديد بين الناس الذين شاركوا فى مغامرة الثورة ليلة الانقلاب، والناس الذين كانت عندهم فكرة التمرد على ماهو قائم ومحاولة استبداله بشىء آخر.

هنا حدث خلط كبير بين الانقلاب وبين الثورة، لكن على أية حال نجد أن محمد نجيب ومجموعات من الضباط الكبار الذين التفوا حوله، إلى جانب مجموعات من الضباط الصغار الذين شاركوا فى مغامرة الثورة، لكنهم خلطوا بين المغامرة والفكرة، ولم يكونوا سعداء لأن هناك أناسًا آخرين من الواضح أنهم هم الذين صنعوا مجلس قيادة الثورة.

ـ والمدنيون الذين اقتربوا من الثورة. ألم يكن لهم دور فيما جرى؟!

. . **هيكل:** هناك مجموعة المدنيين الذين اقتربوا من الثورة، بالتحديد يمكن أن نجد منهم على ماهر الذى كان رئيسا للوزارة وأخرجوه، ونجد عبد الرزاق السنهورى ونجد سليمان حافظ وغير هؤلاء.

هناك أيضًا بعض التكنوقراط الذين أتت بهم الثورة، ومنهم مثلاً عبدالجليل العمرى، وهناك أيضًا مجموعات الموظفين البيروقراطيين، وإلى جوار هذا يمكن القول مجموعات الناس الذين كانوا فى الجرائد لكن دورهم لم يكن مؤثراً.

الرهان كان على:

١ ـ أن محمد نجيب كان الشخصية الشعبية المؤثرة الأولى.

٢ ـ أن مجلس قيادة الثورة حُمِّل بالأخطاء التى جرت كلها؛ لأن الناس الآخرين كانوا يتكلمون ويتحركون، وهؤلاء كانوا لا يتكلمون ولايتحركون.

٣ـ أنه ذات يوم، تم اكتشاف أن محمد نجيب ووراءه تحالف من كل القوى التى كانت موجودة قبل الثورة ومن كل الذين تضايقوا بعد الثورة، بمعنى أنه كان وراءه الوفد والإخوان، وبقايا الأحزاب كلها والسعديون، حتى الذين كانوا موجودين فى الحكم مثل سليمان حافظ والسنهورى، كانوا معه ووراءه، كلهم استسهلوا التعامل مع نجيب باعتبار أنه شخص يمكن السيطرة عليه. والاختلاف مع مجلس الثورة، باعتبارهم مجموعة من الشباب عندهم اندفاع ولهم سيطرة على الجيش ولا أحد يفهم بالضبط ماذا يريدون.

إن الفكرة تقوم على أمرين:

أولاً: أنهم بدون شعبية وبدون جماهيرية ومحرومون تمامًا من ذلك. أنهم فى مأزق حقيقى ربما بسبب انشغالهم بالتفاوض مع الإنجليز، وإنهم ـ لذلك ـ مضطرون لقبول أى حل من الحلول الوسط؛ لأن أى فرقعة من الممكن أن تحملهم أيضًا فشل المفاوضات. وبالتالى فقد دخلت كل القوى فى هذه المعركة.

ـ ما هو الجانب الفكرى والثقافى فى هذه المعركة؟!

. . **هيكل:** هذه المعركة لم تكن معركة فكرية ولا ثقافية. هذه المعركة كان السبب فيها أن كل الناس الذين لم ينجحوا فى مواجهة الملك والإنجليز. أسعدهم أن أحدًا يتصدى للملك ويسقطه، وأصبحوا يتصورون الآن أن المهم هو التقدم من أجل وراثه السلطة، ويقومون بتنحية هؤلاء الأولاد مستعينين فى هذا برمز محمد نجيب الذى يمكن التخلص منه بعد ذلك.

ـ ماذا كان موقف جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل:** الغضب. كلمة واحدة كانت تلخص موقفه بكل دقة. وهى الغضب.

ـ ولم كان هذا الغضب؟!

. . **هيكل :** غضب جمال عبدالناصر من كل هذا الذى كان يجرى . كان غضب رجل نظر ورأى الأساتذة الذين كانوا يتكلمون معه حول أحلامه ، هؤلاء خانوا هذا الكلام ، كانوا أول من طعنوا الكلام الذى كانوا يقولونه .

ـ هل كنت قريبا منه فى هذه الفترة؟!

. . **هيكل :** بالصورة التى يمكن منها أن أعرف حقيقة ما يجرى .

ـ كيف لمست هذا الغضب؟!

. . **هيكل :** عندما كنت أكلمه ـ فى هذه الفترة ـ عن السنهورى ـ مثلاً ـ كنت أشعر أنه مجروح . جرح شخص من شخص ظل يحترمه طوال عمره ، إلى أن طعنه . ولهذا إن الجرح يمكن أن تشعر به ، برغم كل آيات الاحترام ؛ ذلك أن السنهورى كان هو الذى تكلم معه عن الوفد ، وعن تصورات ما تتطلبه الأمور ، وقدم له العديد من النصائح ، خاصة نصيحة مد فترة الطوارئ .

ثم يأتى ـ بعد ذلك ـ لكى يزايد عليه عند اللزوم فى معركة لا علاقة له بها إلا لأنه استسهل التعامل مع محمد نجيب .

ـ هل كان الجرح من السنهورى وحده؟!

. . **هيكل :** كانت هناك جراح عديدة : جراح من الوفديين ومن الإخوان ، وجراح من الشيوعيين ؛ ذلك أن مارس ١٩٥٤ كان فى واقع الأمر عبارة عن أن القوى التى حلمت بتغيير الأوضاع قبل سنة ١٩٥٢ وعجزت عن أن تؤثر فى أوضاع ما بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تصورت أن عندها فرصة فى أزمة مارس ١٩٥٤ للعودة من جديد بعد أن تخلص لها غيرها من الملك ، أو تخلص غيرها منه نيابة عنها .

وتوجد ـ فى نفس الوقت ـ شخصية مثل محمد نجيب ، كل هذا يجعلها

تطمع فى استئناف ما كانت فيه من قبل، وتعود الأمور في البلد إلى ما كانت عليه من قبل، وذلك بعد استبعاد مجموعة الضباط الشباب ويبقى محمد نجيب فقط؛ لأن التعامل معه أسهل والتلاعب به أيسر، ثم التخلص منه من الأمور السهلة.

ـ هل يمكن أن نتوقف الآن أمام واقعة الاعتداء على السنهورى ـ وبرغم شهرتها الطاغية ـ هل يمكن أن ندخلها فى سياق ما نحن بصدده الآن؟!

. . **هيكل:** اتجهت مظاهرة إلى مجلس الدولة.

ـ ولكن هل كان فيها ضباط؟!

. . **هيكل:** لا أعرف حقيقة أن المظاهرة كان فيها ضباط، لكن المؤكد أن المواجهة أثارت ردود فعل صاحبتها ردود فعل جامحة.

هناك من اتصل ـ يروى الأستاذ ـ من مكتب السنهورى بجمال عبدالناصر، وقال إن هناك هجومًا على المكتب الآن، وجمال عبدالناصر اتصل بالبغدادى!

أعتقد أن جمال عبدالناصر نفسه حاول أن يتصل بطعيمة والطحاوي، وكانا المسئولين ـ فى ذلك الوقت ـ عن هيئة التحرير، ثم نزل بنفسه وحاول أن يرى ما يجرى على الطبيعة وأن يوقفه. لكن كان من الصعب تقدير ما جرى على أرض الواقع.

ـ البعض يقول إن ما جرى فى مارس ١٩٥٤ كان ثورة فى الثورة؟!

. . **هيكل:** أظنه كان أقرب إلى ثورة على الثورة.

ـ أحد أسئلة مارس ١٩٥٤ . دكتاتورية أم ديمقراطية؟!

يبقى الجيش فى الحكم أم يعود إلى الثكنات؟!

. . **هيكل :** كل ما حدث فى اعتقادى أن كل التحركات التى تمت كانت كلها فى مجال تكتيكات صراع على السلطة . لا أعطيها أكثر من هذا ، ولا أحاول البحث عن غطاء لها من هنا أو من هناك .

كل الناس رفعت شعارات لا تعنيها . عندما يأتى شخص ما من الذين نصحوا بتأجيل الانتخابات ومجىء البرلمان ومد الفترة الانتقالية ٣ سنوات . وذلك على العكس من رأى مجلس قيادة الثورة ، بالتحديد على العكس من رأى جمال عبدالناصر .

ثم يأتى بعد سنة واحدة من ذلك هذا الشخص نفسه يأتى فى أزمة مارس لكى يغير رأيه ، ولكن هذه المرة بدعوى الديمقراطية . والسؤال هو : متى تم اكتشاف هذه الديمقراطية ؟ !

إن الكلام عن الديمقراطية ـ فى أزمة مارس ١٩٥٤ ـ كان يقول عنه جمال عبدالناصر ـ إنه حق يراد به باطل . وقال هذه العبارة أكثر من مرة ، وقال إنه لن يستجدى هتافًا .

إن من يقرأ خطب جمال عبدالناصر فى هذه الفترة ، لابد وأن يرى أنه كان مدركًا لكل خفايا اللعبة وشوارعها الخلفية ، وأيضًا كان يشعر بجرح عميق وغائر بدون حدود .

بعض الناس فى هذه الفترة كانت تقف مع محمد نجيب . ومحمد نجيب كان «رجل هليهلى» . إنه يصلح بطلاً لرواية جميلة . رواية تضرب أرقام التوزيع ، ولكن هذا ليس معناه أن يصلح لقيادة ثورة مثل ثورة ٢٣ يوليو .

ـ هل عرفت محمد نجيب ـ أيضًا ـ عن قرب ، أم أنه ابتعد عنك بسبب علاقتك الوثيقة مع جمال عبدالناصر ؟ !

. . **هيكل :** عرفته بعد حرب فلسطين .

ـ ولكن الصحف أعطته دورًا فى حرب فلسطين؟

. . **هيكل :** لم يتح لي أن أراه في فلسطين وأظنه لم يكن في ميدان القتال لمدة طويلة ، وقد حاول الإسرائيليون بعد إعلان الثورة أن يبحثوا له عن دور في المعارك ولم يصلوا إلى شيء . والراجح إنه كان هناك لأيام قليلة . عندما اقتربت منه أنه كان قائدا لسلاح الحدود . كنا قد ذهبنا من أجل تصوير وقوع طائرة ، وكان معى المصور المعروف محمد يوسف ، وقتها كان مطار القاهرة الدولى فى زمن الحرب قد أقامه الأمريكان . وكان بجوار معسكر الهايكستب ثم خرج الأمريكان . ولكن بقى المطار ، وظل المطار مساعدًا لمطار الماظة ، وكان حربيًا قبل أن يصبح مطارًا دوليًا .

بجوارة وقعت حادثة سقوط طائرة . ذهبنا من أجل التصوير . وكانت هذه المنطقة تابعة لسلاح الحدود ، وكان محمد نجيب هو قائد حرس الحدود . وكان محمد نجيب فى ذلك الوقت مصممًا على أن نصوره ، ولكن محمد يوسف لم تكن عنده أفلام . وكان الحل الذي رآه الزميل الأستاذ محمد يوسف أن يصوره «أمريكانى» أى أن يضىء الفلاش دون أن تكون هناك صورة ؛ لأنه لا يوجد فيلم فى الكاميرا .

كان هذا هو تقدير محمد يوسف لأن الأفلام في هذه الفترة كانت غالية جدًا ولم تكن متوفرة . كان هناك تدقيق فى استخداماتها وترشيد لذلك ؛ حيث كانت ظلال الحرب ما زالت مستمرة ، برغم أن هذه الحرب كانت قد انتهت .

أنا هنا لا أحب الدخول فى تفاصيل علاقتى بمحمد نجيب كإنسان . لأن ذلك قد يجرنا إلى حكاية أخرى قد تكون بعيدة عما نحن بصدده .

ـ على الأقل بالقدر الذى يوضح ما نحن بصدده الآن!

. . **هيكل :** الحقيقة أن محمد نجيب كان يعرف كيف يصل إلى قلوب الناس وكانت الظروف قد ساعدته ، ولكنه كان رجلا بسيطا .

أذكر مرة أننى كنت أنوي السفر ، وكانت الخلافات قد بدأت بينهم فى مجلس الثورة ، وكان حريصًا أن يعرف موقفى ، وكان يعرف علاقتى بجمال عبدالناصر وبباقى رفاقه وزملائه .

وفى هذه المرة صمم أن يكون ودودًا معى . وقتها كان هناك صحفى أمريكى اسمه تيودور وايت عمل مع نجيب مشروع كتاب ، اختار له عنوانه : أقدار مصر كما يرويها محمد نجيب .

ـ هل هو الكتاب الذى ترجم مؤخرًا بعنوان : مصير مصر ، ونشر بهذا العنوان؟!

. . **هيكل :** ربما كان هو . هذا الرجل الأمريكى ذهب إلى محمد نجيب وأقنعه بأن يعمل الكتاب معه . وهذا الرجل الأمريكى كان يعمل فى مجلة : «ريدرز دايجست» وكان صحفيًا جيدًا . هذا الصحفى الأمريكى عمل عقدًا مع محمد نجيب ، من أجل كتاب أقدار مصر . ولم أكن أعرف أى شىء حول هذا الموضوع ، لكن محمد نجيب اتصل بى ذات صباح . الذي اتصل بى أولاً كان مدير مكتبه فى ذلك الوقت ضابط اسمه : محمد رياض .

ـ الذى استقال فى كامب ديفيد رفضًا لها؟!

. . **هيكل :** لا هناك ضابط اسمه محمد رياض . وهناك محمد رياض الذى كان فى الخارجية . إنهما شخصان مختلفان . محمد رياض الذى كان سكرتيرًا لمحمد نجيب كان يوزباشى فى ذلك الوقت ، ثم تدرج فى الرتب والترقى .

اتصل بى محمد رياض ـ اليوزباشى وليس الدبلوماسى ـ وقال لى إن

اللـواء نـجيـب يريد أن يتكلم معك . ثم تم الاتصـال . قـال نـجيب فوراً داخـلاً فى الموضـوع مبـاشـرة : إنت فين . إنت سـايبنى لـلأمـريكان يضـحكـوا علىّ . أشوفك حالاً .

سـألته عن الساعـة التى أذهب إليه فيـهـا . قـال لى تعـال افطر معـايا السـاعـة تسعة الصبح . كان يسكن ـ فى ذلك الوقت ـ فى الزيتون .

ذهبت إليـه . قـال لى إنهم أحـضـروا له عـقـدًا ـ يقـصـد الصـحفى الأمـريكى طبـعـا ـ وإنه وقع علـى العقـد فـعـلاً ، ولكنه بعـد التوقـيع خـيل إليـه أن العـقـد رخيص . العـقد كـان بأربعين ألف دولار . لكنه كـان قد قـرأ ـ بعد التـوقيع على العـقـد ـ أن إيزنـهاور حـصل على مليـون دولار من أجل كـتابة مـذكراتـه على شكـل كتاب .

قلت له :

ـ مليـون دولار أرجوك لا تفكر فيها . إيزنهاور أخذهـا لأنه كان قائـد حرب فى الحـرب العالمية الثانية . بالنسبة لك أربعين ألف دولار قليلة ، وكـان يمكنك أن تأخذ ستين ألف دولار ، وربما سبعين ألف دولار . كـان لابد من التفـاوض بشكل جيد مع هؤلاء الناس .

قـال لى نحن لـم نعرف كيف نتفـاوض ، وهذا الولد ضـحك علىَّ . وأرانى العـقـد . قلت له إن العـقد ليس جيـدًا لأنه لا يعطيك نسبة عـلى التوزيع بعـد ذلك . فوجئت بنجيب يشطب توقيعه على العقد فوراً .

ـ والصورة أو الأصل من العقد الذى كان مع تيودور وايت؟

. . هيكل : هذا مـا قلتـه له أنا على الفـور . سـألتـه عن هذه الصـورة أو الأصـل مـا مصيره؟ فقـال لى : لا يهـمني . استـغربت هذا التـصرف . جلسنا نتكلم سألته :

ـ ما دمت تريد أخذ رأيي في الموضوع لـماذا لم تقل لي قبل التوقيع؟ كـان ذلك أفضل.

قال لى :

ـ يا خويا ما أنت سايبنى ورايح مع جمال، وجمال لا يتركك لحظة واحدة.

ثم قال لى، بعد الإفطار :

ـ تعال انزل معايا. أنا رايح عابدين. عندى هناك تقديم أوراق اعتماد سفراء جدد. كـان ذلك سنة ١٩٥٣ بالتحديد. قلت له حاضر سأجىء معك، ولكن المشكلة إن معى سيارتى.

قال لى : ليست مشكلة، واحد من الضباط يقودها لك حتى عابدين.

ـ لم يكن عندك سائق؟!

. . **هيكل:** لا. لم يكن عندى سائق، لا خاص ولا عام.

كان من الأمور الظريفة أن يركب الإنسان مع محمد نجيب، ويتكلم معه ويستمع إليه، فى المسافة من الزيتون إلى عابدين. وأنا أشعر أنه كان يفعل هذا لتصوره إننى مع جمال عبدالناصر أكثر منه. وهذه المسأله كانت تشغله كثيراً فى هذا الوقت.

خرجنا، وكانت الناس تقف أمام باب بيته. واحدة معاها عريضة. وجيرانه يزغردون له ويحيونه ويهتفون له. كان بيته فى شارع ضيق فى الزيتون، وكان حضور الناس ملحوظًا. عدد كبير من الناس يمكن ملاحظة وجودهم بسهولة.

السيارة تحركت، حتى وصلنا إلى الشارع العمومى، وهنا أدرك محمد نجيب، أو اكتشف أنه لم يحلق ذقنه. وقال للسائق :

ـ لأ، ارجع.

عـدنا إلى البـيت . وكـانت الناس فى الطريق تقـدم له الأوراق ، والناس صفـقت عندمـا عاد قـائد الثـورة إلى البيت . دخلنا البـيت مرة أخـرى . خلع الجاكتة وفتح القميص وخلع رابطة العنق بعد أن حلها . ووضع الصابون الذى كان يحلق به بطريقة غير منظمة .

فى هذه الفترة لم يكن هناك المعجون الذى يحلق به الناس الآن ، ولكن كان هناك الصـابون الذى كـان يستخدم عن طريق فرشـة . وكان يحلق ذقنه بموسى عـادية ، من الذى يستـخدمه الحلاق ، وكـان هذا هو السائد فى ذلك الوقت ، وكان يفعل هذا كله وهو يتكلم معى ويثرثر فى أمور كثيرة .

كـان يحلق وهو يتكلم . كـان يفـعل الأمرين فى وقت واحـد . كـان يتكلم والموسى قريبة من وجهه . قلت :

ـ سأتركك وأخرج حتى تنتهى بسرعة . هل نسيت إنك ينتظرك سفراء؟ !

قال لى :

ـ هل صدقت؟ !

وضع الموسى ، وأنزل الفوطة من فوق صدره . وقال لى :

ـ أنا اكتشفت اكتشافًا مهمًا جدًا . سفراء أيه؟ دا أنا شفتهم وحياتك عندى . واكتشفت أن احنا كنا متهوشين من السفرا . طلعوا زى بتوعنا بالضبط . ولكن خواجات . يقعدوا يستنوا . أوراق اعتماد إيه؟ !

وفعلاً أخذ وقته ، وحلق ذقنه على راحته ، ونزلنا مرة أخرى . وجدنا الذين يمسكون بالعرائض والنساء اللاتى يزغردن . ركبت معه . وضابط من ضباطه تولى قـيادة سيـارتى من جديد . وجرينا إلى عابدين . وصل محـمد نجيب متأخرًا عن موعد السفراء خمسين دقيقة .

أنت تقـول إن المسأله كـانت قضية الديمقـراطية . وأنا أقول لك لم يكن هناك

واحد من الذين تكلموا عن الديمقراطية كان يعنى ما يقول. جمال عبدالناصر كان عنده حق عندما قال إن الكلام عن الديمقراطية حق يراد به باطل.

ـ بما فى ذلك أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا يتكلمون عن الديمقراطية؟!

. . هيكل: لا مجلس الثورة كان يعنى كلامه عن الديمقراطية، ولا محمد نجيب كان يعنى كلامه عن الديمقراطية، ولا الوفد كان يعنى كلامه عن الديمقراطية، ولا الإخوان كانوا يعنون كلامهم عن الديمقراطية، ولا الشيوعيين كانوا يعنون كلامهم عن الديمقراطية.

هذه كلها كانت تحالفات مؤقتة، أنشأتها لحظة فراغ تصورتها القوى السياسية فى البلد فرصة مواتية حتى تزيح هؤلاء الضباط أولاً، ثم تتخلص من محمد نجيب بعد ذلك وتستولى هى على السلطة فى النهاية. هذا ما كان بالمختصر المفيد. كل من كان يتكلم عن الديمقراطية فى ذلك السياق يصبح كلامه فارغًا من المعنى والمحتوى والمضمون. أما عواقبها فتلك مسألة أخرى تمامًا فى مصر وقتها.

ـ والمثقفون في هذا الوقت؟! هل عرفت العقاد؟!

. . هيكل: لقد عرفت العقاد معرفة شخصية في هذه الفترة. كنت أقابله فى مكتبة النهضة الموجودة فى شارع عدلى. أيامها كان مشوار مصر الجديدة مشوارًا طويلاً جدًا. وكان العقاد يكتب لنا فى مجلة آخر ساعة وفى أخبار اليوم، وكان يحصل على أربعة جنيهات عن المقال الواحد، وكان يكتب مقالاته بحبر أخضر.

كنت أذهب إليه وأقابله فى مكتبة النهضة، ويكون هو قد أحضر المقال معه، ثم نجرى عملية تبادل. أعطيه أنا الظرف الذى أحضره من الأخبار وفى

هذا الظرف أربعة جنيهات . وعلى طريقة سلم واستلم ، هو يعطينى المقال ، وأنا أعطيه المبلغ وينتهى الأمر .

مشكلة العقاد الجوهرية اعتداده الشديد بنفسه ، كان يشعر دائمًا أنه علم نفسه بنفسه ، وهذه حقيقة مؤكدة لا تقبل الجدل أو المناقشة . والحقيقة أن العقاد كان قارئا عظيمًا ومستوعبا عظيما ومدرسا عظيما ، لكني أظن أنه لم يكن عقلا خلاقا ، رغم أن هذا العقل كان منظما . وعندما تقول إن ثقافته موسوعية فذلك صحيح . لكن يبقى أن الموسوعات إحاطة .

ـ هل يقلل ذلك من دوره؟!

. . **هيكل :** بالعكس . يبقى للعقاد فضل هائل ولا يمكن إنكاره . لقد عمل جهدا ضخما فى التنوير ، جهدًا هائلاً جدًا . لكن اعتداده بنفسه كان يدعوه إلى قدر كبير من الاستعلاء .

فى يوم ، كنت فى الأهرام ، مع كامل الشناوى . والعقاد أبدى بعض الآراء فى أدباء وكتاب مصر ، قال العقاد إنه لو امتحن أدباء مصر وكتابها فى اللغة العربية لسقطوا جميعًا . قال إنه لن ينجح أحد . وأنا قلت هذا الكلام لأنطون الجميل ؛ فقال لى . إذن اجعله يجرب . يضع الأسئلة التى يريدها . ونختار نحن من يرد عليها .

نفذنا هذه الفكرة فى مجلة آخر ساعة . العقاد وضع الأسئلة . وأدباء أجابوا عنها . ومن الذين أجابوا كان أنطون الجميل . وتولى العقاد التصحيح بنفسه بعد ذلك ، ورسب كل الأدباء . بعضهم أجاب عن بعض الأسئلة فقط ، والبعض أجاب عن الأسئلة كلها ، لكنهم جميعًا رسبوا .

أنطون الجميل حصل على أربعة من عشرة على ما أذكر ، وكان عنده اقتراح أن يضع ومعه بعض الذين امتحنهم العقاد ووضعهم في مرتبة الراسبين أسئلة

للعقاد، لكى يمتحنوه كما امتحنهم. وكان الاقتراح معقولا حتى من الناحية الصحفية. فى المرة التالية وأنا أقابل العقاد فى مكتبة النهضة. كان العقاد طويلاً جداً وكان يلف كوفية حول رقبته، وكان له صوت جهورى جداً فيه إيقاع يكاد يكون تمثيليًا. عرضت عليه الفكرة.

وإذا بالعقاد يثور ويصيح قائلاً:

- روح قول لأصحابك إنهم عندما يأخذون ملابسي القديمة وينفضونها يقع منها فكر أكثر من الذى حصلوه طول عمرهم.

جرى هذا معي. وكنت مذهولاً، لا أعرف كيف أتصرف.

- بعد أن أهدى عبدالناصر كتاب فلسفة الثورة بخط يده إلى العقاد. هل كتب العقاد عن عبدالناصر أو عن الكتاب، وهل قابل عبدالناصر العقاد؟!

. . **هيكل:** لا أعرف، ولكني أظن أن عبد الناصر كان مهتما أكثر بطه حسين وتوفيق الحكيم الذي قرأ له عودة الروح، ولأنه كان يرى أن الحكيم كان شخصية مفتوحة. ربما كان يرغب فى رؤية طة حسين باعتباره تقف وراءه قصة كفاح من نوع خاص تقترب من أن تجعله معجزة إنسانية.

ثم إن هناك بُعدا لايمكن تجاهله فى شخصية العقاد. لقد كتب قبل الثورة عن القصر وعلاقته بالقصر كانت وثيقة أكثر من اللازم، وكتب عن فاروق أشياء ما كان يجب أن يكتبها. أعتقد أنه تورط فى هذه الأمور.

لم يكن للعقاد أبداً أن يذهب مع الملك فاروق عندما قابل الملك عبدالعزيز، وأن يكون هو الكاتب الذى يكتب عن هذا اللقاء، وهو الذى يتولى تسجيل اللقاء الذى وصفه بأنه تاريخى. لقد بدأ العقاد رحلته مع الوفد، لكنه اختلف معه بعد ذلك، وهاجمه بقسوة وأحيانا بألفاظ نابية.

- ثم عمل مع الأمريكان فى مشروع فرانكلين بعد ذلك؟!

. . **هيكل:** أريد أن أقول لك فى هذه النقطة : لا تنس ولاتحاول أن تتناسى أن مشروع فرانكلين لم تكن صورته كما رأيناها بعد ذلك . مشروع فرانكلين كان من الأمور سيئة الحظ جداً . حتى وهو فى ظل زكى نجيب محمود . لاتنس أن هناك مدركات لا تبدأ فى التكشف إلا فيما بعد ، وليس قبل وقوعها ولا حتى أثناء حدوثها ، ولكن بعد هذا .

لقد عرفنا أموراً عن فرانكلين لم تكن تبدو إلا بعد أن أصبحت أمامنا تحقيقات الكونجرس فى فضائح المخابرات الأمريكية المركزية ، وذلك بعد نكسة خليج الخنازير سنة ١٩٦١ ، أى إنه فى سنة ١٩٦٢ فقط ، بدأت بعض الأمور تتكشف . لكن حرام أن تظلم الآن أحداً من الذين ساهموا فى المشروع . وقد كان - فى زمنه - مشروعًا ثقافيًا ، ثم ظهر بعد ذلك أن فرانكلين - المشروع - كان ممولاً من المخابرات الأمريكية المركزية . إن هذا لم يكن معروفًا فى حينه وعرف بعد ذلك . وأنا ضد الحكم بأثر رجعى . لا يجب الحكم بموجب معلومات تأخرت فى الوصول إلينا ولم تصل فى الوقت المناسب .

أعود وأقول - مرة أخرى - إنه لا يجب الحكم بأثر رجعى بموجب معلومات تأخرت فى الوصول إلينا على تصرفات سابقة . كانت من الأمور العادية قبل وصول هذه المعلومات ؛ لأن الناس الذين كانوا يعملون فيها دخلوا فى مشروع ثقافى حقيقى ، دون معرفة بالخلفيات التى تبدت فيما بعد .

- واضح من كلام الأستاذ أنه كان فى مارس ١٩٥٤ صراع سلطة ، ومحاولات صدام مع مثقفين ويشرح الأستاذ!

. . **هيكل:** لابد من التفرقة بين أمرين فى مارس ١٩٥٤ ، بين أزمة صراع سلطة ، بين أجنحة سلطة . وصدام مع مجموعات مثقفين ، ولابد من فصل الأمرين عن بعضهما ، كانت هناك علاقة وثيقة بين الأمرين ، بمعنى أن أحدهما قد أثر على الآخر . لقد كانت هذه هى العلاقة بينهما .

ـ وعن مجموعات المثقفين التى ظهرت فى هذه الفترة. والتى اصطدم البعض منهم برجال يوليو يقول الأستاذ!

. . **هيكل:** لنبدأ بصراع السلطة أولاً. قلت من قبل وأكرر الآن أن محمد نجيب كان فى ناحية، وكان مجلس قيادة الثورة فى ناحية أخرى، وكانت هناك مجموعات وعناصر حاولت أن تستغل هذا الصراع بين الطرفين وحاولت أن تستفيد منه، فى واقع الأمر من أجل ضرب القوى المؤثرة فى الثورة، والالتفاف حول محمد نجيب لاعتقادهم أنه هو الغنيمة الأسهل والأيسر.

القوى التى دخلت فى هذا الصراع كانت الوفد والإخوان المسلمين والشيوعيين، وبعض العناصر فى الصحافة التى كانت ـ لأسباب أو لأخرى ـ تشعر بحالة من الضيق، سواء من بعض مواقف رجال الثورة، أو من مواقف بعضهم ضد البعض.

نحن ـ إذن ـ أمام أطراف أصلية مثل الوفد والإخوان المسلمين والشيوعيين، أصل مشكلتهم وجوهرها أنهم لم يستطيعوا مواجهة الملك، بل اضطروا جميعا إلى الانحناء أمام الملك، وبعضهم وصل إلى درجة الخضوع. ثم جاء هؤلاء «الشباب» ـ من وجهة نظرهم طبعًا ـ وواجهوا الملك وشالوه. فشعرت هذه القوى أن من حقهم المشاركة فى الوضع الناشئ بعد رحيل الملك.

وهذا الكلام ينطبق على الثلاثة بنفس القدر.

يبقى بعض المثقفين الليبراليين الذين يمثلهم بالدرجة الأولى ـ فى ذلك الوقت ـ مجلس الدولة وسليمان حافظ وهؤلاء لعبوا دوراً، ووجدوا أن مجلس الثورة يحجم من طلباتهم بشكل أو بآخر، وأن الأمور لا تمشى كما يريدون أو يتمنون.

نحن إذن أمام صراع سلطة، فيه أجزاء وتفاصيل كثيرة من حياة سياسية

مصرية. انحازت لمحمد نجيب ضد مجلس الثورة، ليس حبًا فى محمد نجيب لكن كراهية فى مجلس الثورة، عن اعتقاد أن مجلس الثورة هو العقبة الكأداء التى تقف أمام تحقيق طموحاتهم، وأن نجيب رجل من السهل جدًا احتواؤه والاستيلاء عليه بعد ذلك بسهولة.

نحن إذن أمام صراع سلطة، الأطراف الممثلة فيه كلها عندها أسبابها لاجتياز المنطقة التى يقف فيها. وعند الانتقال إلى الناحية الأخرى نجد أن هذا انعكس على المثقفين.

ـ وعن حال المثقفين وانعكاس أزمة مارس عليهم. يقول الأستاذ:

. . **هيكل**: كان المثقفون ـ فى ذلك الوقت ـ يعانون من مشكلتين: الأولى مشكلة المثقفين الطبقيين، والثانية مشكلة المثقفين السياسيين.

هنا لابد من العودة إلى المربع رقم واحد، مربع البديهيات الأولى. لابد وأن نبدأ القول من هم هؤلاء الناس الذين يمكن أن نقول عنهم إنهم مثقفون. إنهم بالدرجة الأولى أناس توفرت لهم فرص التعليم العالى والمعرفة والتجربة، بشكل أو بأخر، ثم إنهم كبروا فوق مستوى التعليم بالمعنى المنهجى وأصبحوا قادرين على التفكير فى قضايا عامة.

ـ أطمع في أمثلة من الأستاذ على هؤلاء المثقفين الطبقيين:

. . **هيكل**: هناك كثيرون. لكن الوقوف أمام أسماء بعينها قد يكون ظلما. كان هناك أناس بالقرب من مجلس قيادة الثورة وتصوروا أن عمر الثورة لن يزيد على أشهر معدودة، وأن يوم الثورة هو الثالث والعشرون من يوليو وإن هذا اليوم قد انتهى وانتهى معه الأمر كله. لماذا سيبقى رجال الثورة بعد هذا اليوم؟ إن هذا التصور لا يزال سائدًا حتى الآن، بينما كان جمال عبدالناصر عنده موقف ومفهوم آخر للثورة.

وحتى أتكلم عن هذا الموقف والمفهوم لابد من عودة بسيطة إلى الوراء، ذلك أنه كان هناك لبس ناشئ من تصور - وهو موجود بدرجة ما عند بعض الضباط الأحرار أنفسهم - أن الثورة هى فترة تغيير السلطة التى كانت قائمة ثم ينتهى الموضوع ويعود الجيش إلى ثكناته، وكان بعض الضباط يريدون تسليم هذه السلطة إلى الوفد.

كان هذا هو السائد، إلى أن اتضحت صورة الواقع الاجتماعى والاقتصادى فى مصر. ولهذا عندما طرحت قضية ضرورة عمل انتخابات فورًا، كان الرد قد أصبح جاهزًا. إن إجراء انتخابات أصبح من الأمور الصعبة؛ لأنه من الصعب تغيير أوضاع الملكية السائدة فى مصر وتغيير السلم الطبقى، ولهذا إن أجريت أى انتخابات سيأتى لك نفس الناس القدامى من جديد.

نتوقف أمام مارس ١٩٥٤ من جديد.

كان هناك صراع سلطة. ونتيجة لهذا الصراع اتخذ جميع المثقفين - على مختلف اتجاهاتهم - مواقف، سواء المثقفين الذين كانوا ينتمون طبقيًا، وهم الذين كانوا أكثر فى ذلك الوقت، أو المثقفين الذين كانوا منتمين حزبيا، وبالذات الإسلاميين والشيوعيين منهم، وحتى الليبراليين الذين كانوا من أنصار الوفد. وكثير منهم جدًا فى المهن المختلفة.

نحن الآن أمام إشكالية. فلا يجب أن نوجه أى لوم لهؤلاء الناس. لايجب أن نلوم أحدًا على مدى رؤيته اليوم. نحن نتكلم عن هذه الرؤى بعد وقت طويل، وعندنا المقدرة على أن ننظر لهذه الأمور نظرة تشريح بأعصاب باردة وتحت البنج، لأن الأحداث مضى عليها وقت طويل، سنوات أكثر من طويلة.

لكن فى تلك الأيام البعيدة كان لابد - حتى لو لم تكن الأطراف تدرى

ذلك فى حينه ـ أقول كان لابد وأن صراع السلطة سينتج عنه صراع مع المثقفين؛ لأن المثقفين الموجودين فى مصر فى ذلك الوقت إما كانوا طبقيين، الذين أخذوا أوضاعهم الطبقية بالاستحقاق أيام الملك، أو المثقفين الذين كانوا ينتمون لتيارات سياسية ابتداء من أبناء الليبرالية أو الإسلاميين أو الشيوعيين.

ـ وجامعات مصر؟!

. . **هيكل:** هذا من أسوأ الأشياء التي جرت في اعتقادي ويمكن اعتباره الخطأ الأول الحقيقي الذي وقعت فيه الثورة، وما حدث هو أن المشاكل التي وقعت مع عدد من الكتاب والمفكرين والتيارات السياسية انتقلت بصورة آلية إلى الجامعة.

لقد كان هناك أمران:

الأمر الأول: أنه كان من الطبيعى أن جزءاً كبيراً من المثقفين المدنيين الليبراليين والحزبيين وجميعهم أساتذة قانون بالدرجة الأولى، كانوا موجودين فى الجامعة. وهذا ما أحدث خلخلة فى الجامعة.

الأمر الثاني: أنه كان من طبيعة الأمور أن الجامعة استخدمت كساحة للصراع؛ لأنه فى الجامعة، غير الأساتذة، هناك تيارات موجودة، كان من الممكن أن تكون متأثرة بها، لكن عند محاولة فك هذا التيار، وخاصة العناصر المسيسة منه، سواء من الأساتذة أو الطلبة سنجد أنفسنا أمام إما الإخوان وإما الشيوعيين وإما الليبراليين ووفديين، إلى آخره.

وهكذا وصلت الصورة العامة إلى الجامعة، وتخطت أسوارها العالية وأصبحت فى قلب الجامعة. صدام سلطة نتج عنه أزمة مثقفين، وانعكس هذا مباشرة فى جو الجامعة.

هنا وقعت الأخطاء الكبرى - فى اعتقادى - من جانب كل الناس . والنموذج الواضح ما جرى للويس عوض .

- على أي شيء كان الصراع إذن؟!

. . **هيكل :** لا . كان الصراع بين الحفاظ على الثورة أو تسليم الثورة إلى أعدائها .

- لو فرض أن عبد الناصر كان يمثل محوراً وأن نجيب كان يمثل محوراً، أى الأمور كان يمثلها المحوران؟!

. . **هيكل :** عبدالناصر كان يمثل الثورة والحفاظ عليها، ونجيب كان يمثل الواجهة التى تصدرت فى الأيام الأولى للثورة، وحاول الآخرون استعمال هذه الواجهة والعمل من ورائها .

- هل كان هناك خلاف فى الاجتهادات؟!

. . **هيكل :** طبعًا . كانت لعبدالناصر اجتهادات اجتماعية واضحة . لكن القضية لم تكن لها علاقة بالديمقراطية . القضية كانت شعار عودة الجيش إلى الثكنات، في مواجهة شعار استمرار الثورة وبقائها .

والشعاران تصادما مع بعضهما . والقضية الديمقراطية لم تكن مطروحة . ومن يتكلم عن الديمقراطية باعتبارها القضية المطروحة والمحورية فى هذا الصدام، يكون كلامه بعيداً عن الحقيقة .

من الصعب أن يقول لى أحد إن الوفد الذى تهاون مع الملك كان يمثل الديمقراطية . وإن الماركسيين الذين لم يكونوا يشكلون أغلبية ولم يكن لهم تأثير كبير فى الشارع، وأدبياتهم تخلو من أى كلام عن الديمقراطية، ونماذجهم تشير إلى المثل الأعلى في الاتحاد السوفيتي باعتباره قمة الديموقراطية كانوا يمثلون الديمقراطية . الإخوان المسلمون كانوا قد دخلوا فى عمليات

التنظيم الخاص، والجمعية كانت قد حلت ولا وجود لها، فضلاً عن الموقف التقليدى من الديمقراطية عند الإخوان.

هذه الأطراف كلها، لم يكن من بينها من يمثل الديمقراطية إطلاقًا.

ـ ماذا كان يمثل جمال عبد الناصر فى هذه الأزمة؟!

. . **هيكل:** كان يتكلم عن إحداث ثورة تكون قادرة ـ بالدرجة الأولى ـ على إحداث التغيير الاجتماعى، لكن الديمقراطية هنا كانت مجرد شعار أطلقه بعض المثقفين ـ أثناء الصدام ـ لكنه كان كلامًا ليس حقيقيًا، وهم أول أناس كانوا يعرفون ذلك ويدركونه.

وحتى إن عدنا إلى الشعارات التى كانت مطروحة بعودة الجيش إلى الثكنات. إن هذا الجيش بالأمس القريب عمل مواجهة ضخمة مع الأوضاع القائمة، وخرجت منه عناصر دخلت مجال السياسة وأمسكت بالسلطة وتولت إدارة أمور الدولة، ودخلت فى تفاوض مع الإنجليز، وكانوا على أبواب مشكلة وصراع حول قناة السويس. فما هى الديمقراطية التى يمكن الكلام عنها فى هذا الوقت بالذات؟!

جمال عبدالناصر كان يتكلم عن ضرورة إكمال أهداف الثورة وأهمية التحول الاجتماعى والمواجهة من أجل إنهاء الاحتلال.

لكن فى كل هذا، كان من المؤكد أن الأحزاب ومن كانوا مع محمد نجيب، كان رأيهم أن هؤلاء الجماعة ـ يقصدون رجال يوليو طبعًا ـ لابد وأن يمشوا. هذا هو الصراع الأساسى وتلك هى ملامحه. ولكن الذين يطلب منهم المشى يرفضون. يقولون لك: لا، نحن خرجنا، ونحن عملنا ما قدرنا عليه، وعندنا تصور بدأناه مبكرا وهذا التصور لابد وأن يأخذ طريقه إلى التنفيذ.

الديمقراطية إذن لم تكن القضية.

ـ وحكاية لويس عوض مع رجال يوليو؟!

. . **هيكل:** أعتقد أن الثورة مسئولة عن الذى وقع مع لويس عوض فى ظل تلك الأحداث، والدولة مسئولة ـ مسئولية كاملة ـ وذلك بمقدار مسئولية كل الأطراف الأخرى عنه.

كانت أزمة سلطة. ثم تحولت إلى معركة مع المثقفين ـ سواء أكانوا منتمين طبقيًا أو حزبيا ـ ثم انتقل هذا الصراع إلى الجامعة، سواء فى أوساط الأساتذة أم الطلبة.

هنا لابد من الانتقال إلى أجهزة الدولة، وعندما نقول أجهزة الدولة فهذا معناه أن هناك موظفين وأجهزة أمن تقول لك ما هى العناصر الخطرة على الدولة.

عندما تطلب من الأمن والبوليس السياسى معرفة العناصر الخطرة التى تهدد الوضع القائم، لابد من العودة إلى القوائم القديمة، من وقت الملك وربما من قبل الملك، أى أن هذه القوائم من النظام القديم.

نحن أمام مسألة مهمة لابد من النظر فيها، وهى مسألة جهاز الأمن فى أى بلد. إن أجهزة الدولة يتحقق لها قدر من الاستمرار فى مواجهة التغيرات. تلك قضية جوهرية؛ لأنه لدى كل نظام حكم هناك نخبة سياسية. وعندما تدخل الدولة فى وقت أزمة لابد من الاتجاه إلى أجهزة الدولة. وهذه الأجهزة كانت حتى لحظة قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من أجهزة الملك ونظامه. كان عبدالناصر من وجهة نظرها رجل مطارد لابد من القبض عليه، والشيوعيون كانوا مطاردين والإخوان المسلمون كانوا مطاردين.

ـ آخر وزارة داخلية قبل الثورة كان عندها ملف عن جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل:** الملف الذى كان موجودًا عن جمال عبدالناصر قبل الثورة

كان عند مخابرات الجيش وليس عند وزارة الداخلية. البوليس السياسى كانت عنده تحريات ولكن هذه التحريات لم ترسل إلى مرتضى المراغى - آخر وزير داخلية قبل الثورة - ولكن أرسلت إلى القصر.

لكن جهاز الدولة لا تستطيع أن تغيره بالبساطة التى يمكنك أن تغير بها قمته. من السهل أن تغير وزير الداخلية لكن من الصعب تغيير ضباط الأمن السياسى بضربة واحدة، وإن أبقيت عليهم من الصعب أن تغير توجهاتهم.

إن قلت إن الشيوعيين يعملون مشكلات؛ سيحضرون لك على الفور قائمة الشيوعيين الموجودة عند رجال الأمن لسياسى. وإن قلت إن الإخوان يصنعون لك مشكلات؛ سيحضرون لك فوراً قوائم الإخوان المسلمين.

نحن فى أول عام دراسى بعد أزمة مارس ١٩٥٤.

سنجد أننا أمام ما سمى بتطهير الجامعة، وهذاالعمل دخل فيه جهاز وزارة المعارف العمومية التقليدى الذى كان مع الملك وكان مع الإنجليز.

إن الخطأ هنا ناتج عن إدخال جهاز الدولة المصرية فى هذه القضية؛ لأن نظام الثورة حتى وهو يواجه خصومه، سواء كانوا من الوفد أو الإخوان أو الشيوعيين، أو وهو يواجه أى أناس يضمرون للثورة أى شر، كان لابد وأن يحدث هذا. كان يجب أن توفر الثورة لنفسها أجهزتها التى تخصها بدلاً من العودة إلى بيانات أزمنة وعهود سابقة.

يضاف إلى هذا أن الثورة عندما اقتربت من موضوع الجامعة كان لابد من الاقتراب منه بحذر، كان من المفروض القول: الحقيقة أن قضية الجامعة مهمة فى كل الأحوال. قضية التعليم هي قضية مستقبل أجيال، وإن كنت تريد أن تجرى فيها تغييراً ما لابد وأن تفعله بحذر.

ـالإجراءات طالت مثقفا مثل لويس عوض؟!

. . هيكل : لقد فوجئت بأن لويس عوض كان في قائمة المفصولين من الجامعة بتهمة أنه شيوعي .

ولويس عوض طول عمره ما كان شيوعيًا ، لويس عوض من الناس الذين احترت كثيراً بسبب خروجه من الجامعة . لويس عوض أنا أعرفه وأعرف شخصيته . كان مجدي وهبة من أصدقائي في هذا الوقت . وكان من أصدقائه لويس عوض .

كنت في ذلك الوقت أقرأ له ومعجب حتى بشطحاته . وكانت هناك معرفة شخصية مباشرة ، وليست صداقة شخصية ، لا أستطيع القول إنها كانت صداقة . الذي كان صديقي جداً في ذلك الوقت كان مجدي وهبة .

رأيت لويس عوض مرات ، وجلست معه . وأعرف حجم تأثيره في كلية الآداب ، وأعرف كيف يمشي وراءه تلاميذه ، وبأي صورة من الصور ، ومدى الإعجاب به الذي كان يصل إلى حدود الانبهار في بعض الأحيان ، كان هو وسهير القلماوي لهما نفس هذا الجو في الجامعة .

حدث أن سمعت أن لويس عوض ضمن الذين سيخرجون في التطهير . سألت عن السبب في هذا . قالوا شيوعي . وما زلت أذكر أنني تكلمت مع عبدالناصر حول حكاية لويس عوض . قلت له : لويس عوض ليس شيوعيا ، إنه لم يترك مكانًا ولا مجالاً لم يكتب فيه ، ليقول إنه مؤمن بقوى وقيم البرجوازية وقيم الطبقة الوسطى .

قلت لعبدالناصر : لويس عوض من الممكن أن تتفق أو تختلف معه ، لكن على وجه اليقين لايمكن أن يقول أحد إن لويس عوض خرج لأنه شيوعي . هذا مستحيل ، لكن ربما كان لويس عوض مصنفًا قبل الثورة على أنه شيوعي ، وعلى هذا الأساس أدرج في القوائم .

وكان من الصعب إعادة لويس إلى الجامعة دون إعادة من كانوا مفصولين معه أو منقولين من الجامعة معه؛ ولهذا كان من الصعب حل مشكلته بصورة فردية، كان معه آخرون لكنه جاء معنا إلى الأهرام بعد ذلك.

ـ ذهب إلى الجمهوريه أولاً . .

. . **هيكل:** فعلاً عمل فى الجمهورية فترة من الوقت، ثم جاء معنا إلى الأهرام حيث عمل فى وظيفة تناسب اختصاصه.

ـ لكنه لم يضع قدميه فى الجامعة بعد ذلك أبدًا.

. . **هيكل:** لا. لم يضعهما فى الجامعة بعد ذلك أبداً. ربما ذهب إليها زائراً.

إن أخطر ما فى أجهزة الأمن المصرية هو القوائم؛ لأنه عند حدوث أزمة ما يعودون إلى القوائم ويأخذون الناس جميعًا الذين فى القوائم، ثم يبدءون التحقيق بعد ذلك.

أواخر ١٩٥٤

أوائل ١٩٥٥

ـ فى هذه الفترة قال عبدالناصر إنه لايريد أن يكون رئيسًا للجمهورية؟!

. . **هيكل:** فى هذه الفترة عندما كان هناك من يقول الديمقراطية وأصبحت شعاراً مرفوعًا، نجيب كان لايزال موجوداً فى السلطة. كان هناك خلاف وخرج نجيب لأول مرة. ثم صدر بيان صلاح سالم. والناس نزلت إلى الشوارع، ومظاهرات عابدين. وكان لابد من القول ـ اضطراراً ـ إن نجيب لابد من إعادته، وعاد نجيب تحت الضغط. لكن هنا كان قد حدث كسر وقد جرى شرخ.

إننا نصل بذلك إلى فترة التوجس، وهى الفترة الخطرة التى أعتقد أنها كانت فترة من أصعب الفترات التى عاشت فيها مصر.

كل طرف أصبح يعلن غير ما يبطن. مجلس الثورة أخرج نجيب أولاً، ثم اضطر إلى إعادته، مع أنه لم يكن خالص النية بصورة طبيعية. ومحمد نجيب الذى أخرج ثم أعيد مرة أخرى كان سعيداً لأنه عاد، وكان مطمئناً إلى أن هناك تأييداً له من جانب بعض القوى، لكن إلى أى مدى كانت هذه القوى قادرة على أن تسنده وتدعمه؟ تلك هى القضية؟!

فى هذه الفترة كان هناك صراع فى الجيش. وكان هو الصراع الحقيقى فى واقع الأمر. الحياة المدنية كانت شيئا آخر، كانوا يتكلمون ويتعاركون وهكذا كانت الأحزاب.

لكن فى واقع الأمر أن الصراع بين محمد نجيب وبين مجلس الثورة قد تركز فى أيهما يسيطر على الجيش.

فى هذا الوقت كل ما كان بادياً على سطح الحياة المصرية لم يكن يعكس الحقائق. لم يكن أحد يعرف ما هى الحكاية بالضبط. كانت هناك فترة فوضى. والتحالفات التى كانت موجودة كانت تحالفات غير طبيعية. والآراء التى كانت تقال كانت حقاً يراد به باطل بما فيها كلام مجلس الثورة.

كل الناس كانت تلوى أذرع بعضها البعض. وأناس تقول كلاماً تبرئ به ساحتها. وكل واحد مستعد للعمل، لكن من الذى سيحسم؟! إنه ليس الشارع بكل القوى التى كانت تموج فيه، لكن الحسم فى النهاية كان للقوات المسلحة.

وأصبح السؤال: إلى أى مدى تساند القوات المسلحة مجلس قيادة الثورة؟ أو إلى أى مدى تساعد القوات المسلحة محمد نجيب؟!

أصبح هناك أذن غليان فوق سطح الحياة السياسية المصرية، وصراع حقيقى على واقع الثورة فى القوات المسلحة، يدور حول قضية إلى من ستنحاز القوات المسلحة فى النهاية.

ـ حتى القوات المسلحة كانت قد انقسمت على نفسها؟!

. . **هيكل:** خالد محيى الدين كان فى الفرسان، هنا كان صراع السلطة دخل فيه الضباط الأحرار. أعتقد أنهم لم يحصلوا على حقوقهم بصورة جيدة. دخل فيه الضباط الذين انضموا لمجلس قيادة الثورة أو انضموا للثورة بعد قيامها. فى هذا الصراع كله وهو صراع السلطة، الذى يهمنا هنا هو تأثير هذا الصراع على المثقفين.

محمد نجيب كان يبدو أن معه جزءاً من القوات المسلحة. جمال عبدالناصر كان معه جزءاً آخر. لكن فى النهاية كانت القوات المسلحة هى قاعدة النظام كله. وهذا نجده فى كل بلد فى الدنيا وليس فى مصر وحدها. لكن المسافه تبعد أو تقل بمقدار ما ينشط العمل السياسى وتكون هناك شرعية أو لا تكون.

فى هذا الوقت كان من الصعب معرفة أين الرأس من القدمين؟ مجلس الثورة قال الديمقراطية حتى آخر المدى. محمد نجيب قال بتصور آخر. لكن نوايا الجميع لم تكن صافية، والموقف كله كان فى منتهى الخطر وبعض الناس فى الخارج لا تعرف ما هى الحكاية بالضبط. وهذه هى الفترة التى نجد فيها أن كثيراً جداً من المثقفين الانتهازيين قدموا فيها عروضهم، لأنه أصبح رهانهم حول من سيكسب هذه الجولة ومن الذى سوف تكون الهزيمة من نصيبه.

ـ وموقف الأستاذ هيكل؟!

. . **هيكل:** إننى كنت معتقداً أن جمال عبدالناصر على صواب فى هذه المعركة، هذا بصرف النظر عن أن محمد نجيب كان الأقوى.

ـ كان هذا موقفك أنت فقط؟!

. . **هيكل:** للإنصاف والحقيقة فقد وقفت معى أخبار اليوم كلها.

ـ بما فيه موقف مصطفى وعلى أمين؟!

. . **هيكل:** بما فيه موقف مصطفى أمين وعلى أمين. لكن هناك غيرى أخطأ الحسابات، ليس عن عمد ولم تكن مسألة مبدأ، لكنهم تصوروا أن محمد نجيب ومن معه هم القادمون؛ لأن مجلس قيادة الثورة كانت صورته مكروهة جدًا بكل من فيه فى ذلك الوقت.

جمال عبدالناصر ومحمد نجيب كانا يدركان أن الأزمة لابد وأن تحسم بشكل أو بآخر. لم تكن فكرة عودة الجيش إلى الثكنات مطروحة. كانوا يدركون أنهم سيذهبون إلى السجن جميعًا أو أن يذهب محمد نجيب. ولم تكن هناك أى حلول وسط فى هذا الموضوع.

الكلام كان عن انقلاب إذن.

فى مجلس قيادة الثورة كان ذهاب محمد نجيب مطروحًا، ومطلوب أن يكون هناك رئيس جمهورية يرمز إلى أنه ليست هناك دكتاتورية وأن المسألة مسألة تحولات اجتماعية.

أزمة مارس ١٩٥٤. أهم ما فيها فى اعتقادى أنها وضعت البلد فى التباس شديد جدًا.

ـ من أين نشأ هذا الالتباس؟!

. . **هيكل:** نشأ من أن كل القوى القديمة. كل القوى التقليدية أرادت أن تصور نفسها حتى بعجزها عن تغيير الأوضاع السابقة قبل الثورة. كل هذه القوى تصورت أنها كانت تطلب التغيير، سواء القوى الليبرالية أو قوى الإخوان أو قوى الأحزاب، مصر الفتاة، الشيوعيون. كل من كان موجودا صور نفسه على أنه كان يطلب التغيير وبعض هذه التصورات حقيقية.

كلهم حاولوا أن يتصدوا للنظام الملكى بمثقفيهم، وذلك بجوار قدراتهم فى الشارع. ولكنهم فشلوا، عندما جاء الضباط وقاموا بما قاموا به. أصبحت مقولتهم عودة الجيش إلى الثكنات، لأن الثورة انتهت. ولكن بعد أن خرج الملك من مصر أصبحت مقولة فات أوانها.

الالتباس الأساسى والخلاف الأساسى نشأ من الاكتشاف الذى طلع به إلى الوجود خروج الملك فاروق من مصر. خرج الملك فأصبحت الأوضاع الحقيقية فى الداخل مكشوفة. وتم وضع فكرة الثورة فى مواجهة فكرة الانقلاب.

وهذا جرى لأن مجمل الناس الذين كانوا فى الحياة السياسية، كانوا يطلبون - ضمنًا - من هؤلاء الشباب عمل انقلاب، يبعدون رأس السلطة ثم يمشون تحت مقولة عودة الجيش إلى الثكنات.

ولكن بعد فترة من الوقت، بدأ يتضح أن هناك أمورًا أخرى لابد وأن تُعمل. وهذا كان واضحًا فى المناقشة التى جرت بين جمال عبدالناصر وأحمد أبو الفتح مثلا.

أبو الفتح يقول له انتخابات. فيرد عليه جمال عبدالناصر لقد اكتشفنا أن إجراء الانتخابات فورا لن يجدى. إن جرت انتخابات فورا فى حالة بقاء ملكية الأرض على ما هى عليه وفى حالة بقاء التخلف على ما هو عليه. إذن فإن النتيجة ستكون نفس الأحزاب الفاسدة بنفس الوجوه القديمة وبنفس الرؤى البالية.

الحل الوحيد - يرى جمال عبدالناصر - أن نذهب جميعا إلى الديمقراطية، ونحاول فى نفس الوقت أن نهيئ لها قواعدها الحقيقية. أن نحرر العامل وأن نحرر الفلاح، وأن نزيد من فرص التعليم وبالتوازى مع هذا ستكون هناك تحركات ديمقراطية.

فى مارس ١٩٥٤ حدثت فرقعة بسبب الضعف الذى طرأ على موقف مجلس الثورة، وذلك بسبب القرارات المثيرة التى اتخذها المجلس بتنحية محمد نجيب. وهكذا بدأ البعض يطرح عودة الجيش إلى الثكنات وكأن ما جرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كان مجرد انقلاب غير فقط رأس السلطة، لكن الواقع الاجتماعى والاقتصادى الذى كان موجودا فى البلد، ظل موجودا كما كان.

أهم من كل هذا أن القوى التى كانت موجودة والتى كانت عاجزة عن تغيير النظام والتصدى له اكتشفت هذا، وخرجت على الساحة مستغلة الصراع الذى كان بين جمال عبدالناصر ومحمد نجيب.

وهذا أدى إلى أنه أصبح هناك نوع من خيبة الأمل؛ لأن كل ما جرى أن القوى السياسية عجزت عن إبعاد فاروق ثم انصاعوا لمجلس قيادة الثورة، ولكنهم أول ما وجدوا أن هناك فرصة نتجت عن انقسام كبير فى هذا المجلس، دخلوا فورا يحاولون استغلال الطرف الأضعف أو من تصوروا أنه الطرف الأضعف. والموضوع لم تكن فيه قضايا ولكن كان هناك تكالب وراء الرجل الضعيف لكى تستطيع أن تأخذ منه السلطة فيما بعد.

وهذا فى اعتقادى هو سوء التفاهم أو المشكلة الحقيقية التى كشفت خراب وخواء القوى السياسية التى كانت على الساحة.

أزمة مارس ١٩٥٤ بقدر ما تستطيع أن تقول فيها إن هناك من الناس من ذهبوا ضحايا فى الظلام. ممكن أن يقال هذا الكلام. وهناك أناس آخرون ذهبوا ضحايا الهوامش. وهذا الكلام أيضا ممكن أن يقال. لكن هناك الذين ذهبوا ضحايا أو ذهبوا فى معركة فى منتهى الأهمية فى ذلك الوقت، وهى معركة: هل تغير؟! وكيف تغير؟! وإلى أى مدى يكون التغيير؟! وإلى أى عمق يذهب التغيير؟!

ـ تأثيرات مارس ١٩٥٤ فى جبهة المثقفين هل لا تزيد عن لويس عوض ولطفى السيد، الأول بالسلب، والثانى بالإيجاب؟!

. . **هيكل:** لا، لا، لا. إن المثقفين لم يكونوا قوة موجودة فى الشارع. المثقفون كانوا موجودين داخل أحزاب. وهؤلاء أصابهم ما أصاب الأحزاب نفسها، حتى وإن كان البعض منهم مثل محمد صلاح الدين وزير الخارجية الوفدى. إنه رجل يمكن القول إنه مثقف بمعنى معرفته بشئون العالم ومعرفته بشئون مصر، معرفته بشئون الحاضر ومعرفته بضرورة اتخاذ موقف. وإن المثقف لابد وأن يأخذ موقفًا. هذا الرجل أخذ موقفًا. ولكن لابد من التسليم أنه عندما دخل حزبه معركة خطأ أصيب هو من جراء شظايا هذه المعركة.

هو كان عنده أزمة داخل حزبه لأنه كان فى صف الأقلية وكان مضروبًا. كما أن المثقفين كانوا ضد ملاك الأراضى. ولكن عندما تم ضرب حزبه فى المحصلة النهائية بسبب صدام خطأ، أصابه هذا الضرب وذاك الصدام.

إذن نحن أمام مثقفين جاءوا من عدة أماكن:

أولاً: هناك المثقفون الذين كانوا فى الأحزاب، وهؤلاء أصابهم ما أصاب هذه الأحزاب نفسها.

الأمر الثاني: المثقفون الذين كانوا فى وسائل الإعلام، وفى وسائل النشر وهؤلاء تكلمنا عنهم.

لكن الذى كان يعنينى، أكثر من أى أمر آخر، هم المثقفون الذين ظلوا فى الجامعة، لكنهم من موقعهم فى الجامعة ظهرت عليهم آثار عارضة. وهؤلاء كان رمزهم ـ فى ذلك الوقت ـ فى اعتقادى هو لويس عوض.

قيمة لويس عوض أنه كان جزءًا من الجامعة المصرية، لقد كان توفيق

الحكيم مثقفًا مهمًا، ولكنه كان فى إطار نشر الكتب فقط، أما العملية الصحفية فقد جاءت فيما بعد ذلك. لكن الذى يعنينى سنة ١٩٥٤ بالدرجة الأولى هو ما جرى فى نهايتها للجامعة.

عندها ذهب كمال الدين حسين كوزير للتعليم وأخذ مجموعة من المستشارين التقليديين، الذين لم يستطيعوا أن يفهموا أن الجامعة بضروراتها وطبيعتها ينبغى أن تساهم فى إعادة صياغة المجتمع المصرى، وأن مهمة العلم أن يطرح الأسئلة باستمرار وأن يلح فى طرح الأسئلة. أن الجامعة هى التى كانت سبب قلقى، بل وجوهره. أما المثقف الذى كان ينتمى إلى الأحزاب فلم يكن يهمنى كثيرًا.

-ألم تكن هذه الأحزاب محلولة فى الفترة التى نتكلم عنها؟!

.. **هيكل:** عندما جاء مارس ١٩٥٤ خرجت هذه الأحزاب كلها إلى النشاط العلنى؛ ذلك أن حل الأحزاب لم تكن له قيمة سوى فى قيمة ما هو مدون على الورق فقط.

-عندما جاء مارس ١٩٥٤ من الذى طلع على السطح؟!

.. **هيكل:** إن كل المظاهرات التى خرجت كانت إما من الإخوان المسلمين وإما من الشيوعيين وإما من الوفديين. وعندما اتصل محمد نجيب مع مصطفى النحاس، وهذه الواقعة من الوقائع التى عندما نشرت تسببت فى عمل ضجة ضخمة وغير عادية. ونبهت النحاس إلى حقيقة ما يجرى تحت السطح، ومعنى هذا الاتصال، إنه حتى الرجل الذى أحضرته ثورة يوليو يحاول الاستعانة بالقوى السابقة على الثورة، وذلك من أجل ضرب الثورة نفسها.

كل هؤلاء كان قرار حل الأحزاب بالنسبة لهم مجرد قرار ورقى. أيضًا لم تكن قد مرت فترة زمنية كافية بين حل الأحزاب فى ١٩٥٣، وأزمة مارس

فى ١٩٥٤ . حتى يمكن القول إن هذه الأحزاب كان قد تلاشى نفوذها أو تلاشى وجودها .

لذلك عندما وجدت هذه الأحزاب فرصة وقفت وعادت من جديد تبحث عن هذه الفرصة . وكان البحث عن هذه الفرص يتم فى ظل وضع مضطرب جدًا ، والقوى التى أحدثت التغيير منقسمة على نفسها ، ومجال العمل مفتوح يمكن أن يأخذ الجميع إلى حيث لا يرغب أحد ولا يحب .

المثقفون الذين كانوا فى الأحزاب لم أكن قلقًا عليهم ، والمثقفون الذين كانوا فى الصحف - أيضًا - لم أكن قلقًا عليهم ، لكنى كنت قلقًا على المثقف الذى كان يعمل فى الجامعة . وهنا كان تأثير لطفى السيد كبيرًا . كلما كنت أرى لطفى السيد كان يقول لى دائمًا إن كل ما يجرى فى مصر تفاصيل . لكن هناك قضيتين مهمتين جدًا وهما : الجامعة والبرلمان .

الجزء السلبى الذى جرى ووقع هو ما حل بالجامعات المصرية ؛ لأن الجامعة فى وسط هذا السياق والجو الذى كان سائدًا كانت هى الضحية . الجامعة ذهب إليها وزير له مواصفات معينة . وأنا لا أشك فى وطنيته ، لكن القضية أنه كانت له رؤية مقيدة للثقافة والمثقف ، يضاف إلى هذا - كما قلت من قبل - إنه أخذ معه مجموعة من المستشارين أو من المنفذين ، لا أعتقد أنهم كانوا أصلح الناس ليرعوا شئون الجامعة .

وبالتالى فإن الجامعة تعرضت لعملية - أعتقد - أنها تغلبت فيها مشكلات قديمة بين الناس ، وكانت هناك تقارير قديمة قائمة على اعتبار الأمن وحده ، وهو اعتبار فى غاية الخطورة عندما يتم الاعتماد عليه بمفرده .

- هل كانت هناك رموز غير لويس عوض؟!

. . **هيكل :** من المؤكد أنه كان هناك فى هذه الفترة عدد من الأساتذة

المستنيرين، سواء أساتذة الفلسفة أو الأدب الذين كان لهم ظهور فى الحياة الفكرية العامة خارج الجامعة.

ـ ألم يكن لجمال حمدان دور فى هذه الأزمة؟!

. . **هيكل:** لا. جمال حمدان من الذين فهموا الثورة أكثر من غيرهم ألف مرة. جمال حمدان كانت عنده مأساة أخرى، لكنه لم يتعرض لأزمة سلطة. جمال حمدان تعرض لحالة من الصراع بينه وبين طرف آخر. جمال حمدان اتهم هذا الطرف الآخر، وهذا الاتهام كان جزءًا من ملابسات رسالته الجامعية. عمومًا إن جمال حمدان قصة أخرى تخرج عن سياق ما نحن بصدده الآن.

ـ لكنه أحيل إلى المعاش مبكرًا وبصورة استثنائية، وهذا جرى فى ظل حكم عبدالناصر!

. . **هيكل:** أفهم هذا. أفهم ما جرى له ولكنه لم يفقده إيمانه بالثورة؛ لأنه كان يرى ما هى التفاصيل، ويدرك الجهد ولا يضيع التفاصيل بسبب الجهد. إن مشكلة جمال حمدان كانت علاقة مثقف بزميل له، حصل بينهما إشكال على سرقة رسالة علمية، واحتكما إلى سلطة أعلى. أرجو أن نكون حريصين عند الكلام فى هذه القضية بدون حدود.

ـ ولكن السلطة أخذت موقف خصم جمال حمدان فى هذه القضية! ألا يعد ذلك تدخلاً ضد جمال حمدان؟!

. . **هيكل:** هذا صحيح، ولكن هذه السلطة كانت سلطة إدارية ولم تكن سلطة سياسية.

خد مثلاً زعيمًا مثل شارل ديجول. ديجول وهو الأسطورة الحاكمة فى فرنسا، كان من الصعب عليه أن يرى فى فرنسا مثقفين آخرين. ويبقى السؤال: لماذا ظل ديجول على صلة وثيقة بمالرو؟!

لأن مالرو ذهب إليه فى أيام المحنة، وقابله من البداية وتحولا إلى أصدقاء. وأصبح هو يتكلم من صوت فرنسا الحرة. وعندما وصل ديجول إلى السلطة استمرت هذه الصداقة ونمت وترعرعت.

ـ ولكن المثقف من الصعب أن يكون صديقًا للسياسى!

. . **هيكل:** أكمل على سؤالك خاصة عندما يصبح هذا السياسى حاكمًا. ولكن لابد من القول أيضًا إن هذا السياسى ـ حتى وهو حاكم ـ يحتاج إلى نوع معين من الحوار المستمر والمتصل، ومن يقوم بذلك معه لابد وأن يكون فى موقع متساو.

لكن الجوهر فى هذه العلاقة إنك إن لم تكن تعرف هذا السياسى الذى أصبح حاكمًا، قبل أن يصبح أسطورة، لن تقوم بينك وبينه علاقة إنسانية أبدا، لأن هذه المعرفة، تكون قد تمت، عندما كانت المواقع متساوية. إن هذا يوفر حالة إنسانية نادرة لعلاقة إنسانية نادرة أيضًا.

وحتى إن حدثت مشكلات وأزمات فإنها تقع بعد ذلك، وتصبح قصة أخرى.

المحاورة العاشرة

عندما عرض عبد الناصر رئاسة مصر على لطفى السيد.

قل للبكباشى أن يظهر للناس بنفسه، وهى مستعدة أن تتقبل شابًا في سنه.

لطفى السيد لهيكل.

لم يطلب لطفي السيد فرصة لدراسة العرض، ورد بحسم وعلى الفور.

كان قلقا على أمرين في مصر: الجامعة والبرلمان.

ـ ما هى حكاية عرض جمال عبدالناصر على لطفى السيد رئاسة مصر من خلالك؟!

. . هيكل: كان الهدف النهائى هو الديمقراطية؛ ولهذا كان البحث موجها إلى رمز لها يطمئن له الجميع.

فى هذا الوقت طلب مني جمال عبدالناصر الذهاب إلى أحمد لطفى السيد وربما يكون قد أرسل له بواسطة أخرى، وأنا لست متأكدًا من هذه النقطة، ولكنى أنا الذى ذهبت إليه برسالة من جمال عبدالناصر.

ـ ألم يكن جمال عبدالناصر قد قابله أبدًا؟!

. . هيكل: جمال عبدالناصر كان شافه بعد الثورة بأربعة أو خمسة أسابيع. عندما قامت الثورة أعتقد أن لطفى السيد كان فى الإسكندرية. وبعدها قابله عبدالناصر وسمع منه وتكلم معه. ولطفى السيد ذهب إلى مجلس قيادة الثورة، لكني لا أعرف ما جرى فى هذا الاجتماع الأول.

لطفى السيد كان بطبيعته مقلاً فى الكلام ولا يقبل على الكلام مع أناس لا يعرفهم مسبقًا، وحتى إن أقدم على الكلام معهم لا يستطيع. ثم إن الذى كان يراه أمامه من الظواهر كان مختلفًا عن حقيقة الأمور، علاوة على أنه كان قد كبر فى السن.

أنا ذهبت إلى لطفى السيد فى بيته فى أواخر ١٩٥٤ وأوائل ١٩٥٥. في

هذه اللحظة كان محمد نجيب على وشك الخروج من السلطة، كان عند لطفى السيد غرفة مكتب تعلوها قبة كبيرة.

ـهل كنت تعرفه قبل هذا اللقاء؟!

. . **هيكل:** كنت أعرفه قبل ذلك بكثير. كان من الناس الذين كنت أحبهم وأعجب بهم. وكانت ميزة لطفى السيد خصوصًا عندما كنت أغطى لأخبار اليوم مفاوضات صدقى/ بيفين. إن لطفى السيد كان من أهم الناس الذين رأيتهم وقتها. كان معه على الشمسى، وكانا معا يشكلان الاثنين اللذين يمكن أن تسمع منهما رأيًا آخر غير الآخرين من رجال صدقى أو رجال القصر.

القبة التى كانت تعلو حجرة مكتبه كانت من الطراز العربى، والجلسة فيها عربية. وأذكر أننى جلست على كنبة عربية فى زاوية من المكتبة فى مدخل بجوار لطفى السيد، وبدأت أتكلم.

تكلمنا فى أمور كثيرة. فى ذلك الوقت كان لطفى السيد قلقًا على الجامعة. وتكلم عن الذى حصل وجرى فى الجامعة المصرية. وباستمرار عندما كنت أراه، كان دائمًا يقول لى إن مستقبل التطور مرتهن بأمرين ومسألتين وهما: البرلمان والجامعة.

من ناحية البرلمان أدرك هو مبكرًا أن البرلمان مشكلة أعقد مما كان يتصور بفكره المؤمن والديمقراطية. أدرك هذا من وقت علاقته بسعد زغلول وانتخابات الوفد وتحوله إلى الأقلية. ثم رأى زيف وإفلاس الديمقراطية، سواء من ناحية صنع الأغلبية وكيف تصنع، أو من ناحية أن الأغلبية لم تحكم. وشارك فى أحزاب أقلية عن اقتناع أن هذا هو طريق الديمقراطية.

لطفى السيد لم يخن أبدًا، حتى عندما ذهب إلى الأحرار الدستوريين ومعه عدد كبير سواء الدكتور محمد حسين هيكل أو محمد محمود. هؤلاء الناس

لم يكونوا خونة لفكرة الديمقراطية ، لكن التجربة العملية جعلتهم يرون ويدركون أن الساحة العامة غير جاهزة للديمقراطية .

لكن هذا كان خطأ على أية حال . كان هذا مذهبًا من المذاهب . الوفد كان يقول إن الديمقراطية لا تتم إلا بحكم الأغلبية ، وآمن بذلك حتى لو لم يكن فى الحكم . والآخرون قالوا بالديمقراطية برغم كونهم من أحزاب الأقلية أو حتى لو كانوا بعيدًا عن جميع الأحزاب . وجمال عبدالناصر كان يقول بالديمقراطية عن طريق التغيير الاجتماعى ، حتى تتحرك طبقات الشعب المحرومة وتعبر عن نفسها .

البرلمان فى ذهنه كان قد سقط غالبًا ، وتبقت القلعة الأخيرة التى هى الجامعة . وفى هذا الوقت كان قلقًا بشكل أو بآخر من الذى يسمع أنه يحدث فى الجامعة ، سواء من خروج بعض الأساتذة ، أو التطهير . وهناك أناس فى وزارة المعارف ينتقمون من بعض الناس ، وهناك أجهزة تحاول الانتقام . وبلاغات ووشايات ومكائد . البلد كانت فى حالة فوضى ، والجامعة كانت مستهدفة . وأنا نفسى كنت قلقًا لأن مأساة لويس عوض جسدت أمامى الأزمة الراهنة .

قلت للطفى السيد :

ـ أنا قادم لك برسالة .

ـ ألم يكن هناك من يحضر هذا اللقاء؟!

. . **هيكل :** لا ، كنت معه بمفردى ، لكن من الممكن أن يكون الأمر قد عرف بعد ذلك .

ـ وتوقف الأستاذ هيكل لكي يسألني :

. . **هيكل :** ألم تر أحمد لطفي السيد فى حياتك؟!

ـ لا .

. . **هيكل:** ولم تر له صورة؟

ـ كثيراً.

. . **هيكل:** عيناه كانتا ضيقتان جداً، ووجهه مكرمشًا. كما تقول فى قصصك: الوجه غابة من «التجاعيد» وله شارب كثيف.

ـ ألم يكن يعمل فى ذلك الوقت؟!

. . **هيكل:** لا، كان آخر منصب له هو وزير خارجية صدقى واستقال منه وقت مفاوضات صدقى/ بيفين. كان عضواً فى وفد المفاوضات الذى شكله صدقى للتفاوض.

ـ والحديث الذي دار بينكما؟!

. . **هيكل:** أنا نقلت له الرسالة، وإن كنت لا أذكر الكلمات والألفاظ التى استخدمتها بالضبط، ولكن نقلت له اقتراح جمال عبدالناصر بأن يتولى رئاسة الجمهورية.

ـ ماذا كان رد فعل لطفى السيد؟!

. . **هيكل:** الحقيقة أنه كان واضحًا جداً. قال لى:

ـ كل واحد يتصدى لعمل عام ينبغى أن يبقى لتحمل مسئوليته. أنا رجل فى نهاية عمرى، ليست عندى الصحة للدخول فى عمل جديد وتجربة جديدة تبدأ الآن بالكاد.

ـ ألم يطلب فرصة للدراسة والتفكير؟!

. . **هيكل:** كان رده فوريًا، وفى نفس الجلسة قال لى بابتسامة ظريفة:

ـ أنا بدأت عمرى بتجربة دخلنا فيها كلنا. وأنا الآن فى أواخر عمرى ولا أستطيع أن أتصور نفسى بادئًا وداخلاً فى تجربة جديدة. هذا أولاً. أما ثانيًا: إن كل إنسان نهض بمسئولية عمل عام، عنده هو وليس عند غيره

تصور كيف يكملها. اليوم وصلت الأمور إلى هذا المنعطف. فى هذا الوقت كان محمد نجيب قد مشى وكان لطفى السيد يعرف ما جرى لمحمد نجيب منه.

ثم قال لى ملاحظة مهمة جدًا فى هذه الجلسة، طلب منى أن أبلغ البكباشى جمال عبدالناصر ألا يتوارى وراء أحد بسبب سنه ومن أجل اسمه، أن يطلع ويظهر باسمه وبذاته وبصفاته للناس وأن يواجه الناس. وإن كان عندكم تصور أن الناس غير مستعدة لتقبل شاب فى سنه، أنا أقول لك إن الناس تتقبل شابًا فى هذا السن جدًا، شريطة أن يقول لهم ماذا يفعل وماذا سيفعل، لابد وأن يظهر البكباشى جمال ظهورًا علنيا ويتحمل مسئوليته.

الأمر الثاني: ألا يقلق من سنه؛ لأن العصر يحتاج إلى تجديد وإلى شباب والناس ستمشى معه، وسنه لن يكون له اعتبار يؤثر فى تقدير الناس له؛ لأن الناس ستمشى معه بمقدار ما يستطيع أن يطرح لهم من تصورات ومن رؤى.

وهى نصيحة مهمة ومفيدة فى ذلك الوقت.

عدت إلى جمال عبدالناصر، وقلت له ما دار بيننا.

وتوقف الموضوع عند هذا الحد، وانتهى الموضوع.

- هل كان ظهور جمال عبدالناصر التالى لهذا عملاً بهذه النصيحة؟!

. . **هيكل:** إن استجابة أى إنسان لأى نصيحة تكون بمقدار ما هى داخلة فى المخزون والموجود لديه، ومدى إدراكه للتجارب وما سمعه من الناس ومن تقديراته للمستقبل، لكن لا أحد تذهب إليه وتقول له فلان قال لى فيقرر الاستجابة الفورية لك.

لكن يمكن القول إن هذه النصيحة كانت ضمن عوامل أخرى كانت موجودة دفعته إلى الظهور بنفسه بعد ذلك. لكن جمال عبدالناصر عندما فكر

فى الأمر فيما بعد اكتشف أنه فعلاً يتوارى، وأن عملية التوارى هذه لالزوم لها.

لطفى السيد كان صادقًا جدًا فى تشخيصه للأمور وتحديد الموقف عندما قال إنه على من تصدوا للبدء بمهمة أن يظلوا لتكملة مطالب هذه المهمة بعد ذلك.

وهذا من الأمور الطبيعية.

الكتـــاب الخامس

تـذكـر أنــك بشــر

المحاورة الحادية عشرة

دموع عبد الناصر وإنسانيته وضعفه!

الذين أتمنى أن يعزموننى لا يقدرون. والذين يستطيعون لا تهمنى رؤيتهم.

لم تكن هناك مشكلة للذين عرفوه قبل كاريزما الزعامة. والقضية كانت حول الذين عرفوه بعد ذلك.

ودخل عبد الناصر ضباب الأسطورة.

.. يقول خصوم عبدالناصر عنه، وترديد هذا الكلام ينطلق من قاعدة أن ناقل الكفر ليس بكافر، وقولي له لا يعني تصديقه أبدًا، بالعكس أطرحه من أجل نفيه. يقولون عن عبد الناصر: إنه كان إنسانًا فولاذى المشاعر، له عقل بارد وإنه كان بلا قلب.

- ألم تشاهد بنفسك لحظات ضعفه وإنسانيته كأى بشر عادى؟

.. **هيكل:** لقد رأيت دمعة في عيني جمال عبدالناصر تأثرا بقصيدة.

وذلك يوم أن غنت أم كلثوم قصيدة لأحمد شوقى. في هذه القصيدة كانت مصر تناجى شبابها.

تقول فيها:

خرجوا فما مدوا حناجرهم
ولا منوا على أوطانهم مجهودا
والله مادون الجلاء ويومه
يوم تسميه الكنانة عيدا
يافتية النيل السعيد خذوا المدى
واستنشقوا نفس الجهاد مديدا

كانت هذه القصيدة من تلحين رياض السنباطى .

وأم كلثوم كانت تبدع . لم تكن تغنى فقط . كانت تغنى قائلة : خرجوا فما مدوا حناجرهم . ولا منوا على أوطانهم .

كانت هذه الأغنية تذاع يوم توقيع اتفاقية الجلاء .

وقد رأيت دمعة في عينى جمال عبدالناصر ، فأخرج منديله ومسحها . لقد كنا في بيته .

كان مطلع القصيدة يقول :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا

اللابسات من الحرير نضيدا

ثم دخلت على الشباب ، وتكلمت عن الجلاء وقالت :

خرجوا فما مدوا حناجرهم

ولا منوا على أوطانهم مجهودا

طلبوا الجلاء على الجهاد مثوبة

لم يطلبوا أجر الجهاد زهيدا

كان الأستاذ يروي لي كل هذه الأبيات من الذاكرة

في هذه اللحظة بالتحديد . وكان اليوم هو يوم الجلاء .

طلبوا الجلاء على الجهاد مثوبة .

وهنا دمعت عيني عبدالناصر . لقد تأثر وكان تأثره بدون حدود ، وبكى ومسح دموعه أمام عينى بمنديله .

ـ كيف انعكس هذا الجانب الإنسانى على علاقتك به؟!

. . **هيكل**: النقطة الجوهرية في هذه الصداقة التى كسرت الحواجز بين الزعيم والكاتب، أنها تمت قبل أن يصبح زعيمًا وقبل أن يصبح أسطورة، قبل الكاريزما أو الزعامة أو الأسطورة؛ لأن هذه الأمور ـ في العادة ـ تكرس الحواجز ولا ترفعها. ويحدث هذا مع الذين لم يكونوا يعرفونه من قبل.

ـ هل تغير عبدالناصر مع الذين كانوا يعرفونه قبل أن يصبح أسطورة؟!

. . **هيكل**: اعتقادى أن جمال عبدالناصر ـ لم يتغير ـ لكن المشكلة أن الذين عرفوه بعد الزعامة لم يستطيعوا ـ بل كان من الصعب أو من المستحيل عليهم ـ أن ينفذوا إلى داخل الحواجز غير المرئية التي أصبحت موجودة. لقد جربت أن أذهب إليه ومعى أناس كانوا يرغبون في الذهاب إليه، وكان هو مرحبًا بهم، ويسعده لقياهم. ولكن لأن هذه اللقاءات كانت تتم بعد الزعامة، فإن الذى كان يحدث لهم حالة من الصمت والشلل، تنعقد ألسنتهم لدرجة أنهم لم يجدوا الكلام الذى يمكن أن يقولوه بين يديه.

ـ كيف كان ينظم علاقته بالناس العاديين بعد الرئاسة وحدوث حالة الكاريزما، ودخوله ضباب الأسطورة؟!

. . **هيكل**: من ناحية موقفه، أؤكد لك أنه كانت عنده الرغبة الحقيقية في هذا، في أن يرى أناسًا عاديين بعيدًا عن الرسميات، وحدث هذا أكثر من مرة. وقد قلت له أكثر من مرة إن شارل ديجول يمكنه الخروج من قصر الرئاسة وتناول العشاء عند موظف فرنسى عادى من الناس، وذلك خارج نطاق صداقات السلطة والرئاسة، وأن يتناول العشاء مرة أخرى عند أصدقائه، وذلك حتى تكون هناك صلة ما بالناس.

لكن عبدالناصر قال ذات مرة، وأنا أذكر هذا الكلام جيدًا جدًا، قال لى إن

الذين أتمنى أن يعزمونى لا يستطيعون عزومتى؛ لأننى رئيس الجمهورية. والذين يستطيعون عزومة رئيس الجمهورية لا تهمنى رؤيتهم.

كان جمال عبدالناصر يتساءل: من الذى يستطيع عزومتى؟! من الذى يمكنه عزومتى؟ عزومة رئيس الجمهورية؟! إنهم الإقطاعيون القدامى ونجوم المجتمع القديم.

ـ هل لأن هؤلاء كانوا في معركة حياة أو موت ضد عبدالناصر؟!

.. **هيكل:** هذا ليس صحيحًا. لم يكن عندهم العمود الفقرى لكى يقفوا ضد عبدالناصر، ويحاربوا معركة ضده، لا معركة حياة ولا معركة موت، ولا أى معركة، كانوا مأزومين من قبل أن تأتي الثورة، وبعد الثورة أصبح كل وجودهم مركزًا في الرغبة في استرضاء جمال عبدالناصر.

أذكر أن واحدة من أهم نجوم المجتمع المصرى رأت جمال عبدالناصر في شارع ٢٦ يوليو ـ الذى كان اسمه شارع فؤاد ـ كان عبدالناصر متجهًا إلى الزمالك. فمشيت وراءه.

كان ذلك سنة ١٩٥٤ وكان عبدالناصر في طريقه إلى بيتى، حيث كنت أسكن في ١٤ شارع شجرة الدر بالزمالك. هذه السيدة استمرت وراء عبدالناصر حتى الزمالك. وهي من أشهر الناس الذين كانوا في مصر قبل ثورة يوليو ١٩٥٢. وصل عبدالناصر إلى بيتى، وكان هو الذى يقود سيارته بنفسه. ترك سيارته لمرافق معه. توقفت هى الأخرى وركنت سيارتها.

طلع جمال عبدالناصر إلى شقتى، طلعت وراءه، كانت تريد مقابلته بأى شكل من الأشكال، كان لها طلب عنده، طلب هو الوحيد الذى يمكن أن يلبيه لها. على باب شقتى ضربت الجرس. وجاء عبد الرسول وهو رفيق عمر مازال معي حتى الآن يهمس في أذني.

خرجت إلى هذه السيدة. قالت إننى أريد طلبًا من السيد جمال عبدالناصر. قلت لها: هذا لا يصح. يمكن أن أطلب لك موعدا معه في مكتبه وهناك قولي له ما تشائين.

أريد أن أؤكد لك أن الطبقة التي كانت سائدة قبل يوليو، هي نفسها التى كان أفرادها بعد الثورة لا يتمنون فقط رؤية جمال عبدالناصر والتعرف إليه، ولكن مجرد معرفة المتصلين به أو الذين لهم صلة بالمتصلين به.

ـ ويتوقف الأستاذ عند لحظة انتخاب جمال عبدالناصر رئيسًا لمصر.

. . **هيكل:** كان يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦. بعدها لم يمض سوى شهر واحد وتم سحب عرض تمويل بناء السد العالى، ثم تأميم القناة، فمعركة السويس، ثم الخروج من السويس إلى الوحدة مع سوريا. لقد دخل جمال عبدالناصر بعدها في ضباب الأسطورة، ثم سلمته الأسطورة إلى الهالة الضخمة جدًا حول البطل التى أصبحت جاذبة لأناس كثيرين جدًا حوله. تأخذهم الأسطورة، ولا يستطيعون الوصول إلى الإنسان الذى يقف وراء الأسطورة.

أذكر أننى كتبت هذا الكلام من قبل، كتبته وقتها. وأول مرة كتبت هذا الكلام كان في وجوده. كان ذلك يوم وصولنا إلى سوريا، ثانى يوم الاستفتاء على الوحدة. ركبنا الطائرة وصلنا يوم عشرين فبراير، ذهبنا إلى دمشق، لم يكن أحد يعرف أن الذى في الطائرة هو جمال عبدالناصر، نزلنا من الطائرة.

عبد الحميد السراج وعفيف البرزى رئيس أركان حرب الجيش، وغيرهم من الضباط كانوا قادمين إلى المطار وهم يتصورون أنهم سيقابلون عبد الحكيم عامر، فإذا بهم يفاجئون بجمال عبدالناصر.

وانتشر الخبر، خبر أن جمال عبدالناصر وصل إلى دمشق، وخرجت دمشق بطريقة غير طبيعية، وأحيط قصر الضيافة ببحور من البشر، وصلت هذه البحور حتى قاسيون.

كنا نرى البشر على مدى البصر، إلى المدى الذى يمكن أن يصل إليه النظر. رجال أصيبوا بالتخشب، ونساء أغمى عليهن. اللبنانيون بدءوا الزحف إلى دمشق وحلب. والحلبيون بدءوا ينسون حساسيتهم التقليدية تجاه دمشق وزحفوا. وحمص وحماة. كل الشام بدأ الزحف. والقادمون من لبنان عبر الحدود. مشهد خرافى أسطورى. كان هذا اليوم بالضبط هو التجسيد الحقيقى لصورة البطل.

خرج عبدالناصر إلى الشرفة من أجل أن يطل على الناس ويتكلم معهم ويخطب فيهم. كانت الناس واقفة تصل الليل بالنهار، ترفض أن تمشى والليل أصبح نهاراً من شدة الأضواء التى كانت مسلطة على الشوارع والميادين. والناس في الخارج تطلب من جمال عبدالناصر الخروج لهم.

كان جمال عبدالناصر يخرج لهم مرة كل ربع ساعة، يخرج يتكلم ثم يعود. ويخرج لهم من جديد. والدنيا كانت باردة، كنا في فبراير، وهذا وقت بارد في دمشق عادة. كان شكرى القوتلى يقف بجانب عبدالناصر، ومن البعثيين جاء ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وقد دعاهم جمال عبد الناصر جميعا للحديث إلى جماهير الناس، ومن الضباط جاء عبد الحميد السراج وعفيف البرزي.

أتى الليل، والناس لاتريد الانصراف. فوجئت بجمال عبدالناصر يأخذنى إلى الشرفة ووقفت فيها معه.

لكن الرئيس جمال عبدالناصر كان يقف وكنت أقف قريبا منه.

وعبدالناصر كان يتحرك من هذه الناحية في الشرفة إلى الناحية الأخرى. تحرك نحوي سألنى:

ـ رأيك أيه في الحاصل؟! أيه إللى بيجرى؟!

كان مستغربًا. كان أكثر من سعيد، وأكبر من مندهش.

قلت له:

ـ الحقيقة أن هذا الذى يجرى غير طبيعى. والحقيقة الثانية أننى لو لم أكن أعرفك من قبل وحتى الآن لكنت تصرفت معك مثلما كانوا يفعلون مع قياصرة الرومان الكبار، عندما كانوا يجعلون وراءهم في مواكب النصر من يهمس لهم: تذكر أنك بشر.

ولأننى أعرفك ـ قلت لجمال عبدالناصر ـ فلست محتاجًا لأن أقول لك: «تذكر أنك بشر». إن هذه المشاهد كان يمكن أن تجعل أي إنسان ينعزل عن كل حقيقة إنسانية، لكن جمال عبدالناصر استطاع الصمود، لم ينس أبدا أنه بشر ولا عمره نسى أنه بشر.

ـ هل تغير عبد الناصر بعد ذلك.

. . **هيكل:** من الأشياء المهمة والجميلة في جمال عبدالناصر أنه لم يغير ولاءاته الطبقية أبدًا. أذكر مرة كنا معًا في استراحة برج العرب، في المكان الذي أصبح يسمى فيما بعد بالساحل الشمالى. البيت الذي كان ينزل فيه أو الاستراحة، كان الأمر مختلفا عما هو الحال الآن. عندما بنى الرئيس السادات استراحة جديدة على الشاطئ مباشرة. وقتها كانت الاستراحة على الناحية الأخرى من الطريق. على تل صغير تنزل إليه السيارة، حيث نذهب إلى الكابينة. وكانت السيارة تمر على الشارع وتقطع حوالي ٢ كيلو متر.

أذكر مرة كان هناك عمال ـ وكان ذلك بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية ـ كان

العمال يحفرون في الأرض من أجل مد أسلاك خط تليفوني. كان العمال يعملون في الحفر على جانب من الطريق وقد توقفوا عن الحفر لتناول طعام الغداء. وكان جمال عبدالناصر يقود السيارة بنفسه وكنت أركب بجواره.

-بدون حراسة؟!

.. **هيكل:** كانت هناك سيارة تمشي وراءنا فيها اثنان من السكرتارية. ولكن من بعيد. نزل جمال عبدالناصر وتكلم مع العمال الذين لم يعرفوه. كانوا قد تركوا العمل وجلسوا يأكلون غداءهم. أحدهم فتح منديلا كان فيه ملح وبصل وخبز. سأل جمال عبدالناصر صاحب المنديل:

-أخبارك أيه؟! وعامل أيه؟!

كانوا صعايدة. وقف جمال عبدالناصر، تكلم معهم، وردوا عليه.

-ألم يتعرف عليه واحد منهم؟!

.. **هيكل:** لا. يبدو أنهم لم يروا صوره في الجرائد، والتليفزيون لم يكن قد عمل بعد. وكانت صورة عبدالناصر ذهنية. صورة عن طريق الأذن. عاد جمال عبدالناصر وركب السيارة. مرت فترة من الصمت. قال بعدها جمال عبدالناصر: إن هذه هي المشكلة التي نواجهها، الذين من المفروض أن نكون لهم وأن نعمل من أجلهم لا نستطيع أن نصل إليهم، وهم أيضا لا يعرفون كيف يصلون إلينا. ولكن الناس الذين يمكن أن يعرفوا الطريق إلينا ويصلون لنا بسهولة، أو نعرف نحن الطريق لهم، لا يشكلون القضية الجوهرية بالنسبة لنا.

هناك تعبيرات أو كلمات أو مشاهد تبقى كما هي في ذهنك، تزداد وضوحا مع مرور السنوات. تشعر أنها جزء من تجربتك، بل إنها تشكل لحظات فارقة، تشعر - دائمًا - أن هذا الكلام يستحق أن يبقى وأن ما تراه من

مشاهد، كان لابد وأن تشاهده . وإنه يدخل الوعي ليظل فيه . إنه جدير بأن يسجل فى ذاكرتك وأن يبقى فيها حتى آخر لحظة من العمر .

كان مشهد جمال عبدالناصر فى برج العرب، وكان ما قاله لي بعد ذلك من المشاهد التي تبقى فى الذهن كما هي إلى الأبد، ينطبق عليها ما يمكن أن نطلق عليه عبقرية الذكريات، ذلك أنه ليست كل الذكريات عبقرية، بعضها ينسى وبعضها يبقى . .

المحاورة الثانية عشرة

قراءات الرئيس

كان يعرف ماذا يقرأ.

صحف مصر مع قهوة الصباح.

وصحف بيروت مع تعسيلة الضُهرية.

وصحف أوروبا ليلا.

قابله توفيق الحكيم.

وقابله صلاح عبد الصبور.

فلم يجد أيا منهما كلمة واحدة يقولها في حضوره.

ـ بعد أن أصبح جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية . . ماذا كان يقرأ؟ وما هي صداقاته من بين الكتاب؟!

. . **هيكل :** عندما أصبح جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية أصبحت القضية في منتهى الصعوبة . أنت لا تتكلم عن رئيس جمهورية عادى . نحن نتكلم عن رئيس جمهورية ، أعطته الأمة ما لم تعطه لأحد ، لا قبله ولا بعده . أنا في حياتى ، وعندما أعود إلى ما قرأته من كتب التاريخ القديم والوسيط والحديث ، لم أجد زعيمًا أعطته أمته ما أعطاه المصريون والعرب لجمال عبدالناصر ، حتى تشرشل «بجلالة قدره» شعبيته لا تستطيع أن تصل إلى ما جرى لجمال عبدالناصر ، ولا حتى تقترب منها .

القضية ، إن جمال عبدالناصر أتى في لحظة كانت مصر فيها فى أمس الحاجة إلى الكرامة . وابتداء من ١٩٥٥ جسّد أمام العرب هذه الكرامة . فأصبحت أكثر قضايا الحياة العربية حضوراً في زمنه . لسنا أمام رئيس ، ولكننا أمام أسطورة ، صنعت ، صنعتها الجماهير العربية والمصرية ، وأصبح الرئيس زعيمًا وأصبحت هناك اللحظة التاريخية التي جاء فيها ، والناس أبدعت قوة أسطورية حاكمة ، شارك فى إبداعها كل الناس ، يستثنى منها كل أو بعض من كان يعرفهم قبل أن يصبح أسطورة .

ـ في هذه الفترة من رأي جمال عبدالناصر من الكتاب ومن الذين قرأ لهم؟!

. . **هيكل :** عندما تسألني مَنْ مِنَ الكتاب رآهم جمال عبدالناصر ؛ أقول

لقد قابل كثيرين. قابل كل من تتصور في عصره من الكتاب والأدباء. قابل الدكتورطه حسين أكثر من مرة. قابل توفيق الحكيم، بالطبع، في قصر القبة يوم سلمه قلادة النيل. قابل عشرات من الصحفيين، قابل الكثيرين من الشعراء والفنانين بالطبع. أظن إنه كان يقدر شعر صلاح عبد الصبور لكن أظن أن الحوار بينهما لم يطل، لأن صلاح عبد الصبور انعقد لسانه في حضور عبد الناصر.

ـ هل كان صلاح عبد الصبور هو الوحيد الذي تصرف هكذا مع جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل:** أعتقد أن طه حسين تحدث إليه كثيرا، وربما أن طه حسين لم يكن بسبب ظروفه الخاصة يتأثر بأجواء الأسطورة، خصوصا ما كان يقال عن المغناطيسية المشعة من عيني عبد الناصر. توفيق الحكيم فى مقابلته الأولى مع عبد الناصر عندما سلمه قلادة النيل، حاول أن يتكلم معه، ولكنه كان قليل الكلام. كنا قبل السويس. ولم تكن الأسطورة قد ترسخت بعد، وبالتالي فأنا أظن أن هذا اللقاء كان في أجواء مقابلة من أديب كبير والرجل القوي على قمة الدولة، في اللقاء الثاني اختلفت الصورة؛ لأن اللقاء جرى بعد السويس وجوها الأسطوري. وبعد سفر الحكيم مندوبا لمصر في اليونسكو، وكان توفيق الحكيم يريد هذا المنصب بشدة، وكان يتصور أن عودته إلى باريس أديبًا كبيرا هذه المرة، سوف تحدث عنده انبثاقا متجددا في الفكر يفوق ما أحدثه لقاؤه الأول مع باريس، عندما ذهب إليها طالب بعثة لدراسة الحقوق.

في هذه المقابلة لم يتكلم الحكيم، ولم يقل شيئا سوى كلمة شكر على تعيينه وتصوره أنه يتوقع كثيرا من ذهابه إلى باريس. وكان من بين ما قاله له عبد الناصر إنه سوف يكون متشوقا لقراءة ما يكتبه ونصحه بأن يترك الأعمال الروتينية لمندوب مصر في اليونسكو لأحد مساعديه، وأن ينتدب من يشاء

لمكتبه من سفارة مصر في باريس؛ حتى يتفرغ هو لما يتمناه من تأمل وتفكير وكتابه.

وعندما عاد الحكيم من باريس لم يطلب مقابلة جمال عبد الناصر. مع أن عددا من أصدقائه ومن ضمنهم الدكتور حسين فوزي ـ كما قال لي ـ نصحه بأن يدون اسمه في دفتر التشريفات في الرئاسة تعبيرا عن شكره بعد عودته من مهمته.

سألني توفيق الحكيم إن كان ذلك ضروريا؛ لأنه يشعر بخجل فهو لا يعتقد أنه نجح في اليونسكو، وأن باريس لم تهمه هذه المرة، وأنها «صدت» نفسه، وأن قرينته ضحكت عليه كثيرا؛ لأنه تصور أنه في استطاعته بعد الستين إستعادة أجواء كان فيها تحت الثلاثين.

ـ ماذا كان الرئيس يقرأ؟!

.. **هيكل:** هذا هو الشق الثاني من سؤالك. ماذا قرأ الرئيس في هذه الفترة؟! أقول لك إنه قرأ الكثير جداً. القراءة كانت أكثر من المقابلات، بما لا يمكن المقارنة بين الأمرين، من الصعب حصر هذه القراءات. بعض الكتب كانت تلفت نظر جمال عبد الناصر بطريقة تشعر معها أنها تركت أثرا في نفسه، أتذكر مرة كتاباً عن تروتسكى من ثلاثة أجزاء، كتبه أيزاك دويتشير أستاذ التاريخ السوفيتي في جامعة هارفارد وقتها. وقد أعطاه لي جمال ـ الجزء الأول وكان عنوانه: النبى غير مسلح أو بدون سلاح. والثاني عنوانه: النبى مسلحا، والثالث عنوانه النبى منبوذا أو النبى في المنفى. والرئيس أعطاني الأجزاء الثلاثة، وقال لي اقرأه. ووجدت علامات على الجزء الأول.

ـ هل كان يحفظ الشعر؟!

.. **هيكل:** لا. لم تكن ذاكرته تحفظ الشعر، مع إنه كان يهمه الشعر

جداً، وكان مهتمًا بذكر أبيات من الشعر، وأعتقد أنه من الأشياء التي كان يحبها معى. إننى في مرات كثيرة كنت أذكر له أبياتًا من الشعر تلخص موقفا أو تقدم عبرة.

أذكر مرة كنا في مؤتمر الخرطوم، وكان ذلك فيما بعد هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧. والناس قابلته في الخرطوم. لا أريد الكلام مجدداً عن مظاهر الاستقبال الأسطورى التى قوبل بها فى الخرطوم، يكفى أن أقول إن مجلة النيوزويك الأمريكية أصدرت غلافًا عن استقبال عبدالناصر في الخرطوم.

هناك كلمة في المسرح الإغريقى والرومانى، وحتى في مسرح شكسبير هذه الكلمه تقول: قيصر المنتصر، تحية للفاتح. النيوزويك نشرت صورة السودانيين الذين رفعوا سيارة جمال عبدالناصر على الأكتاف والرءوس، وهو في المسافة من المطار إلى الفندق، نشرت هذه الصورة على غلافها. وكتبت تحت الصورة: تحية للمهزوم.

ذهبت إليه في الفندق. أنا كنت متابعًا للموقف كله، من المطار وحتى الفندق في الخرطوم. وكان الفندق هو هيلتون الجديد. صعدنا إلى فوق. جمال عبدالناصر كان في حالة ذهول من الطريقة المذهلة التي استقبل بها من قبل الناس هناك، خاصة أن هذا كان يتم بعد الهزيمة.

تكلمنا، قلت له: إن الناس تعبر عن أمل، أكثر ما يعبرون عن الذى مضى.

قال لى ما مؤداه ومعناه: إننى كنت أتصور أنني قد لا أستحق كل هذا من الناس بعد كل ما جرى وما حدث.

قلت له:

انظر فأنت كأمس شأنك بازغ

في الشرق واسمك أرفع الأسماء

مــــا حـطـمـــوك وإنمـا بك حـطـمـــوا

من ذا يـحـطـم رفـــــرف الجـــــوزاء

قال لى انتظر، وبدأ يكتب البيتين من الشعر، وكتب الشعر بخط يده وببطء شديد، كأنه كان يبحث عن عزاء له شخصيًا.

- وقراءاته الأخرى؟!

. . **هيكل:** أظن أن أكثر قراءاته في هذه الفترة كانت في أوراقه الرسمية. وذلك حول اهتماماته في هذه الفترة، لقد كان مهتمًا بالسد العالى والتصنيع كان يطلب نماذج من الإنتاج المصرى. عندما تنتج مصر صوفًا، كان يطلب كتالوجات الصوف المصرى ومعها عينات صغيرة من النتاج نفسه. وكان الدكتور عزيز صدقي يعرف عنه ذلك، فكان يذهب إليه ومعه عينات من آخر ما أنتجته المصانع المصرية، خصوصا ما يستطيع أن ينافس السلع الاستهلاكية. وفي هذا المجال كان مهتما بصناعات القطن والنسيج، على اعتبار أن مصر لها فيها تميز. وبدأ يصنع بدلة من صوف المحلة وراح يدعو الآخرين أن يفعلوا مثله، وأصبحت هذه موضة في تلك الأيام.

- هل كان قارئًا للصحف، أم إنه كان يحب قراءة الملخصات؟!

. . **هيكل:** لا. طول عمره ما أحب قراءة الملخصات، ولكنه لم يكن يقرأ كل الصحف. أولاً: كان في الصباح الباكر يرى الصحف المصرية. ثانيًا: وقت الظهر تكون قد وصلت صحف وجرائد العالم العربى، خاصة صحف بيروت. ثالثًا: ليلاً تكون قد وصلت الصحف الخارجية.

هذا هو نظامه اليومى مع الصحافة المصرية والعربية والعالمية، الصحف المصرية صباحًا، يراها مع الإفطار ولأنه لم يكن ينام بعد الظهر، كان فقط «بيمدد» وهو صاحى، وكان يأخذ معه الصحف القادمة من بيروت، وهو

يعلم توجهات بعضها. في الليل، قبل النوم، كان يقرأ الصحف القادمة من إنجلترا ومن أمريكا.

لكنه بالتجربة كان يعرف ماذا يقرأ من الصحف. كان يحاول معرفة اتجاهات عامة أكثر من جريه وراء التفاصيل. وهناك أشياء كان يقرؤها قراءة أستاذ المخابرات الذى درس علوم المخابرات، ليبحث عما وراء ما هو مكتوب أكثر من اهتمامه بالمكتوب نفسه. إنه يقوم بعملية تحليل مضمون بحثًا عن كل ما هو وراء المكتوب والمنشور. مثلاً هذه الجريدة تمثل مَنْ، وتلك من يقف وراءها.

- والكتب التى أهديت له في هذه المرحلة من المؤلفين؟!

. . **هيكل:** لا يوجد كاتب كتب كتابًا لم يرسل منه نسخة إلى جمال عبدالناصر في هذه المرحلة، وكل هذه الكتب كانت توضع في المكتب ولاترسل إلى المنزل أبدًا. يتوقف الأستاذ ويسألني: هل ذهبت إلى منزله؟!

- في حياته وخلال حكمه لمصر، لم أدخل هذا البيت، ولكن بعد استشهاده ورحيله كنت أذهب إلى هناك في ذكراه كل سنة، إلى أن جرى تسليم البيت إلى الدولة من أجل عمل متحف، وهو ما لم يتم البدء فيه حتى الآن.

. . **هيكل:** عندما تدخل بيته، على اليمين هناك مبنى كان في الأصل مبنى السكرتارية. خرجت منه السكرتارية إلى البيت المقابل لبيته. وجعل من هذا المبنى مكتبة. وكان هذا بعد أن ضاقت مكتبة المنزل الذى يسكن فيه بالكتب التي كانت في البيت. وقد نقلت الكتب إلى هذه المكتبة، والمكان كبير جدًا وهو كله لا توجد فيه سوى الكتب فقط.

- هل ما زالت هذه الكتب موجودة حتى الآن؟!

. . **هيكل:** لا أعرف مصيرها تحديدًا. لا توجد عندى فكرة عن الكتب التي فقدت أو الكتب التى بقيت حتى رحيله والتى ظلت موجوده بعد رحيله.

ـ والكتب التي أهديت له من مؤلفين. عرب وعالميين؟!

. . هيكل: سارتر وسيمون دى بوفوار عندما حضرا إلى مصر قدما له مؤلفاتهما. أذكر أن سارتر قدم له مجموعة من الكتب، وسيمون قدمت له مجموعة من الكتب، وبوف أعطاه كتبه، ومونتجمرى قدم له مذكراته.

كل الرؤساء على مستوى العالم الذين أصدروا كتبًا أرسلوها إليه، أو قدموها له عند اللقاء به. المؤلفات المصرية كان يصل إلى السكرتارية الكثير منها بدون حدود، ولكن كان هناك الكثير منها من الكلام الفارغ الذى لا يستحق حتى مجرد عرضه على الرئيس، ولكن كل شىء له شأن وصل إلى المكتبة.

ـ حتى لحظة رئاسته للجمهورية، هل كانت هناك كتبًا صدرت عنه؟!

. . هيكل: طبعًا صدرت عنه عدة كتب، ولم يكن متحمسا لها.

المحاورة الثالثة عشرة

وثائق الثورة
كيف تمت كتابتها؟!

فلسفة الثورة

الميثاق

بيان ٣٠ مارس

خطب الزعيم

كيف خرجت إلى الوجود؟!

وما هي القصة الداخلية لكتابتها؟!

. . نصل الآن إلى وثائق يوليو الأساسية :

١ ـ فلسفة الثورة .

٢ ـ الميثاق .

٣ ـ بيان ٣٠ مارس .

٤ ـ خطب جمال عبدالناصر . .

لست فى حاجة إلى القول، قبل الكلام في هذا الموضوع، إنه ما من رئيس كتب بخط يده ما ألقاه من الخطب. وبعض الرؤساء تؤلف لهم الكتب، ويضعون أسماءهم عليها.

سؤالى الأول :

ـ هل كان عبدالناصر كاتب كتبه التي حملت اسمه؟ وإن لم يكن فمن الذى كتبها؟!

السؤال الثاني :

ـ هل كنت تكتب له خطبه؟ وكيف كانت تتم آليات هذه العملية؟ كيف كان يطلب منك عبدالناصر كتابة خطبة ما؟ هل بشكل مباشر؟ أم من خلال وسيط ما؟!

. . **هيكل :** وثائق يوليو ، كما تسميها أنت . فلسفة الثورة . الميثاق . بيان ٣٠ مارس . خطب جمال عبدالناصر . كيف كانت تكتب وما هى الظروف والآليات ، وهذا تعبيرك أنت؟ !

أولاً : لابد وأن نقرر الآن أنه لا يوجد سياسى واحد كتب لنفسه ، ولا يصح أن يحدث هذا أصلاً ، ولا نطالب نحن به ، ولا يصح أن يطالب غيرنا به .

لكن القضية هي مدى العلاقة بين رجل السياسة ، ومن يصوغ فكره . تعال نأخذ أشهر النماذج في التاريخ حتى نكون واضحين تمامًا في تناول وطرح هذه القضية وبدون أى لبس أو غموض .

باستمرار كل سياسى يكون هناك إنسان بالقرب منه ، أو يقترب منه ، أو تقربه الظروف منه ، أو يجده ويعثر عليه . لا أقول إن هذا الإنسان يصبح توءم السياسى ، ولكنه يصبح قريبًا منه بدرجة كافية .

على سبيل المثال ، عندك ويلسون عثر على ولتر ليبمان . هذه علاقة توءمة في واقع الأمر . والتر ليبمان هو الذى صاغ المبادئ الـ ١٤ التي أعلنها وورد ويلسون في مؤتمر فرساى للصلح .

وهي المبادئ الـ ١٤ التي أصبحت دستور كل المطالبين بالاستقلال بعد الحرب العالمية الأولى .

ـ هل نبدأ مع كتاب أو كتيب فلسفة الثورة؟ !

. . **هيكل :** عندما نصل إلى فلسفة الثورة ، أنا لم أكن الأقرب منه وقتها . كنت أقابل جمال عبدالناصر ـ في هذه الفترة ـ وكنا نتكلم . نحن كنا نتكلم كثيرا .

بالنسبة لفلسفة الثورة ، كانت هناك رغبة في وضع نوع من المنهج بشكل أو آخر . إن مبادئ الثورة كتبت فيما بعد . كانت هذه النقاط محسوسة في الجو

وفي المناخ العام كمطالب للثورة، لكنها لم تتم صياغتها، وتمت الصياغة بعد الثورة، بعد البيان الذى أعلن عن قيام الثورة.

ـ ألم تعلن هذه المبادئ في بيان ٢٣ يوليو صباحًا؟

. . **هيكل:** لا. ورد مضمونها بشكل عام، ثم تحددت بعد هذا. وكانت التجربة قد بدأت، ولم يكن هناك تصور، خاصة أنه كان مطلوبًا أن تكون هناك تصورات: ماذا سنفعل؟ لم يكن هناك تكليف لأحد بكتابة فلسفة الثورة، ولكن هناك من تطوع من تلقاء نفسه ـ وأنا أقول هذا الكلام لأول مرة ـ لأن هذه حقائق لابد من إعلانها للتاريخ وللحقيقة. لقد تطوع فتحى رضوان للكتابة، ولكن ما كتبه فتحي رضوان كان قريبا من فكر الحزب الوطني أكثر من ثورة يوليو، وهذا منطقي.

ـ ماذا كانت طبيعة علاقة جمال عبدالناصر مع فتحى رضوان في هذه المرحلة؟!

. . **هيكل:** جمال عبدالناصر كان يحب فتحى رضوان، وكان يقدره. وفتحى رضوان عمومًا ـ رجل يُحَب ويقدر ـ وأنا أعتقد أنه واحد من الناس الذين لم يأخذوا حقهم في تاريخ مصر الحديث.

ومشكلة فتحى رضوان الأساسية أنه كان واعيًا بصورة دائمة بهذه الحقيقة التى ربما كانت مؤلمة أحيانًا. وهذا الوعى رتب عليه عُقدًا لا لزوم لها، هنا أريد التوقف من أجل إيضاح فقط. هناك دائمًا فارق بين أن تكون هناك حقيقة تتصل بك يعيها الآخرون وخاصة إن كانت هذه الحقيقة بشأن قدرك. إن هذه الحقيقة إن آمنت بها وسكنتك من الداخل، تتحول إلى مشكلة بعد ذلك.

ـ وماذا كان دورك أنت في هذه المرحلة؟!

. . **هيكل:** كنت أريد أن أعمل شيئًا لآخر ساعة، كنت رئيس تحرير مجلة

آخر ساعة. ولذلك تجد أن فلسفة الثورة ظهرت أول ما ظهرت في مجلة آخر ساعة. كنا قد بدأنا نتكلم، وكانت علاقتنا قد اقتربت، لكنها لم تكن قد التحمت الالتحام الذى جرى بعد ذلك.

كنا جالسين - جمال عبدالناصر وأنا - نتكلم، وهو لم يعرض عليّ أن أكتب شيئًا، وأنا لم أعرض ولم أطلب، لكن عندما كتبت أنا محصلة الكلام الذى دار بيننا في ثلاثة أجزاء ونشرت في آخر ساعة.

اكتشف هو أن هذه الحلقات معبرة.

هكذا بدأت الحكاية. لم تبدأ بتخطيط وتصميم.

- كيف كتبت فلسفة الثورة إذن؟!

. . **هيكل:** علاقتى بجمال عبدالناصر علاقة مصادفة، لا أنا سعيت إليها، ولا هو سعى إليها، لكن الظروف هي التي عملتها بملابساتها.

- هذه العلاقة عذبت أجيالا جاء ت من بعدكم، خاصة من كتاب المقالات ومن كتبة خطب الرؤساء. والحكايات كثيرة.

- والسؤال هو: هذه العلاقة كما عشتها أنت مع عبدالناصر، هل هي قابلة للتكرار؟!

. . **هيكل:** هذه العلاقة في اعتقادى غير قابلة للتكرار، على الأقل في ظروفنا الراهنة؛ لأنه لن يأتى أحد عنده فكره، وعنده مشروع ويلتقى بإنسان في مجال الكتابة وفي التفكير له علاقة بفكرته ومشروعه، وهذه العلاقة تصل إلى حدود التلاقى. إن هذا من الممكن أن يحدث ولكن في الخارج.

من الجائز أنه في المشكلات التى حدثت بعد ذلك لعدد كبير من المثقفين والمفكرين والصحفيين في مصر، أنهم تصوروا على وجه التحديد، أو أن البعض منهم تصور، أن نموذج «عبدالناصر/ هيكل» يمكن إحياؤه مع الرئيس

أنور السادات، أو مع الرئيس حسنى مبارك، ولم تنجح هذه التجارب جميعها؛ لأن تجربتى مع عبدالناصر كانت محض مصادفة تاريخية، حصلت في ظرف غير قابل للتكرار. من الصعب أن تعاد نفس التجارب وبنفس الظروف.

ـ ما هي الحدود الإنسانية والسياسية التى وصلت إليها هذه العلاقة؟!

. . **هيكل:** لم أكن محتاجًا إلى أن يكلمنى جمال عبدالناصر ويقول لى: نكتب نقول أيه؟! بمعنى أننا كان بيننا طول الوقت حوار دائم باستمرار. وطوال الوقت كنا في حالة حوارات مع الآخرين. أنا وهو نتكلم معًا، ولكننا نتكلم في نفس الوقت مع الآخرين من أركان الدولة.

ـ مثل من؟!

. . **هيكل:** محمود فوزى ـ مثلاً ـ يكون معنا ونحن نتكلم. والرجل ـ في النهاية ـ لا يخفى عنى أى شىء، كنت في الصورة لكل وجميع ما يجرى.

ـ ولهذا كان الأستاذ ينفرد بالأخبار دون الآخرين؟!

. . **هيكل:** الغريب أنه لم يكتب أحد بعد ذلك أى أخبار تذكر. بعدنا وبعد تجربتنا لم تكتب أخبار أبدًا. وكأن الأخبار قد بطلت، وكأن عصر الأخبار في الصحافة المصرية قد انتهى. إن هذا ما جرى بالتحديد بعد أن توقفت.

ـ لقد توقفت الأخبار لأن الأستاذ كان الصحفي الوحيد، بل ربما الأوحد في عصره وفي زمانه؟!

. . **هيكل:** إطلاقًا. لم يكن السبب هو حكاية الصحفى الأوحد أبدًا. السبب أنه كان هناك صحفى يعيش في الأجواء، أجواء الأخبار أساسًا.

ـ ولكن الآخرين لم يكن ذلك متاحًا لهم؟!

. . **هيكل:** لابد وأن تدرك أن هناك صانع الخبر، وقد لا يدرك أنه يصنع

خبراً، لكن الصحفى هو الذى يدرك بحسه أن هذا الذى يجرى يصلح لأن يكون خبراً، وأن يكون هذا الخبر صالحًا للنشر.

أنا أستطيع أن أتصور ما يمكن أن يكون خبراً، وأنا أتذكر أنه في مرة كنا جالسين، وكنت - في ذلك الوقت - عضواً في لجنة، لجنة ضيقة متفرعة من مجلس الوزراء، تبحث ما قد يترتب على قبولنا مبادرة روجزر. كنا في رأس التين. كان جمال عبدالناصر يقول شيئا ما.

فقلت أنا بحكم العادة هذا يمكن أن يكون مانشيت الأهرام غدًا. جمال عبدالناصر استغرب وقال لى:

- إحنا قاعدين نتكلم في السياسة والقرارات وماذا سنفعل، وأنت فكرت فوراً في مانشيت الأهرام، لماذا تفكر كصحفي؟

قلت له: لماذا أفكر كصحفى؟! لسبب بسيط وهو أننى عشت حياتي كلها بالدرجة الأولى كصحفي.

كنا نتكلم طول الوقت. عندما يكون هناك شيء مثل الميثاق، أو بيان ٣٠ مارس، من الممكن أن نعقد جلسة مناقشة فيه. ثم أكتب وينتهى الموضوع، ثم يرى هو ما أكتبه، إن كان الموضوع يحتاج إلى تعديل.

في كل الأحوال لم يقل لى أحد ماذا أكتب؛ ذلك لأننى كنت أعيش الصورة بجميع تفاصيلها، كنت قادراً على أن أكتب دون الرجوع لأحد.

وهذا هو الخطأ الذى جرى بعد ذلك، لا أحد بعد أيامنا عاش في الصورة الكاملة مع مسئول كبير.

- وكيف جرت علاقة الكاتب والسلطان بعد ذلك؟!

. . **هيكل:** بعد ذلك، بعد زمننا أصبح هناك كاتب محترف، ترسل له بيانات وأرقام وحقائق ورءوس موضوعات وتفاصيل، وهو يجلس ويكتب،

ولأنه لا يوجد مشروع ولا توجد مشاركة في المشروع، فالقضية أصبحت مختلفة تمامًا عن التجربة الأولى.

ـ ماذا كان يميز هذه التجربة عن التجارب التى جاءت بعدها؟!

. . **هيكل:** نحن نتذكر هذه التجربة بصورة شديدة الوضوح لعدد من الأسباب:

أولا: كانت مرتبطة بمشروع.

ثانيا: كانت مصاغة بأسلوب من الداخل وليس من الخارج.

ثالثا: أن الأمر تم على أساس شراكة حقيقية، شراكة في الرؤى وليست تبعية أو وظيفة.

ـ والميثاق؟!

. . **هيكل:** نفس الحكاية، يعني الميثاق جاء بعد الانفصال. كنا أمام دولة انقسمت نصفين: نصف في الشمال، ونصف في الجنوب.

كنا نشعر أننا في حاجة إلى البحث عن شرعية جديدة، أكرر كنا في حالة بحث عن شرعية جديدة. كنا نتكلم ونتصرف تحت سؤال كبير هو: ما العمل؟ بعد الانفصال، كانت الدولة في أمس الحاجة إلى إعادة تنظيم. إن الناس تتكلم الآن عن المجتمع المدنى، كأن فكرة المجتمع المدني مستعارة من التجربة الأمريكية، أو مستعارة من التجربة الأوروبية أو الأمم المتحدة.

ـ أنا عن نفسي أعتبر فكرة المجتمع المدنى قادمة من الغرب، وأن مؤسساته قد تصبح مبرر التدخل الجديد فى شئوننا.

. . **هيكل:** مع أننا عندنا مؤسسات مجتمع مدني في مصر من أقدم مايمكن. عندما جئنا في سنة ١٩٦١ وحدث الانفصال ووقع، وانفصلت سوريا، كنا محتاجين لتأسيس شرعية جديدة.

ـ في هذه الحالة تجرى انتخابات جديدة؟!

. . **هيكل:** ولكن السؤال هو: بأي وضع تجرى هذه الانتخابات، تلك كانت المشكلة.

ـ وكيف جرى حلها؟!

. . **هيكل:** اعتمدنا على مؤسسات المجتمع المدني من أجل أن تعطينا مجلسًا يمثل الشعب المصري في ذلك الوقت. عندما نقول: المؤتمر القومي للقوى الشعبية. ماذا كان يعني هذا؟!

تعال نتذكر مؤسسات المجتمع المدنى التي كانت موجودة في مصر في تلك الأيام. كانت في واقع الأمر: علماء الأزهر الشريف، كانوا رؤساء الحرف والطوائف، الحرف بالذات، الصياغ، الحدادين، النجارين، جميع الحرف، طوائف التجار حتى تصل إلى سوق السلاح، وتجار البهارات، حتى سوق الليمون، المؤسسات التعليمية، التجارة والصناعة والزراعة والحرف ورجال الإدارة. هذه الفكرة اقترحت نفسها تلقائيًا.

لم يكن الهدف هو الحصول على تمثيل سياسى، وعلى أي أساس، سيكون مطعونا فيها، فأنا سأذهب وألجأ إلى القوى الحقيقية الممثلة للمجتمع المدني المصرى. النقابات أرسلت مندوبيها، الجامعات أرسلت من يمثلها الصناعات أرسلت مندوبيها، والغرف التجارية أرسلت مندوبيها.

ـ ولكن هؤلاء المندوبين جرى اختيارهم بانتخابات جرت في الأماكن المختلفة في ذلك الوقت؟

. . **هيكل:** نتيجة هذا، حضر ١٢٠٠ عضو شكلوا المؤتمر الوطني للقوى الشعبية. كان هذا المؤتمر يمثل تشكيلا حقيقيا لقوى الشعب المصرى، لأنه حضرت فيه ومثلت فيه كل قوى المجتمع المدني الفاعلة فيه، سواء في

مجالات التعليم، أو الاجتهاد الديني والفكري، أو الاقتصاد والتجارة والصناعة والزراعة والعمل إلى آخره.

ـ ولكن تعبير المجتمع المدني لم يكن قد ظهر في ذلك الوقت؟!

. . **هيكل:** لم يكن قد ظهر فعلاً، وإن كان تعبير المجتمع المدني كان موجودًا في أرض الواقع، وإن لم يكن قد تم النطق به.

أصل المشكلة وجوهرها أن مصر شكلت بعد ذلك بسنوات جمعيات آتية لها من الخارج، مستوردة من خارج الحدود، هي عبارة عن جمعيات مثقفين أو موظفين، وأنشأت لها كيانات خاصة، مع أنه كانت توجد فى مصر فعلا وقبل ذلك بسنوات بعيدة مؤسسات المجتمع المدنى.

نقابة المحامين فى مصر ـ مثلا ـ كانت وما تزال من أهم مؤسسات المجتمع المدني. نقابة المحامين كانت تقود التطور الاجتماعي في مصر. نادى الموظفين الذي خرج منه على ماهر وكل الناس التكنوقراط الذين قادوا فيما بعد ثورة ١٩١٩.

هناك فارق بين أن يتم اختراع مؤسسات المجتمع المدني وتسميتها ـ بعد اختراعها ـ مؤسسات المجتمع المدنى، أو أن تخرج لنا من تجليات الواقع. الفارق كبير بين الحالتين، في الحالة الأولى يصبح الأمر مجرد حلية توضع فوق صدر المجتمع، بينما أن المجتمع بطبيعة ظروفه يمكنه أن يفرز مؤسسات ـ صحيحة وواضحة ـ للمجتمع المدنى.

الغريب ـ مثلا ـ أنهم في الجامعة العبرية يدرسون اتحادات الحرف في مصر ودورها. وتجد أن أستاذا مثل جبرائيل باير كتب دراسة مهمة عن تنظيمات الحرف المصرية والنقابات. ثم يجيء عدد من المثقفين وينشئوا مؤسسات يسمونها مؤسسات المجتمع المدنى، نصفها جمعيات لحقوق الإنسان ويحضرون لها تمويلا من الخارج.

في حين أننا عندنا مؤسسات مجتمع مدني حقيقية نابعة من ظروفنا، وهي مؤسسات فعلية وفاعلة: نادى خريجى الجامعات، هل تذكره؟ دور النشر، روابط المرأة واتحادات العمال، ونقابات المهنيين، اتحاد خريجي التجارة والعلوم السياسية، والحقوقيون، والأدباء، والفنانون.

هذه الكتل الفاعلة في المجتمع المصرى، بالتحديد في مجالات الثقافة والفكر والاقتصاد والسياسة. كلها تفرز ممثليها الحقيقيين، وتطلعهم، وليس بالضرورة أن يكونوا في المجالات السياسية فقط.

إن الذي يقول الآن إنه يؤسس مؤسسات المجتمع المدنى ويشكل جمعية ما لاتكون لها علاقة بالقوى الحقيقية في المجتمع، ولكنه ـ فقط ـ يتمكن من تسجيلها في وزارة الشئون الاجتماعية، ويقول لك هذه مؤسسات المجتمع المدنى. إن هذا الكلام لا علاقة له بتجليات الواقع.

بينما نحن عندنا نقابات، مثل نقابة المحامين التي لعبت دوراً وطنيا ومهما من أجل حصول مصر على استقلالها، ولها دور مهم في تاريخ الحياة السياسية المصرية. إن مجرد إجراء انتخابات نقابة المحامين كانت من الموضوعات المهمة جداً التي يتوقف أمامها المجتمع المصري كله.

الحرف في مصر، الحرف ودورها في المجتمع المصري، أقصد الحرفيين. شاهبندر التجار، كان هذا تنظيما قائما في مصر. ثم جاءت الغرف التجارية بعد ذلك. من الشخصيات الكبيرة التي تتحدث عنها كتب التاريخ واحد مثل: السيد أحمد المحروقي شاهبندر التجار. عبد المجيد الرمالى رئيس الغرفة التجارية المصرية. هذه هي مؤسسات المجتمع المدني التي كانت قائمة في مصر، من قبل أن تعرف أوروبا هذه المؤسسات، ومن قبل أن توجد فى أمريكا نفسها في هذا العالم.

ـ ويعود الأستاذ إلى الميثاق!

. . **هيكل:** قلنا إننا كنا محتاجين أناس ممثلين حقيقيين للمجتمع المدنى. وهؤلاء الناس حضروا.

ـ والصياغة الأخيرة للمثياق؟!

. . **هيكل:** أنا كتبتها. ولكن بعد أن تكلمنا عما سنفعله، وعن تصوراتنا. ماذا نريد من المرحلة القادمة؟ كل هذا كتبته، ولكنه ليس من اختراعى.

ـ فهل كان من إملاء جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل:** ولا هذا يمكن قوله.

ـ كيف تم الأمر إذن؟!

. . **هيكل:** كان حصيلة حوارات دائرة متراكمة ومتواصلة بين جمال عبدالناصر وبيني.

ـ وبيان ٣٠ مارس، خاصة أنه سبقته مظاهرات الطلبة المعروفة؟!

. . **هيكل:** البيان كتب بنفس الطريقة. كان هناك شباب خرجوا محتجين.

ـ كان الاحتجاج الظاهر والذي سمعناه ورأيناه على أحكام الطيران.

. . **هيكل:** هذا ليس صحيحا. كانت الأحكام هي المفجر، لم يكن خروج الشباب بسبب أحكام الطيران. واقع الأمر أن هؤلاء الشبان شعروا بحالة من التململ. إنهم شباب جمال عبدالناصر. خرجوا محتجين عليه، ولم يكن خروجهم ضده، وهناك فارق جوهري بين الأمرين. كانوا يطرحون أسئلة مشروعة: ما الذي حدث؟ وما الذي جرى؟! ثم ماذا بعد؟! كانت تلك أسئلة الطلبة فى المظاهرات. وقد تمت الإجابة عليها. وهذه كانت ظاهرة صحية.

- هل كان هناك قتلى في هذه المظاهرات؟

. . **هيكل:** في هذه المظاهرات كانت تعليمات جمال عبدالناصر شديدة الوضوح وبكل دقة ممكنة.

- لمن كانت هذه التعليمات؟!

. . **هيكل:** لشعراوي جمعة وزير الداخلية في ذلك الوقت. كانت التعليمات له: لا تطلق رصاصة واحدة. ويمكن أن تضع تحت هذه التعليمات ألف خط أحمر. كان جمال عبدالناصر يدرك ويعى تماما أنه أمام شباب متعب، ممزق، وأنه مهما كانت التجاوزات لا يمكن مقابلة المظاهرات بالرصاص، ولا حتى برصاصة واحدة.

- بعض هذه المظاهرات اتجه إلى مبنى جريدة الأهرام، ماذا جرى؟!

. . **هيكل:** فعلا. ومن سوء الحظ أنني عرفت فيما بعد، ولدي ما يثبت أنها كانت مرسلة لي من الاتحاد الاشتراكي العربي.

- الاتحاد الاشتراكي أم من التنظيم الطليعي؟!

. . **هيكل:** ومن التنظيم الطليعي أيضا. كان ذلك ردا على خلافاتي المشروعة معهم. يومها اتصل جمال عبدالناصر بى، وقال لي:

- أوعى تكون متضايق.

قلت له:

- أنا متفهم جدا. وأمامنا الآن ما هو أهم.

- ماذا جرى بينك وبين الشباب الغاضب في هذا الوقف بعيدا عن الفولكور الذي كتب وقيل؟!

. . **هيكل:** الذي حدث أننا فتحنا لهم الأبواب، أبواب الأهرام. وجاء

الشباب وتناقشوا معنا. وكان جمال عبدالناصر سعيداً جداً أن الشباب جاءوا إلينا وتناقشوا معنا.

وفيما بعد وأثناء مظاهرات الطلبة في ١٩٧١، ١٩٧٢ غضب الرئيس السادات عندما فتحنا أبواب الأهرام للشباب من أجل أن يتناقشوا معنا. مع توفيق الحكيم وحسين فوزي وأحمد بهاء الدين وعائشة عبد الرحمن ويوسف أدريس ولويس عوض. حوار واسع كان يجرى كل يوم. مع أن جمال عبدالناصر كان يتابع هذا الحوار يوميا. كان يسأل: عن الأجواء والقضايا التي تثار في الحوار المستمر. كان يتابع بكل اهتمام ممكن برغم مشاغله التي كانت بدون حدود وكان سعيدا به.

ـ مع أنهم يدعون أن خلفيته كانت عسكرية أساسًا؟!

. . **هيكل:** أنا أستغرب هذا الأمر كثيرا. كان جمال عبدالناصر عسكريًا واعيا بالتاريخ وصاحب رؤية إستراتيجية، ولهذا كان قادراً على أن يستوعب الكثير من الأمور المختلفة. كانت عنده القدرة على فهم واستيعاب جوهر الأشياء.

كان من مزاياه الجوهرية أنه حضر عن قرب وعاصر بشكل ما، أحداث سنة ١٩٣٥، كان ما يزال يذكر هذه الأحداث. لقد سمع عن فتحي رضوان ـ لأول مرة ـ في ١٩٣٥. وسمع عن نور الدين طراف في ظل نفس الأحداث. ولو لاحظت ستجد أن كل الذين جاءوا معه في وزارته الأولى، كانوا نجوم ١٩٣٥. رئيس المجلس التنفيذي مثلا: نور الدين طراف. وفتحي رضوان. إنهم نجوم هذه السنة الفريدة والمهمة في تاريخه.

كان الشباب في خياله هم الشباب المثقف، شباب الجامعات الذين خرجوا وفعلوا شيئا مهما في ١٩٣٥، التي يمكن تسمية ماجرى فيها أنه كان نصف

ثورة، وهي التي أرغمت ـ في واقع الأمر ـ كل زعماء مصر أن يتجمعوا، وإن كانت نتيجة هذا التجمع، قد جاءت خطأ، لأنها انتهت إلى توقيع معاهدة ١٩٣٦.

ـ وخطب عبدالناصر، كيف كنت تكتبها؟!

. . **هيكل:** بنفس الطريقة، كانت خلاصة حوار مستمر ومتصل. ستريح نفسك لو تمكنت من النظر إلى هذه العلاقة في إطارها الصحيح وملابساتها باعتبارها علاقة منفردة بين سياسي وكاتب. ربما كانت لها نماذج متماثلة في التاريخ، لكنها أيضا حصلت محض مصادفة.

لأنه من المؤكد أن الإنسان عندما ينسق ويخطط من أجل إقامة مثل هذه العلاقة، فلا يمكن أن تتم أبدا. إن عمل تخطيط، ووضع خطة خمسية من أجل إقامة علاقة من هذا النوع مسألة خاطئة. يخطئ من يفكر على هذا النحو؛ لأنه ببساطة ذاهب من أجل الكلام مع سلطة، لكن الأمر يختلف تماما عندما تقودك فكرة. والفكرة تصنع هذه الصداقة، في هذه الحالة يصبح الأمر مختلفًا.

ـ ماذا كانت مساحة الارتجال في هذه الخطب؟

ومتى كانت تتم؟! وهل زادت أم قلت مع تقدم العلاقة؟

. . **هيكل:** من المؤكد كانت هناك ارتجالات ومن الصعب حسابها بدقة.

ـ هل اشترك آخر معك في كتابة أي خطبة من هذه الخطب؟!

. . **هيكل:** لا. أعتقد أنه لم يحدث.

ـ بعيدا عن مصر التي جاءت بعد عبدالناصر، كيف ترى العلاقة بين الكاتب والسياسى؟!

. . **هيكل:** العلاقة بين رجل دولة ورجل قلم، علاقة لها نماذج أكبر وأشمل في التاريخ، مثلا علاقة مالرو وديجول، هل تعرف كيف بدأت هذه العلاقة؟ إن الأمور تعود إلى فرنسا بعد أن وقعت تحت نير الاحتلال الألمانى خلال الحرب العالمية الثانية. ديجول ذهب إلى لندن، وهناك فتح مكتبا صغيرا فى حجم هذا المكتب الذي نجلس فيه أسماه: «مكتب فرنسا في لندن».

في يوم من الأيام فوجئ ديجول بكاتب فرنسي يدخل عليه، يقول له: أنا أقف معك لأن روح فرنسا لا ينبغي لها أن تقهر.

كان هذا الكاتب هو أندريه مالرو.

الاثنان معا بقيا في المنفى مشردين ولا شيء معهما أبدا.

إن السياسي عادة ما يطرح سؤالا، يشكل الرد عليه بلورة لما يدور في ذهنه. إننا بنفس المقدار الذي نجد به هذا السؤال عند الصحفي أو الكاتب أو المفكر، نجده في نفس الوقت عند السياسى.

والأهم من هذا هي محاولة الإجابة عن هذا السؤال.

المحاورة الرابعة عشرة

غناء الثوار

كانت أم كلثوم هي الأقرب.

وعبد الوهاب كان نص.. نص.

أما عبد الحليم فقد كان نتاج ثورته.

عندما وجدت صلاح نصر وشمس بدران في بيت محمد عبد الوهاب.

كان عبد الحليم يرى الرئيس في أى وقت ولكنه لم يجر أى حوار معه.

كان عبد الوهاب مجدداً. ولكن أم كلثوم كانت أكثر أصالة.

أم كلثوم غنت للملك بالظروف، ولكن عبد الوهاب غنى للإنجليز بالضرورة.

إن كانت ثورة ١٩١٩ قد عاصرت سيد درويش وخلدها فى بعض أغانيه. وإن كان عرابى باشا قد سمع عن ألمظ وعبده الحامولى في زمانه. فإن زمن عبدالناصر قد ارتفعت فيه أصوات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وعبدالحليم حافظ.

إنهم أهم مطربى مصر والوطن العربى والأمة الإسلامية والشرق الأوسط فى القرن العشرين.

أم كلثوم وعبد الوهاب غنيا قبله وله وبعده، ولكن عبد الحليم حافظ كان صوته الفنى وكان مطرب يوليو وعبدالناصر رقم واحد.

ـ كيف كانت علاقته بأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب؟ فكل حاكم يحرص على أن يعرف عن قرب نجوم مجتمعه، وأهل الطرب يكونون فى المقدمة دائمًا؟ فهم يسعدون الناس، والقرب منهم يجعل صورة الحاكم فى الذهنية العامة أكثر من إنسانية؟

. . **هيكل:** كان جمال عبدالناصر يحب أم كلثوم بدون حدود، ولكن موقفه العاطفى والإنسانى من محمد عبد الوهاب كان له إطاره.

ـ وما السبب فى هذا التباين؟!

. . **هيكل:** أم كلثوم كانت فلاحة مصرية من عمق القرية، وعبد الوهاب قاهري من قاع الحارة، وهناك خلاف بين الحالتين. كل منهما له أصله

وأصالته. في يوم كنت في بيت محمد عبد الوهاب، فوجئت بوجود صلاح نصر وشمس بدران عنده. أنا أبديت استغرابي من أن محمد عبد الوهاب يعزم الاثنين عنده بالذات، وأن يكونا معًا عنده في بيته.

عبد الوهاب كان شديد الذكاء. لمح استغرابي ودهشتي. بعدها قمت من أجل الكلام في التليفون، فجاء عبد الوهاب ورائي، عبد الوهاب سألني عند التليفون: هل استغربت من وجودهما؟! قلت له: لا. فسألني: قولي ياخويا مش الاتنين دول همه بالضبط الشديد والقوى، ثم استدرك شارحًا: أنت تعرف أنهم بالبلدي يقولون عن إنسان الشديد. أو القوى. وأنا أقول عنهما الاثنين معًا: الشديد والقوى.

ضحكت جدًا من كلامه. وفي اليوم التالي حكيت الحكاية لجمال عبدالناصر فضحك منها وعليها. أنت لا تتخيل - مجرد تخيل - هذا البلد بطبقاته وبمثقفيه، وأن المثقف المصري مستعد أن يساير أي سلطة إلى أي درجة، إنه لم يتخلص من تراث أمراء الطبلخانات في زمن المماليك.

- ربما كان جمال عبدالناصر أكثر حاكم غنى له المصريون في العصر الحديث. لم يحدث هذا منذ أن أبدع المصريون أول وآخر ملحمة شعبية مصرية خالصة عن الظاهر بيبرس. والمطربون كانوا في مقدمة من غنوا عن جمال عبدالناصر. كيف خرجت هذه الأغاني إلى الوجود. وماذا كان موقفه منها؟!

هيكل: هل تعرف أنه كان يعترض وبشدة على وجود اسمه في أي أغنية، وكان هذا من ثوابت موقفه من هذه القضية. إن المسألة أبعد من الغناء، لأنني أتصور إنه من أجل أن تعرف طبيعة روح العصر - أي عصر - وعلاقة الزعيم بالثقافة، إن ذلك لا يمكن الإمساك به سوى عن طريق النغم وحده.

لا شيء يمكنه أن يكشف أي نظام إلا نوع النغم السائد في عصره. هذه

قاعدة لا تقبل المناقشة أكدتها ظروف المجتمعات وحوادث التاريخ؛ لأنه من الممكن جداً أن كاتبًا يتم الضغط عليه فيكتب، ومن الممكن أن يكتب رجل مسرح مسرحية، ومن الممكن أن شاعراً يقول شعراً تحت ضغط ذهب المعز أو حتى خوفًا من سيفه، هذا إن لم يغره ذهبه.

أمير الشعراء، أحمد شوقى. قال:

الملك فيكم آل إسماعيلا..

أبى مازال بينكمو يظل ويظل النيلا

كلام كثير من هذا القبيل يستطيع الشاعر أن يقوله، حتى لو كان ضد قناعته.

لكن - فى المقابل - هناك الأمر الذى لايخطئ أبدًا، إنه صوت الموسيقى، إن وصلت هذه الموسيقى إلى قلوب الناس. فأنت أمام عصر فيه إبداع فكرى، أو على الأقل قابل للإبداع الفكرى؛ لأن الصوت والنغمة إذا وصلت إلى الناس، فتكون صادقة. إن الشيء الهائل والذى أعتبره معياراً حقيقيًا لقياس درجة العلاقة بين الثورة والثقافة والإنسان العادى، فى مثل هذه الفترة من عمر التاريخ المصرى، إنه صوت الموسيقى.

- ولكن مبدعى الموسيقى يمكن أن يحترفوا أيضًا، ويبدعوا ما قد يتناقض مع قناعتهم؟!

.. **هيكل:** صعب جداً أن يحدث هذا. الموسيقى يمكن أن تصل إلى الناس وتؤثر فيهم إذا جاءت من إبداع حقيقى ودون خوف أو رهبة أو رغبة أو إكراه. حتى الآن تظل فى الوجدان: والله زمان ياسلاحى، وكذلك: الله أكبر فوق كيد المعتدى، ووطنى حبيبى الوطن الأكبر، وياجمال ياحبيب الملايين.

إن هذه أغـان عظيـمة ، وإن كـانت لاتذاع الآن ولا تـعرض فى التليـفزيون . لكنها كلها باقية فى وجدان الشعب العربى ومترسبة فى ضميره . لكنك عندما تسمعها اليوم تهتز من الأعماق ، ولذلك فإنها ممنوعة بقرار سياسى وهذا المنع لا يتم بالصدفة أبداً . بعد جمال عبد الناصر جرت محاولات مستميتة لصنع لحن وطني يبقى ويعيش ويتردد ، وكان النجاح محدودا ، كل ما كان يمكن أن يفعلوه تم القيام به ، فعلوا المستحيل كما يقولون ، ولم يصلوا إلى شىء ذى قيمة .

فى عصر جمال عبدالناصر لأن الغناء عبر عن حالة تواصل حقيقى بين الفن والثقافة والإنسان والحياة العامة ، لهذا وصل إلى الناس ، ليس في مصر وحدها ، ولكن في الوطن العربي كله ، ولم يكتفوا بالاستماع ، ولكن كلهم غنوا أيضا .

ـ يمكن القول إن المبدعين الكبار كانوا فى زمن عبدالناصر . كلمة ولحنا وأداءً!

. . **هيكل :** من الصعب القول إن الناس كانت موجودة فى هذا العصر والآن لم يعد لهم وجود . أقول لك رداً على هذا السؤال : إن كمال الطويل مازال يحيا ، عبد الحليم حافظ كان موجوداً . عاصر سنوات بعد جمال عبدالناصر . أم كلثوم عاصرت كذلك . وعبد الوهاب أيضا . رياض السنباطى مات قريبًا جداً . محمد الموجى مات قريبًا جداً . إن السؤال هو : هل عرف لهم وأذيع عنهم سواء فى المجال الوطنى أو غيره . إنهم قدموا فنًا وصل إلى الناس بعد رحيل جمال عبدالناصر عن عالمنا؟!

لقد ثبت أن الفن يزدهر ، والفنانون يبدعون ويتجلون ويعبرون عن دورهم فى شىء صادق . خذ مثلاً مجتمعات الاستبداد الشرقى ، الموسيقى تعمل دورها فى مواجهة المستبدين والطغاة .

وهذا الدور لا تضاهى فيه أى وسيلة أخرى من وسائل وأدوات الثقافة ،

من تعبيرات الفن والثقافة تذكر دائمًا الموسيقى باستمرار باعتبارها ترمومتر الشعوب فى كل زمان ومكان.

فى ثورة ١٩١٩ سمع الناس ألحان وإبداع وموسيقى وصوت سيد درويش الذى تجلى مع الحدث الكبير، ثم نامت المسائل بعد ذلك. ومحمد عبد الوهاب قام بحركته التجديدية الأولى وكانت حركة مبدعة، ثم بعد ذلك نامت الأمور.

عندما جاءت ثورة ٢٣ يوليو حدث توهج، أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب كانا موجودين قبل الثورة، وكانا يغنيان، ولكن بعد الثورة بدأت الناس تسمع لهما أكثر من ذى قبل. لم يتجل صوت أم كلثوم حتى فى أغانيها التى كانت موجودة من قبل الثورة، لأنها لم تسمع بالقدر الكافى، وجمال صوتها بدا فى عصر معين، الناس كانت متفتحة فيه لتقبل أشياء جديدة. وعندما دخلت أم كلثوم هى وعبد الوهاب، وهى والموجى، وهى وعبدالحليم، وجد الجميع أنفسهم أمام عصر انبثاق غريب جدًا ضاهى زمن سيد درويش وثورة ١٩١٩.

ـ قلت لى إن عبدالناصر اتخذ قرارًا ألا يرد اسمه فى أى أغنية عنه وعن عصره، ومع هذا نجد ياجمال، وناصر، وعبدالناصر فى معظم أغانى عصره كيف جرى هذا؟

. . هيكل: فى البدايات الأولى تلاحظ أن الغنوة التى كتبها كامل الشناوى لأم كلثوم والتى يقول فيها: وعندى الجمال وعندى جمال. كان عبدالناصر معترضًا على هذه الأغنية جدًا، اعتراضه كان قائمًا على وجود اسمه فيها، ولكن بعد ذلك المسائل فلتت.

لكن لو تلاحظ أن أغانى السويس كلها لم يكن فيها اسم جمال أو ناصر أو عبدالناصر، مثل والله زمان يا سلاحى.

ـ ولكن أغنية قلنا حانبنى وآدى احنا بنينا السد يرد فيها اسم جمال عبدالناصر صراحة؟!

. . **هيكل :** فعلاً . عندما غنى عبد الحليم حافظ : قلنا حانبنى وآدى احنا بنينا السد العالى . وصلنا إلى عبارة : كلمة أطلقها جمال .

ـ متى كان ذلك؟!

. . **هيكل :** كان سنة ١٩٦٠ . عندما تم وضع حجر الأساس لمشروع السد العالى ، والأغنية تم غناؤها بعد ذلك .

ـ كيف كان جمال عبدالناصر مصممًا على عدم ذكر اسمه فى الأغانى ، ورغم هذا أفلتت الأمور بعد ذلك؟!

. . **هيكل :** لأنه بعد السويس وبعد السد العالي وبعد الوحدة مع سوريا أصبحت المسألة طوفانا . فى البدايات الأولى عندما كتب كامل الشناوى الأغنية التى غنتها أم كلثوم . جمال عبدالناصر تكلم بنفسه مع أم كلثوم ، قال لها أنا ضد ذكر اسمى ، فجرى تغيير المقطع . قالوا : وعندى الجمال وعندى جمال . وفى الآخر أصبحت الصيغة شبه مقبولة .

ـ كيف كانت مكتوبة من قبل؟!

. . **هيكل :** كانت مكتوبة من قبل وعندى جمال وعندى جمال . ولكن تحويل الكلمة الأولى إلى الجمال أصبحت الصيغة شبه مقبولة ، واعتبر أن ذلك يشكل حلاً وسطًا .

ـ هل تعرف جمال عبدالناصر على أحد من أهل الفن بشكل شخصى وإنسانى؟ ومن كان الأقرب إلى قلبه؟!

. . **هيكل :** كان جمال عبدالناصر ـ بالحس الإنسانى وحده ـ يتعامل مع

أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب. أم كلثوم مثل كل الفلاحين واضحة وصريحة. عبد الوهاب كان ابن مدينة، ابن حى باب الشعرية. أم كلثوم كانت ابنة قرية طماى الزهايرة بالدقهلية. عبد الوهاب كان قاهريًا بكل دلالات القاهرة، فى شخصية القاهرة.

عبد الوهاب لم يكن يبدى آراءه بوضوح. ولكن أم كلثوم كانت على العكس؛ ربما لأنها رأت جمال عبد الناصر مبكرا ودخلت بيته، وهو لأنه كان معجبًا بها، ولأنها من الناس الذين تحمسوا للثورة مبكراً، ورأت جمال عبدالناصر «من بدرى»، ودخلت بيته، ولم تكن هناك حواجز بالنسبة لها.

ـ كانت أم كلثوم تتصرف بتلقائية وببساطة. ولكن ماذا يفعل عبد الوهاب عندما يقابل جمال عبدالناصر؟!

. . **هيكل:** سأحكى لك قصة جانبية، ربما توضح تباين الشخصيتين.

عندما اختلفت مع الرئيس أنور السادات، وعرف الكل ما جرى. فى اليوم التالى لخروجى من الأهرام اتصلت بى أم كلثوم، قاصدة إشعاري بالوقوف معي، وبأنها تريد أن تعبر عن ذلك، وقد وصلتنى رسالتها غير المباشرة فعلا، شعرت من هذا الاتصال أنها تريد الوقوف معى، وأنها تريد أن تعبر عن ذلك.

عبد الوهاب مثلا لم يفعل ما فعلته أم كلثوم. عبد الوهاب اختفى. لم أسمع صوته. وظل صمته مستمرا. إلى أن نشر فى الصحف أننى معروض علىّ منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام، وكان ذلك فى وزارة ممدوح سالم، التى اعتذرت عن دخولها. كلمنى محمد عبد الوهاب فى ذلك الصباح، قال فوراً، بعد السلام والتحيات والأشواق:

ـ أهلاً ياألف مبروك. بقيت وزيرنا تانى.

قلت له :

ـ يا محمد أنا اعتذرت .

قال لى :

ـ أيه يا خويا؟

قلت له :

ـ أنا اعتذرت عن الوزارة .

قال لى :

ـ يعنى أيه اعتذرت عن الوزارة؟!

قلت له :

ـ مش داخل الوزارة .

سألنى :

ـ فعلاً؟! فعلاً؟!

قلت له :

ـ فعلاً

ثم قال لى :

ـ غريبة قوى . إزاى كده؟!

قلت له :

ـ إللى حصل .

قال لى :

ـ طيب .

ولم أسمع صوته بعد ذلك لسنوات .

ولا تستطيع أن تلومه ، فالرجل له عذره ، والظروف كانت صعبة . وهو قال لي فيما بعد ، عندما التقينا في عيادة طبيب أسنان مشهور : ياخويا أنت ورئيس الجمهورية بتتخانقوا وأنا دخلى أيه بقى؟ وضحكنا وانتهى الأمر .

ـ وعبد الحليم حافظ ، كيف كانت صلته الإنسانية بجمال عبدالناصر؟ وأين مكانه بين الاثنين؟!

. . هيكل : كان الرئيس جمال عبدالناصر يعتبره نتاج ثورة يوليو كاملاً ، وصوت الثورة ومطرب الثورة . مرة عمل عبد لحليم حافظ حاجة غريبة ولم يعرف كيف يتصرف فيها ، واجهها بحيرة كاملة .

كان عبد الحليم قد بدأ يسافر إلى الخارج ، وكان قد أصبح نجمًا ، وكان يسمع أن الرئيس يحب أربطة العنق كثيراً . عبد الحليم فى مرة جاء إلى بيت عبدالناصر وأنا كنت موجوداً . كان من عادته أن يصل إلى البيت ويجلس مع أولاد الرئيس الذين كانوا في سن الصبا فى ذلك الوقت . ويثير حالة من الفرح الإنسانى النادر فى كل مكان من البيت . كان يزيط ويهرج مع الأولاد ، وكان الرئيس يحبه جداً .

دخل عبد الحليم حافظ على الرئيس جمال عبدالناصر . وفى يده شيء ما . كان عبارة عن دستة من الكرافتات . عبدالناصر قال له :

ـ شوف يا عبد الحليم أنا حاآخد واحدة فقط . بس ما تعملهاش تانى أبدًا .

قال له عبد الحليم :

ـ طيب سيادتك اختار .

قال له جمال عبدالناصر :

ـ أنا حا آخد واحدة بالبخت دون اختيار .

عبد الحليم كان يمكنه أن يرى الرئيس جمال عبدالناصر فى أى وقت ، لكن لم تكن هناك حوارات حقيقية .

ـ وأم كلثوم ، كيف كانت حواراتها مع الرئيس عبدالناصر ؟ وفى أى الموضوعات ؟ وماذا كان يقول لها الرئيس ؟ !

. . **هيكل :** أم كلثوم كانت تجلس ، وتتكلم معه باندفاع وتلقائية فى كل الموضوعات التى يمكن أن تخطر على البال . تقول مثلاً : الدكتور الفلانى حصل له كذا . كانت تتصرف تصرف محاور حقيقى ، وتتكلم فى كل الأمور .

ـ هل كانت قد اكتسبت ثقافة في ذلك الوقت ، أم كانت ما تزال هى نفس الفلاحة التلقائية ؟ !

. . **هيكل :** إنها أم كلثوم التى لم يعرفها أحد أبدًا .

لقد تعامل الجميع مع النجمة الكبيرة . لكن المعرفة الحقيقية بها كانت من الأمور الغائبة . تستطيع أن تقول إن أم كلثوم قرأت الشعر . وقد أمضت سنوات عمرها الأولى وهى ترتل القرآن الكريم والتواشيح القديمة . لقد حفظت القرآن الكريم ، وقرأت السيرة النبوية ، وقرأت دواوين شعر كثيرة حتى تختار منها ما تغنيه ، أو ما يمكن أن تغنيه ، وساعدها فى ذلك مثقفون يقف في المقدمة منهم أحمد رامى .

ـ ولكنها لم تقترب من أحمد شوقى أشعر شعراء عصرها ، خاصة فى الفترة التى غنت فيها القصائد الشعرية ؟ !

. . **هيكل :** غنت له في حياته سلوا كئوس الطلا .

كان شوقى قد رآها فى سهرة رفضت فيها الاقتراب من الشراب ، ويبدو أن ذلك لم يعجب شوقى .

فى اليوم التالى ذهب إليها فى الصباح وقدم لها القصيدة، التى تبدأ: سلوا كئوس الطلا.. هل لامست فاها. وبعد ذلك مات هو.

لقد تكلمت مع شوقى مرتين أو ثلاثة، ولكن أحمد رامى كان رفيق عمر دائم لها. وإن كانت أم كلثوم قد قدمت لشوقي خدمة ضخمة جدا بما قدمته من قصائده فيما بعد. ابتداء من سلوا قلبي غداه سلا وتاب، وولد الهدى، وغيرها من الروائع.

ـ كان أحمد رامي عاشقًا رومانسيا. وقد صدرت في باريس رواية عن حالة العشق، تحولت إلى عرض مسرحي، ثم ترجمت إلى العربية في بيروت وعنوان الرواية: كان حلمًا من خيال فهوى!

.. **هيكل:** غير أنه لم يكن مجرد عاشق من طرف واحد. كان معلمًا ومثقفًا. أم كلثوم شافت وتعرضت لأناس كثيرين وذلك بحكم عملها. كانت موجودة فى أوساط ناس كثيرين، صحفيين، مثقفين، ناس من الدرجة الأولى. أم كلثوم تعرضت ثقافيًا لمؤثرات أولية، بدءًا من المؤثرات التقليدية وأولها ترتيل القرآن الكريم، وكانت لها تجربة عريضة فى الحياة.

مثلاً كانت تذهب إلى طبيبها الخاص، فيقول بعض الأمور عن المستشفيات والأوضاع التى فيها والعلاج والحلول المطلوبة؛ فتتكلم مع الرئيس حول هذا الأمر وتناقشه فيه. وكانت تلتقي بعض أقربائها من الريف وتسمع عن بعض الأوضاع وترى بعض الأوضاع وتعود من البلد، وعندها ما تريد قوله عن قريتها وعن الريف عموما، فتقوله للرئيس.

كانت تتكلم معه باحترام والحواجز موجودة وقائمة، وهذه الحواجز لم تكن مفروضة أو مطلوبة من الذين يذهبون للقاء عبدالناصر، خاصة الذين عرفوه بعد أن أصبح زعيما، بمعنى أنه لم تكن هناك تعليمات عند سكرتارية الرئيس، تطلب من الذين يقابلونه أن يعاملوا الرئيس بطريقة معينة، وأن

يتكلمـوا وفق إيقـاع مـعين، لا السكرتارية كـانت تفـعل هذا ولا رجـال البروتوكول، ومع هذا كنت تشعر أن الحواجز موجودة. إنها حواجز ذاتية ناتجة عن حالة الكاريزما التي كانت تشكل هالة حول عبد الناصر.

ـ هذه الحواجز كانت موجودة أيضًا بالنسبة لك؟!

. . **هيكل:** أنا كانت عندى أكثر من ميزة فى هذا السياق. لقد عرفته ـ كما قلت لك من قبل وأكرر ذلك الآن ـ عرفت جمال عبدالناصر مبكرًا جدًا. هذا أولا. وثانيًا: أن طبيعة اتصالاتنا جعلت هذه الاتصالات يومية. إنها تجربة من الصعب أن تتكرر.

ـ من منَ الفنانين كـان الأقـرب إليه غـير أم كلثـوم وعـبد الوهاب وعـبد الحليم؟!

. . **هيكل:** كان عبدالناصر معجبًا برياض السنباطى، وكان معجبًا بمحمد القصبجى. كـان عبـدالناصر سـمِّيعًـا. وعندما تكون هناك حفلة فى نادى الضباط، كـان يذهب من أجل السلام على الفرقة ويقف معهم. كـان يهتم بشكل خاص بالقصبجى، يحتضنه ويقربه منه، ويأخذه فى يده، وكان يفعل نفس الشيء مع رياض السنباطى، وكان يعتبرهما ثروة قومية.

من الأمور المهمة جدًا فى فكر ووجدان وضمير جمال عبدالناصر أنه عندما جاء يعمل، كـان يدرك بصورة قـوية جدًا تأثير مصر العربى، وكـان يعرف ما هى قواعد هذا التأثير. كان الفن فى مقدمة المقدمات من مراكز التأثير. وكانت مصر في زمنه تنفق على الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون فى مصر وبدون مقابل، حتى بعد هزيمة ٦٧ وكانت مصر تعانى اقتصاديا، وكانت قد بدأت محاولات لوقف الإنفاق فى هذا الاتجاه، أو على الأقل التقليل منه، ولكنه رفض هذا تماما.

ـ لقد بدأت علاقة أم كلثوم مع رجال يوليو بحادثة غريبة، عندما منع رجال يوليو إذاعة أغانيها بحجة أنها قد غنت لفاروق فى العهد البائد؟!

. . **هيكل:** فتحى رضوان خطر له ذلك، كمجرد فعل عفوي. وجمال عبدالناصر أوقف هذا الكلام بمجرد علمه به. أم كلثوم كانت قد غنت للملك فاروق فى اليوم الذى منحها فيه نيشان الكمال. ما زلت أذكر هذا اليوم جيداً. كانت من المفروض أن تغنى فى النادى الأهلى، وكان صديقك العزيز «ضاحكا» فكرى أباظة الذى كان من مجانين أم كلثوم، موجودا فى النادى الأهلى فى هذه المناسبة.

وأم كلثوم كانت تذهب إلى النادى الأهلى من أجل خاطر فكرى أباظة. كانت عندها صداقات غريبة فى حياتها. كانت هى وحدها التى تعرف السبب فيها وسر حرصها عليها. المرة التى غنت فيها أم كلثوم للملك، كانت قد ذهبت للغناء فى النادى الأهلى. وغنت أغنية: الليلة عيد ع الدنيا سعيد. عز وتمجيد. وأنت حبيبى.

ـ الأغنية التى عنوانها: حبيبى يسعد أوقاته؟!

. . **هيكل:** القصة الداخلية للقصة كما يقولون.

إن مصطفى أمين قال لكريم ثابت إن أم كلثوم ستغنى فى النادى الأهلى. وستصبح عملية لها مردود شعبى جدا، لو حضر الملك ومنحها وسام الكمال. أم كلثوم كانت ستغنى فى النادى الأهلى بصورة طبيعية جداً. وجرى ترتيب الأمور. ثم ذهب الملك إلى النادى الأهلى، ودخل الملك أثناء الغناء. أم كلثوم غنت: عز وتمجيد. تسلم وتدوم. وبدلا من أن تقول: وأنت حبيبى، قالت: وأنت مليكى.

ـ ولكن أم كلثوم كانت تعرف مسبقا أنها ستحصل فى هذا الحفل على نيشان الكمال؟!

.. **هيكل:** فعلا. كان فكرى أباظة قد أبلغها بذلك مسبقا، ويومها جاءت بأحمد رامى، وهو الذى غير وأنت حبيبى لتصبح وأنت مليكى.

إن الفارق بين أم كلثوم وعبد الوهاب فى الحقيقة كبير. لم يحدث أن أم كلثوم غنت للإنجليز أبدا. عبد الوهاب غنى للإنجليز ربما بالضرورة، وأنا استمعت إلى هذه الأغنية مرات كثيرة. وهي قصيدة أحمد شوقى التي يقول فيها:

أعلى الممالك ماكرسيه الماء

وما سياسته بالحق شماء

ياجيرة المانش حلاكم أبوتكم

ما لم يطوف به الآباء أبناء

وهى قصيدة قالها أحمد شوقى عن إنجلترا فى الحرب العالمية الأولى. وهذه الأغنية عملتها الإذاعة المصرية التى كان يديرها سعيد باشا لطفى. وأظنه كان صاحب اقتراح غناء القصيدة. وقبول عبد الوهاب غناءها لايؤثر هذا في مكانة عبد الوهاب، ولا تصح محاكمة عمالقة الفن بمعايير السياسة ومتغيراتها.

قد لا يعرف أحد أن جمال عبدالناصر هو الذى دفع أم كلثوم وعبد الوهاب إلى اللقاء الفنى معًا. وعندما طلب عبد الحكيم عامر ذلك منهما فى نادى الضباط، لم يكن الأمر ولا الفكرة صادرة من عبد الحكيم عامر، ولكنها كانت رغبة جمال عبدالناصر.

وبمناسبة هذه الأغنية، جاءت المناسبة الأولى التى أثنى فيها جمال عبدالناصر على كمال الملاخ. وجرى هذا يوم أن أذيعت أغنية محمد عبدالوهاب وأم كلثوم، وهى أغنية إنت عمرى، وهو الحدث الذى سمى لقاء السحاب بين العملاقين.

كمال الملاخ كتب نقدا حول هذا العمل الفنى، كان عبارة عن تقييم لهذه الأغنية. قال فى هذا التقييم إن كل مقطع من الأغنية جرى تلحينه بطريقة مختلفة عن المقطع الآخر، كأنها بهذا تصبح فى النهاية خمس أغان؛ لأنها عبارة عن خمسة مقاطع.

فى يوم نشر هذا الكلام اتصل بى الرئيس، وقال لى: كمال الملاخ دا بيفهم.

لكن من المؤكد أن عبدالناصر هو الذى دفع الاثنين من أجل اللقاء الفنى معا، وأنه هو صاحب هذه الفكرة، وهو الذى وقف وراءها حتى خرجت إلى الوجود. الفكرة كانت سابقة على أغنية أنت عمرى، كانت مبكرة كثيرا، وأم كلثوم كانت تحاول «الزوغان» ومحمد عبد الوهاب أيضا كان يحاول التهرب. محمد عبد الوهاب كان خائفا، وهى كانت امرأة «وحْش»، لم تكن خائفة، ولكنها لم تكن ترغب فى أن يتم هذا اللقاء.

ـ وقصة منعها. هل كان يملك فتحى رضوان أن يمنعها بمفرده؟!

.. **هيكل:** فتحى رضوان كانت عنده بعض التصورات الخاصة. وفتحى رضوان كان رجلا هائلا فى أمور كثيرة، كان أكثر من ممتاز، لكن فتحى رضوان ربما كان متأثرا بمقولات إن غناء أم كلثوم قد يمثل نوعا من المخدرات.

ـ لم يكن فتحى رضوان وحده الذى يقول هذا الكلام؟!

.. **هيكل:** فعلا، كانت هناك مدرسة تقول هذا الكلام، إنها مدرسة الوطنية الصاعقة والصارخة، التى ترى أن مثل هذا الغناء يخدر الشعب ويلهيه عن قضاياه الأساسية، كان هذا أيضا رأى فتحى رضوان الشخصى ومجموعة معه، ولكنه لم يصبح اتجاها فى الدولة. وقد حاول التقليل منها، وليس منعها بصورة نهائية.

أيضا لم يكن قادراً على أن ينسى لها حصولها على نيشان الكمال من الملك فاروق وغناءها له: و«أنت مليكي». هذا مبرر يمكن أن يكون مفهومًا من وجهة نظره الشخصية لإغلاق الإذاعة المصرية فى وجهها.

أعتقد أن ذلك كان من الأمور المؤلمة لجمال عبدالناصر، وإن لم يكن قد عبر عنها بشكل واضح أنه لم يكن قادرا على استيعاب، أو تصور فكرة القطيعة والانقطاع مع الماضى. لم يكن هذا يمثل وجهة نظره.

لكن على آية حال فتحى رضوان أو آخرين من الحزب الوطنى القديم، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد، انطلاقا من منطق الوطنية بمفهومهم لها، كان رأيهم أن أم كلثوم تطيل وتعيد وتزيد فى الغناء طول الليل كله، وهذا يتم قضاؤه فى كلام فارغ يمنع الناس من الإجادة فى العمل فى اليوم التالى، برغم أن هذا العمل شديد الأهمية بالنسبة للناس، بل ربما كان مبرر وجودهم فى الحياة نفسها.

أذكر فى أحد المرات أن عبد الناصر قال لها - ربما بتأثير هذه الدعاوى التى كانت كثيرة - وكان الجو العام يمكن أن يساعد على انتشارها. قال لها مرة:

- ليه ثلاث وصلات. ما تخليهم اتنين بس.

- وماذا كان رد فعلها على الطلب؟!

.. **هيكل:** لم تتضايق من الكلام معه فى هذا الموضوع، كانت سعيدة. ويمكن القول إن الريس كان غاوى غناء أم كلثوم، وتلك مسألة أكثر من مؤكدة.

- هل عاصرت اللقاء الأول بين أم كلثوم وعبدالناصر؟!

.. **هيكل:** لا. لم أحضره.

- هناك من كتب وقال إن هذا اللقاء تم قبل الثورة.

. . **هيكل:** لا ، لم يحدث أبدًا .

ـ يقال أم كلثوم غنت خصيصا للضباط العائدين من فلسطين؟!

. . **هيكل:** ما حصل بالضبط ، أن أحدهم أرسل خطابا .

ـ من الذى أرسل هذا الخطاب؟!

. . **هيكل:** كان أحد ضباط الفالوجا . طلب فى هذا الخطاب إذاعة أغنية «رق الحبيب» وأذيعت هذه الأغنية فى برنامج ما يطلبه المستمعون ، وكانت تماضر توفيق هى التى تقدم البرنامج . وجمال عبدالناصر لم يكن هو الذى أرسل هذه الرسالة ، لكى يطلب سماع هذه الأغنية بالذات . الذى أرسل الرسالة كان ضابطا آخر . وأذيعت الأغنية مهداة إلى ضباط الفالوجا .

بعد ذلك ، وعند عودة ضباط الفالوجا إلى القاهرة ، وكان ذلك فى يناير أو فبراير أو مارس سنة ١٩٤٩ ، أم كلثوم كانت عندها حفلة ، فدعت إلى هذه الحفلة من ضباط الفالوجا الذين كانوا عائدين من الحصار ٣٠ أو ٤٠ ضابطًا . وأنا غير متأكد أن جمال عبدالناصر كان منهم أم لا ؛ لأننى لم أكن فى مصر فى ذلك الوقت . كنت أغطى انتخابات اليونان .

ـ تحدثنا مطولا عن علاقة أم كلثوم بجمال عبدالناصر . ولكن ماذا عن علاقتك أنت بها وعلاقتها هى بك؟!

. . **هيكل:** أم كلثوم كانت صديقة وهذا يكفى . يوم زواجى ، وأنا لم أكن أحب الكلام عن نفسى ، وألتزم فى حياتى بمبدأ الفصل التام بين العام والخاص ، ولكنك عندك إصرار على أن تدفعنى إلى الحديث عن نفسى .

يوم زواجى ، أم كلثوم أرادت أن تحيي فرحنا ، والمشكلة إنه لم يكن هناك احتفال ، لأننا نحن الاثنين لا نحب حكاية الأفراح ، واقترحت هدايت إنه إذا أرادت أم كلثوم أن تهدينا حفلا ، فليكن لصالح جمعية ، وهي جمعية النور

والأمل، التي كانت عضوا نشيطا فيها، وكانت تهتم بالفتيات الكفيفات. أقيمت الحفلة التى أحيتها أم كلثوم فى سينما راديو. جلسنا في الصف الأول. كنا أصحاب الحفل طبعا. أخذت هدايت وذهبنا إليها - إلى أم كلثوم طبعا - بعد الوصلة الأولى فى الاستراحة، فقالت لي:

- اسمع بقى. أنت قعدت الوصلة بحالها. أنا عارفاك بتتعذب ياولداه.

قلت لها:

- أنا مستمتع جدا.

فقالت لي:

- معلهشى. علشان خاطرى روح بقى. كفاية عليك الوصلة الأولانية.

قلت لها:

- حاضر.

كنت قد سمعت بما فيه الكفاية فى هذه الوصلة، وكانت هى تعرف صعوبة الاستمرار بالنسبة لى، خاصة عندما تكون الأغنية الواحدة ساعة ونصف ساعة أو ربما ساعتين.

- طلب منك جمال عبدالناصر - وأنت وزير الإعلام - الاهتمام بمطربة جديدة كان اسمها عفاف راضى، لمواجهة الظاهرة الفيروزية؟! ما هى الحكاية؟!

. . **هيكل:** جمال عبدالناصر كانت تلفت نظره أى موهبة تظهر فى أى مكان من العالم غير مصر، ولم تكن عنده شوفينية، ولا أحاسيس أو مشاعر أو مواقف موجهة ضد الوطن العربى؛ فعروبة جمال عبدالناصر وقوميته لا يرقى إليهما الشك، ووقوفه ضد دعاوى الفرعونية فى مصر، أيضا مسألة مؤكدة.

وموقفه من المواهب التى قد تظهر فى الوطن العربى لم يكن غيرة، تلك الغيرة الإنسانية التى قد نفهمها نحن. عبدالناصر كان عنده إعجاب حقيقى بفيروز، لم يكن يستطيع أن يخفى إعجابه بفيروز، ووديع الصافى، كانت هناك أصوات كان يسمعها ويحبها بدون حدود.

كان من أمنياته أن يكون عندنا هنا فى مصر لون من الغناء، الذى هو لون فيروز ووديع الصافى حيث صوت الجبل. كان يحلم بوجود هذا الصوت فى مصر.

وقد حدث أن سمع جمال عبدالناصر بالصدفة البحتة عفاف راضى وهى تغنى.

كان من عادة جمال عبدالناصر عندما كان يسافر إلى خارج مصر، أنه كان يفتح الراديو على القاهرة دائما وأبدا، ويستمر هكذا طوال الوقت، مهما كان المكان الذى نكون فيه عادة. وكان يستمع إلى أى مواد من راديو القاهرة، بصرف النظر عن كونها أعجبته أم لا.

حتى عندما يكون فى عمل، أو يتناول الطعام، أو فى فسحة. تكون إذاعة القاهرة فى الخلفية، سواء كان فيها غناء أو دراما، أو مواد سياسية. المهم أن يكون مع القاهرة والسلام.

يومها لفت جمال عبدالناصر نظرى إلى صوت عفاف راضى. قال لى إنها موهبة. صوتها فيه حاجة وعينة من فيروز، ولو أن أحدا اهتم بيها فى الإذاعة. ووفروا ليها ملحنين كويسين يمكن تصبح عفاف راضى فيروز أخرى. فأرجوك تهتموا بيها. ثم عدنا وحدثت أمور أخرى وجدت ظروف مغايرة.

ـ وصوت وديع الصافى بالنسبة لجمال عبدالناصر؟!

.. **هيكل:** كان جمال عبدالناصر معجبًا به. كان يرى أنه صوت فيه قوة

الجبل، وعـذوبة الترتيل الكنسى الذى يكون لـه إيقـاع ورنين. كـان جمـال عبدالناصر يعتبر أن هناك مركزين للحيوية الفكرية والفنية فى الوطن العربى: القاهرة وبيروت. كان جمال عبدالناصر يعتقد أن الشام تصب في بيروت في النهـاية، وأن الأردن والخليج تصب في بيروت، وأن شـمال إفـريقيـا ووسط إفريقيا وجنوبها والسودان تصب فى القاهرة.

إن تفاعل وتلاقى العاصمتين مع بعضهما، كان فى اعتقاده يمكن أن يحدث المعجزة؛ ولذلك كان يحب أشياء كثيرة لبنانية.

الكتـــاب السادس

الرئيس والأدباء

المحاورة الخامسة عشرة

الوعي العائد..

توفيق الحكيم من أعلى وسام إلى الهجوم على عبد الناصر..

اتصل بي السادات وأبلغني بكتاب الحكيم. سألت الحكيم عن الكتاب فأنكر.

كذب عليَّ وأنكر..

طعنة الصديق. جملة قالها هيكل للحكيم. لم يكن يعرفها أحد. ووجدها في كتابه.

. . وسط كل هذه التفاصيل .

تبقى قصة توفيق الحكيم وجمال عبدالناصر ، من أهم هذه القصص وأكثرها قدرة على الدلالة .

ما فعله عبدالناصر من أجل الحكيم ، وما كتبه الحكيم بعد ذلك عن عبدالناصر . حيث كان أول من هاجم عبدالناصر بعد رحيله .

ثم قصته معك . وقصتك معه . من خلال البعد الشخصى والإنسانى فى التعامل . فهذه القصة لاتتم فى منتصف المسافة فقط . ولكنها كانت نقطة ارتكاز أساسية فى هذه العلاقة .

من المهم معرفة أين ينتهى الخاص ، وأين يبدأ العام فى هذه الحكاية والعلاقة .

ثم إن صلتك بالحكيم بدأت حتى قبل تجربة الأهرام وقيام الثورة .

واستمرت هذه الصلة حتى رحيل توفيق الحكيم عن عالمنا . .

إن هذه القصة تقول الكثير عن صعود وهبوط المثقف فى هذا الزمان الصعب .

إن هذه الصلة ، وما جرى خلالها من الوقائع ، تصلح لأن تكون فصلا خاصًا بها كحالة استثنائية .

ـ نمسك ببداية قصة توفيق الحكيم مع الثورة، التى تبدأ بموضوع التطهير؟!

. . **هيكل:** أولا: التطهير لم تقم به ثورة يوليو، البداية كانت من وزارة على ماهر، وأكملته الوزارات التى جاءت بعدها. هذا التطهير جاء على عدة مراحل، كان يقال إن هناك موظفين فاسدين لابد من إخراجهم، وهناك موظفين آخرين غير فاسدين لكنهم لايصلحون للعمل، كل من تعدى سن الخامسة والخمسين يمكن تسوية معاشه ويذهب وتحل المشكلة.

فى هذا الجو المحموم حيث يخرج أناس، ويدخل آخرون، وجدت توفيق الحكيم يحضر إلىّ فى يوم من الأيام حيث دخل علىّ مكتبى. كان ذلك وأنا فى أخبار اليوم فى أواخر سنة ١٩٥٣؛ لأن قرار توفيق الحكيم كان فى يناير ١٩٥٤، عندما جاء إلىّ الحكيم كنا فى نوفمبر أوديسمبر ١٩٥٣؛ لأن كل ما جرى حول هذه القضية كان فى منتصف سنة ١٩٥٣، وكان جمال عبدالناصر قد دخل الوزارة، حيث كان نائبًا لرئيس الوزاراء، لكن من الواضح أنه كان صاحب القرار والكلمة والرأى.

ـ هل كانت هناك معرفة سابقة بينك وبينه؟!

. . **هيكل:** لقد كان توفيق الحكيم زميلى فى أخبار اليوم، كانت بيننا علاقة قديمة جدا عندما ذهبت أنا إلى أخبار اليوم كان هو سيحضر إليها، هذا الكلام جرى فيما بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ .

كان توفيق الحكيم موجودا معنا فى أخبار اليوم، وكان كاتبًا ومفكرا كبيرا ودمه خفيف، كانت بيننا علاقة غريبة جدا، هو كان مبهورا بى من ناحية، وأنا كنت مبهورا به من ناحية أخرى، أنا كنت مبهورا بالأديب والفنان وهو كان مبهورا بالصحفى.

أذكر أننا فى يوم من الأيام ـ وأنا أذكر هذه التفاصيل حتى أجعلك تعيش

فى هذه الأجـواء ـ وأنت الذى سـألتنى عن أصل عـلاقـتى بالحكيم وإلى مـتى تعـود فى هذه الظروف أنا لم أكن مـتـزوجـا ، وتوفـيق الحكيـم أيضـا لـم يكن متزوجا .

كان مصدر إعجابه بى أننى أتحدث وأعمل وأذهب إلى أكثر من مكان ، كان دائما يقول لي الفارق بينى وبينك هو الفارق الذى بين النملة والنحلة ، النمل يحفر تحته ، والنحل ـ الذى هو أنت وكـان يقصدنى بذلك ـ يطير ويحلق فى الأجواء .

كان قد قرأ لى بعض التحقيقات من تحقيقاتى الأولى ، وكـان مهتـما بهـا ، وذلك عندمـا سـافرت إلى الحـرب الأهليـة فى اليـونان وغطيت ثورة مصـدق والانقـلابات السـورية وحـرب فلسطين ومـا جرى فى كـوريا ، وتحـقـيـقـات الكوليرا فى صعيد مصر . . توفيق الحكيم كان يرى هذا من الأمور التى توشك أن تفـوق الخيـال ، أنا أتحـدث كل يوم وهـو يميل إلى السكون وعـدم الحـركـة والتأمل .

أنا كنت أقضى حياتى كلها فى أخبار اليوم ، ولكن توفيق الحكيم كان يحضر فى بعض الأيام فقط ، وفى هذه الأيام التى كان يحضر فيها مـاذا كنا نفعل؟ كنا نخرج فى كل يوم من أجل الغداء فى مطاعم وسط القاهرة معـا ، ونذهب إلى السينما حفلة من ٣ إلى ٦ ، ثم أعود أنا مرة أخرى إلى أخبار اليوم وهو يذهب إلى منزله .

فى ذلك الوقت ، كانت أخبار اليوم فى الدور السابع من عمارة شركة مصر للتأمين الموجودة فى شارع مصطفى كامل ، هل تعرف مكانه الآن؟

ـ هل هو شارع قصر النيل الآن؟

. . **هيكل :** فعلا . كـان المكان عبـارة عن سطوح وجرى تقفيلهـا ، وتوفـيق

الحكيم وضع قاعدة جيدة من أجل هذه العزومات، فى يوم أتحمل أنا تذاكر السينما، وهو فى نفس اليوم يتحمل الغداء، وفى يوم آخر يكون علىّ الغداء ويكون عليه هو تذاكر السينما وهكذا.

لكن لو كان عليه هو الغداء، كان يعمل قاعدة ظريفة جدا، كان يقول لى، إن كنت ستختار المحل الذى نذهب إليه ، أنا الذى أختار لك الطبق الذى تأكله، وإن فضلت أنت اختيار الطبق ، أنا الذى أختار المحل.

ـ وذلك من أجل مراعاة ظروف بخله؟!

. . **هيكل:** لا. إن قلت أنا أريد أن آكل فيليه فيختار هو مطعم تركى فى حارة صغيرة متفرعة من شارع ثروت، وإن قلت أريد الذهاب إلى سميراميس يشترط علىّ أن يكون الطعام سندوتشات، كان يحتفظ لنفسه بالفرصة الأخيرة فى التحكم فى الأمور.

كنا نضحك على مثل هذه الأمور.

كانت بيننا صداقة من هذا النوع الجميل، ثم أننى اكتشفت فى توفيق الحكيم فى مثل هذه الظروف أمورا أكثر من جميلة، وكنت أتصور أنه يمثل فى بعض الأمور والأحيان.

من أكثر المرات التى تصورت أنه ربما كان يمثل فيها ـ على سبيل المثال ـ يوم أن مات نجيب الريحانى، يبدو أن على أمين قال لتوفيق الحكيم إن نجيب الريحانى قد مات، وتوفيق الحكيم كان زعلان جدا، وأنا وصلت إلى الجريدة ولم أكن أعرف أن على أمين قال للحكيم هذا الخبر، دخلت حجرة الحكيم وكان لحظة دخولى يبحث عن كتاب فى دولاب، كان جالسا على ركبتيه يبحث عن الكتاب ، كان مقرفصا.

قلت له :

ـ عرفت . . نجيب الريحانى مات .

قال لي :

ـ يا نهار اسود مات تانى !

وضحكنا نحن الاثنين على كلمة تانى !

ـ ويعود الأستاذ إلى زيارة الحكيم له ، فى آواخر عام ١٩٥٣ .

. . **هيكل :** حضر إليّ وقال لى أريد آخذ رأيك فى موضوع ما ، فى ذلك الوقت كان إسماعيل القبانى وهو رجل من رجال التعليم ، بل من خيرة رجال التعليم ، حتى نكون منصفين فيما نقوله عنه الآن ، بعد كل هذه السنوات التى مرت ، وهذا ليس رأيي وحدى ولكن الناس كلها أجمعت على هذا .

قال لى الحكيم ، إن إسماعيل القبانى طلب من وكيل وزارة المعارف أن يتصل به ، وكان عمره ـ فى ذلك الوقت ـ ٥٧ سنة ، وأن يعرض عليه ضم السنوات الباقية حتى سن الستين ، وأن يخرج بمقتضى التعديلات الممنوحة فى عملية التطهير .

كان هناك أناس يفصلون من العمل ، وأناس تتم تسوية أوضاعهم ، كان توفيق الحكيم ـ فى تلك الأيام ـ يعمل مديرا لدار الكتب المصرية ، وقد قال إنه موافق على المعاش وضم هذه السنوات الثلاث .

لكن الذى حدث أنه بعد أن أبدى الحكيم موافقته قابل صديق عمره الدكتورحلمى بهجت بدوى ، وهو شقيق عبد الحميد باشا بدوى ، وكان حلمى من الناس المثقفين ، وكان له تأثير كبير على توفيق الحكيم .

وصلة توفيق الحكيم به تعود إلى سنوات باريس كانت هناك دفعة مصرية

مكونة من الدكتور عبد الحكيم الرفاعى الذى أصبح بعد ذلك محافظ البنك المركزي، وحلمى بهجت بدوى الذى أصبح بعد ذلك رئيسًا لمجلس إدارة قناة السويس، والدكتور القللى الذى أصبح عميدًا للحقوق، والدكتور حسين فوزى الكاتب المعروف، وتوفيق الحكيم.

كانت هناك علاقات بينهم، لكن توفيق الحكيم كان يثق دائما فى حلمى بهجت بدوى، علاوة على الصداقة بينهما وتقدير حلمى للفن، والمجموعة كلها عموما كانت تقدر الفن، وتستمع إلى الموسيقى وتذهب إلى معارض الفن التشكيلى، والوحيد الذى ساءت علاقته مع هذه المجموعة كان عبد الحكيم الرفاعي، وذلك لأسباب شخصية بحتة.

نعود إلى حكايتنا.. توفيق الحكيم بعد أن أبدى نوعا من الموافقة المبدئية لوكيل وزارة المعارف العمومية الذى كانت تتبعه دار الكتب على الخروج، ووكيل الوزارة أبلغ إسماعيل القبانى، ولكن حلمى بهجت بدوى قال لتوفيق الحكيم إنه بذلك «حيتاخد فى الرجلين»، كان هذا هو التعبير الذى قاله له بكل دقة.

وكان هذا هو تعبير توفيق الحكيم بعد ذلك؛ لأنه بقبوله بفكرة الإحالة إلى المعاش أنه خرج فى التطهير، وأن النظام غير راض عنه، وأن هناك ما يؤخذ عليه، والحكيم ضايقه هذا جداً لاعتبارات كثيرة، فهو الوحيد الذى لم يأخذ موقفا فى العهد السابق، ولم تكن له صلات بأحد.

جاءنى الحكيم وقال لى أريد أن آخذ رأيك فى أمر ما، وقال ما قاله.

- ألم تكن هناك مشكلات سابقة - حزبية أو ثقافية - بين الحكيم وبين القبانى قبل الثورة؟

.. **هيكل:** في الغالب لا.

ـ ألم يكن القبانى يأخذ على الحكيم كسله وتراخيه فى العمل الإدارى . ؟

. . **هيكل :** هذا ما قاله القبانى فيما بعد ، خاصة عندما تحول الأمر إلى أزمة ، شرح القبانى الأسباب التى دفعته لأن يقول لوكيل الوزارة إن الحكيم لابد وأن يخرج ، وكانت هذه الأسباب :

١ ـ أن توفيق الحكيم ليس إداريا ، وإن كونه أديبا معروفًا ومشهورًا ليس معناه أنه يصلح لأن يكون مديرا لدار الكتب .

فى هذا يمكن القول ، إن القبانى كانت عنده وجهة نظر تكنوقراطية وبيروقراطية .

٢ ـ أن الحكيم كسول ، ولا يذهب إلى العمل كل يوم ، ولا يذهب فى مواعيد العمل المعروفة ، والمطلوب أن يذهب فيها الموظفون عادة .

كان الحكيم عندما أتى إليّ قد قبل ما عرض عليه ، وحلمى بهجت بدوى هو الذى قال له إنه أخطأ بهذا القبول ، والحكيم صعب عليه الموقف الذى وجد نفسه فيه ، وبدأ الموضوع يكبر فى رأسه ، ويقول إن الموضوع سيتم تصويره على غير حقيقته ، كما قال له حلمى بهجت بدوى ، وأن هذا النظام الجديد كان الحكيم قد حلم به ، والحكيم كان يقول : أنا لم أتورط ـ مثل غيرى ـ لا مع الوفد ولا مع القصر .

ـ هل كان معروفا ـ فى ذلك الوقت ـ أن عبدالناصر قرأ عودة الروح قبل الثورة . . أم لا . ؟

. . **هيكل :** لم يكن ذلك معروفا فى هذا الوقت ، قلت للحكيم : ماذا تريد منى بالتحديد؟ قال لى : لا أعرف ماذا أريد منك ، ولكنى فقط أردت الحديث معك فى هذا الموضوع ، قلت له : باختصار هل تريد منى أن أكلم جمال عبد الناصر ، قال لي : أنا مش عارف أعمل أيه ! أمال أنا جاى لك ليه !

شير عليّ أعمل أيه! أصل حلمى وكان حلمى بهجت بدوى قد قال للحكيم إنه يستطيع أن يكلم سليمان حافظ، وذلك من أجل وقف الحكاية فى مجلس الوزارء.

يكمل هيكل:

. . قررت أن أتكلم مع جمال عبدالناصر، بدأت كلامى معه قائلا: كان عندى توفيق الحكيم، وقبل أن أكمل قال لى عبدالناصر: إحنا كنا بندرس كشوف الخارجين على المعاش، وكان اسمه فى هذه الكشوف، وقد فهمت أن هذه رغبته الشخصية والخاصة.

قلت له لا. الحقيقة من أجل أن نكون منصفين، لم تكن هذه رغبته، وفى هذا الوقت كان إسماعيل القبانى قد عرض الأمر على مجلس الوزراء، ولفت نظر جمال عبدالناصر وجود اسم توفيق الحكيم فى هذه القائمة، فسأل عبدالناصر القباني: هل هذه هى رغبة الحكيم؟! فقال له القبانى إنها فعلا رغبة الحكيم، فقال: خلاص ما دامت هذه رغبته.

وهكذا أعدت الكشوف على هذا الأساس.

حكيت لعبدالناصر، بكل دقة ما جرى، قلت له إنه من الممكن أن يكون قد بدا من الحكيم أنه موافق، لكنه رجع فى هذه الموافقة بعد أن جلس مع نفسه واستشار بعض أصدقائه الذين يثق فيهم، وكانت النتيجة أنه لا يريد الخروج.

كان عبدالناصر مندهشا، قال إنه من غير المعقول ولا المتصور أن نأتى نحن، ونخرج واحدا مثل توفيق الحكيم.

قبل اجتماع مجلس الوزراء تكلم جمال عبدالناصر مع إسماعيل القباني، والقبانى قال له أمرين:

الأول : أن توفيق الحكيم كان موافقا على الخروج ، ومن غير المعقول أن يغير رأيه بين يوم وليلة .

الأمر الثاني : أن اسم الحكيم موجود في القوائم الآن ، وعرف وجوده في هذه القوائم التي خرجت من مكتب القباني وجاءت إلى سكرتارية مجلس الوزراء ، والعودة في الأمر ورفع الاسم من الكشوف أصبحت بالنسبة له مسألة محرجة ؛ لأن الأمر من المفروض أنه انتهى ، وأي كلام فيه لم يعد مبررا .

قال له عبدالناصر : من الممكن أن تكون هناك طريقة ما لمعالجة الأمر ، ولم يكن لدى القباني حل ، ورأى جمال عبد الناصر عرض الأمر على مجلس الوزراء . . في اجتماع مجلس الوزراء جرى حوار متعب ، بدأ القباني بعرض الكشوف النهائية للخارجين على المعاشات ، وكان جمال عبدالناصر نائبًا لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للداخلية . جمال عبدالناصر قال إنه يريد الكلام في موضوع توفيق الحكيم وقال : لأنني تكلمت مع إسماعيل القباني ولم نصل في الموضوع إلى حل ، وأنا أرى أن هذا موضوع مهم وخطير جداً .

وقال عبدالناصر : إنني لايمكن أن أتصور أن تأتي الثورة ويأتي هذا النظام الجديد ونخرج توفيق الحكيم «نرفده» ويخرج مع الخارجين ، حتى لو كانت هذه رغبة الحكيم نفسه ، يخرج ولكن في ظروف مختلفة وبقضية لا علاقة لها بمثل هذه القوائم ، يكون واضحًا أنه استقال حتى يتفرغ لعمله الأدبي بعد هذا ، ويقال هذا ، ولكن لا يخرج ضمن عملية تطهير أبداً ، بل يخرج في سياق آخر ونكرمه بهذه المناسبة .

قال إسماعيل القباني إن الأمر أصبح مسألة كرامة ، واختصاصات ، وإنه تصرف في هذه القضية باعتبار أن توفيق الحكيم هو الذي طلب الخروج بنفسه ، وقال العبارة التي أصبحت معروفة :

- إن توفيق الحكيم مثل سيئ لموظف الدولة، وذلك بصرف النظر عن قيمته الأدبية، ولكن الحكيم إنسان كسلان، لا يذهب إلى مكتبه، وإن ذهب تعرض عليه مسائل لا يعرف أى شيء فيها، وهناك شكاوى كثيرة من الإدارة ضده.

جمال عبدالناصر قال إن الموضوع ليس موضوع كرامة، إن الموضوع هو حق أديب فى أن يغير رأيه، فإن كان من حقوقه الأساسية أن يبدى هذا الرأي، فإن تغيير رأيه من الأمور التى لا يمكن أن ينازعه فيها أحد.

افترض أن الحكيم اختار هذا، ثم اكتشف بعد ذلك أنه سيجد نفسه فى صيغة ليست مقبولة، وفى وضع ليس جميلا، من حقه أن يغير رأيه، وبادئ بدء، نحن لم نكن نريد أن نخرجه، أنتم قلتم إنكم تريدون إخراجه إن كانت هذه رغبته، أما وقد اتضح أمامنا أن هذه ليست رغبته، سواء كان تردد أو لم يتردد، هذه مسألة فرعية.

القبانى - قال جمال عبدالناصر - يعتبرها مسألة كرامة، وقال: إنه لو رفع اسم الحكيم سيصبح موقفه سيئاً جداً فى الوزارة، وإنه سيقدم استقالته. ووقف الأمر عند هذا الحد، ودخل إلى مشكلة غريبة، ثم انتقل مجلس الوزراء إلى موضوع آخر، ثم عُقد اجتماع مصغر؛ لأنى أظن أن عبدالناصر لم يكن يريد أن يأخذ موقفاً بمفرده.

وتصل الأزمة إلى حدود استقالة وزير.. بدأ جمال عبد الناصر يسأل ويتكلم مع عبد الحكيم ومع بغدادي، رافضا أن تأخذ الثورة على عاتقها أنها فصلت توفيق الحكيم وأخرجته فى التطهير.. لو صدر قرار خاص يقول إن الحكيم أديب ورجل خلاق على العين والرأس، ولكنه كموظف فهو إنسان كسلان، فإن ذلك موضوع آخر، وحتى إن رغب فى الخروج فإن ذلك لابد وأن يتم بطريقة أخرى.

دخلوا الجلسة التالية، وقال جمال عبدالناصر: أريد إثارة موضوع توفيق الحكيم مرة أخرى، وكان ذلك بعد يومين من الجلسة السابقة، وقال جمال عبدالناصر: إننا لا يجب أن نأخذ الموضوع مسألة كرامة، إنه أكثر من كرامة الأشخاص، نحن أمام أديب ومفكر وفنان مصرى، فإن عاملناه بمعايير الموظفين يصبح الموقف معيبا جدا فى حق الثورة، وهذه هى العبارة التى زعلت القبانى جدا، وأظن أن جمال عبدالناصر وصف الموقف بكلمة البيروقراطية، وكان يصف التصرف بهذه الكلمة ولم يكن يصف القبانى بها، ولكن القبانى أخذها على نفسه، وقال إن كان الأمر هكذا وما دمت أنا بيرقراطيا فأنا أستقيل، عبدالناصر قال: إن الموضوع ليس كرامات أشخاص، ولا أريد من أحد أن يهددنى بالاستقالة، وفى موضوع مثل هذا أنا مستعد أن أمشى فيه حتى آخر المشوار.

فتحى رضوان - وكان وزير إرشاد قومى - قال إنه بعد الجلسة عرض أن يأتى بتوفيق الحكيم وإسماعيل القبانى ويعقد اجتماعا مصغرا بينهما يحل فيه المشكلة، ولكن القبانى قال لا ورفض ذلك، قال إن هناك قولا صدر يجعله غير قادر على الرجوع من موقفه.

عبدالناصر قال إنه يطرح الأمر على المجلس لأن هذه القضية لا يستطيع الموافقة عليها، ولا أرضى للثورة أن توضع هذه النقطة فى تاريخها. . القبانى أخذ بعضه وخرج، وطلع وراءه فتحى رضوان، وأرسل القبانى الاستقالة، ذهب إليه سليمان حافظ يسأله أن كان مصمما على الاستقالة.

- وعن أسباب وصول عبد الناصر إلى الضيق . . ولِمَ دخل في القضية باعتباره طرفا فيها يقول الأستاذ:

. . **هيكل:** كان عبدالناصر يعتقد أن القبانى وزير تعليم كويس، ولم يكن يريد أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

ـ كيف تصرف الحكيم بعد ذلك؟

. . **هيكل:** جاء إليّ توفيق الحكيم، وكان قد سمع حكاية الشد والجذب التى حدثت.

ـ من الذي نقل له ما جرى؟

. . **هيكل:** لا أعرف من الذى نقل له ما جرى من مناقشات حول موضوعه، فقلت له عليك بالصبر، فقال لي: أنا مش عارف الصبر يعنى أيه! فقلت له الموضوع أصبح أكبر منك، لم يعد ممكنا لك أن تقول فيه أى شيء، ثم أعلن عن قبول استقالة إسماعيل القبانى، وكان يوم خروجه من الوزارة ٣ يناير سنة ١٩٥٤، وعين بدلا منه عباس عمار وزيرا للمعارف العمومية. وكان هذا اسم الوزارة فى تلك الأيام.

جاءنى توفيق الحكيم، وكانت حالته من الصعب وصفها؛ لأن الحكيم عندما عرف أن القبانى لوح بالاستقالة، أدرك الحكيم أنه خارج لا محالة وأن الأمر انتهى بالنسبة له، وأعد نفسه لهذا الاحتمال المؤكد.

قال لى الحكيم متسائلا، ماذا أفعل؟ هل أذهب واكتب اسمى فى دفتر التشريفات؟ كيف أشكر هذا الرجل العظيم؟ لم يكن يتصور أن يخرج وزير من الحكم بسبب مشكلة معه.

قلت للحكيم إن جمال عبدالناصر انتصر لأديب، وخرج وزير لكى لايخرج أديب فى التطهير، حتى وإن كان الأديب يعمل فى وظيفة إدارية لاعلاقة لها بدوره كأديب.

عاد الحكيم يتساءل: كيف أشكره إذن؟! قلت له بلاش شكر، ولا كتابة اسمك فى أى دفاتر؛ لأن ذلك سيظهر الأمر وكأنه مسألة شخصية، هذه قضية عامة ولابد وأن تبقى فى مستوى عموميتها.

في يوم آخر جاءنى توفيق الحكيم، وقال لى إن حلمى - يقصد حلمى بهجت بدوى - قال لى إننى لابد وأن أشكر الرجل الكبير، وأننى لابد أن أطلب مقابلته، وعندما سألت حلمى عن حكاية المقابلة، قال لى إن الأستاذ هيكل هو الذى توسط فى الأمر من البداية، وهو الذى يرتب لك المقابلة مع جمال عبدالناصر.

قلت للحكيم: على كل حال لو كنت تريد مقابلة جمال عبدالناصر، نذهب إليه فى وقت يكون متفرغا فيه.. بعد الظهر نأخذ معه فنجان شاى، ونتكلم على راحتنا بعيداً عن المكاتب الرسمية، والمقابلات ذات الطابع الرسمى.

غاب توفيق الحكيم، وجاء إلىّ مرة أخرى بعد فترة، قال لى هل عملت حاجة فى الموضوع اللى تكلمنا فيه؟ كان كلامه على شكل سؤال ما قلت لا لم أفعل أى شيء، قال لى الحكيم - إن هناك أمراً ما لابد من مراعاته قبل الذهاب إلى الرئيس - لابد وأن نرى طريقة يبلغ بها عبدالناصر وكيل وزارة المعارف أنه - أى عبدالناصر - هو الذى طلب اللقاء وذلك خوفًا من أن أتعرض للاضطهاد من جديد.

كان توفيق الحكيم - باختصار شديد - يريد أن يتم استئذان وكيل وزارة المعارف العمومية قبل أن يذهب إلى جمال عبدالناصر، خوفًا من أن يعرف وكيل الوزارة أنه ذهب إلى عبدالناصر من ورائه فيضطهده، وأن الذى يجب أن يبلغه بذلك عبدالناصر نفسه.

- هل هذا معقول؟!

.. **هيكل:** كل هذه الأمور مضى عليها وقت طويل، والإنصاف لابد وأن يدفعنى إلى القول إنه كان فى ذلك الوقت من المستحيل أن يتجاوز موظف رئيسه المباشر. ثم إن الحكيم لم يكن قد صدَّق إنه استراح من مشكلاته مع الوزير السابق، وكان يخشى ويخاف أن يطلع له وكيل الوزارة ويحاسبه على

أنه قابل مسئولاً كبيراً بدون أن يحصل على إذن منه، قال لى توفيق الحكيم يومها: إنك لاتعرف ماذا تفعل هذه الجماعة فى الموظفين.

ـ وماذا فعلت أنت فى هذا الطلب الغريب؟!

. . **هيكل:** قلت هذا الكلام لعبدالناصر، ضحك طويلاً وتساءل: هل من المعقول أن أستأذن وكيل وزارة المعارف العمومية من أجل مقابلة مدير دار الكتب؟

ـ قال توفيق الحكيم بعد هذا إنه هو الذى رفض الذهاب إلى عبدالناصر!

. . **هيكل:** هذا اللقاء لم يتم للسبب الذي قلته. وأكرر هذا اللقاء لم يتم للسبب الذى قلته، هل من المعقول أن يرفض أحد مقابلة عبد الناصر؟

ـ هل لم يكن جمال عبدالناصر متحمسًا للقاء؛ لأنه كان سيبدو كما لو كان ثمن ما قام به من أجل الحكيم؟!

. . **هيكل:** لا. عبدالناصر كان متحمسًا للقاء، ولكن عندما طلب الحكيم الحصول على إذن من وكيل الوزارة، وعرف عبدالناصر ضحك وقال ضاحكا: أتاريه بيروقراطى.

ـ ولكن جمال عبدالناصر أعطى الحكيم بعد ذلك وسامًا فى مواجهة حملة ضده كان قد قام بها أحمد رشدى صالح، عندما اتهمه أن كل مسرحياته مأخوذة عن أعمال أجنبية، وكان هناك آخرون معه في هذه الحملة!

. . **هيكل:** لم يكن الوسام بالتأكيد ردا على هذه، وعندما قرر أن يعطيه هذا النيشان فى هذا الوقت كان على باشا رشيد هو كبير الأمناء، وكان مستمراً فى هذا العمل من العصر الملكى.

كان جمال عبدالناصر يريد أن يعطى الحكيم أكبر نيشان، طلب تقديم أرفع وشاح مصرى إلى الحكيم، على رشيد ترجمها بأن الحكيم يحصل على أرفع

وسام تستحقه الدرجة المالية التى كان مثبتًا عليها، فقال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.

جمال عبدالناصر سأل على رشيد، وأنا ما زلت أذكر هذا؛ لأن على رشيد حكى لى هذه الحكاية، على رشيد قال لعبدالناصر إن الطبقة الأولى يقصد الوسام للعلوم والفنون من الطبقة الأولى هو ما يمكن أن يعطى للحكيم، سأله جمال عبدالناصر: هل هو أعلى وشاح فى الدولة؟ قال له على رشيد: إنه ليس وشاحًا، سأل عبد لناصر: وما المانع من أن نعطيه وشاحًا؟! قال له على رشيد هذا لا يجوز بروتوكوليا، قال له عبدالناصر مستنكرًا: يا راجل الوشاح شريط وقطعة من المعدن!

على رشيد خرج، قابلته ساعتها، قلت له: ماذا ستعطون لتوفيق الحكيم؟! قال لي: إن توفيق الحكيم لا يستحق وشاح النيل. لأن درجته أقل من درجة وكيل وزارة، ولا يستحق سوى الطبقة الأولى للفنون والعلوم، لكن وشاح النيل لا يحصل عليه سوى رؤساء الدول.

ـ هل قابلت توفيق الحكيم بعد صدور كتابه: عودة الوعى؟

. . **هيكل:** طبعًا. جاءنى هنا، وكان معه لطفى الخولى والدكتور حسين فوزى؛ لأن عودة الوعى كانت له مشكلة، البداية كانت عندما دخلنا فى مشكلة بيان الأدباء، لم أكن في مصر عندما وضعوه ووزعوه، وإنما كنت في زيارة في الصين. عدت لأجد أن أنور السادات ثائر على توفيق الحكيم وهاجمه مستخدمًا ألفاظا مثل: الكاتب صاحب الحبر الأسود، والرجل المخرف، ولم يترك له وصفا من الأوصاف السيئة لم يستخدمه ضده.

ثم اتصل بى أنور السادات وقال لى: توفيق الحكيم الذى تدافع عنه ألاتعرف أنه كتب كتابًا ضد عبدالناصر؟ قلت له: لا أعرف، ثم تساءلت هل هذا

معقول؟! قال لى: سأرسل الكتاب لك، أنا عندى فصلين من الكتاب أبعتهم لك، المباحث بعتت لى الفصلين من الكتاب حا ابعتهم لك.

قبل أن يصلنى الفصلان. فاتحت توفيق الحكيم فى الأمر، سألته: هل كتبت كتابًا ضد جمال عبدالناصر؟! وكنا فى مبنى الأهرام الجديد، فقال لى: لا، وهل يمكن أن أفعل هذا؟!

ثم وصلنى الفصلان وقرأتهما.

-هل كان الفصلان بخط يد توفيق الحكيم؟

. . **هيكل:** لا. كانا مكتوبين على الآلة الكاتبة.

-ثم قابلت توفيق الحكيم.

. . **هيكل:** فى هذا الوقت عندما كنت أريد توفيق الحكيم فى أمر ما كنت أصعد إليه فى الدور السادس؛ ولكن لأن الموضوع حساس طلبته إلى مكتبى ولم أصعد إليه، كلمته فى التليفون، سألته: هل يمكنك المجيء إلىّ قليلاً فى مكتبى؟

فى هذا اللقاء كان غضبى من الحكيم قد وصل إلى مدى من الصعب وصفه، وقد تكون هذه هى المرة الوحيده التى «احتديت» عليه فيها وبدون أى قصد، واجهته بالورق الذى كان معى، وكان عبارة عن الفصلين اللذين وصلانى من كتابه الذى لم يكن أحد يعرف عنه أى شيء فى هذا الوقت سوى فى بعض الدوائر الضيقة جدًا.

سألته: هذا الورق أنت الذى كتبته؟! هذا الورق لك أنت؟! قال لى: ياه.. أصل أنا كنت باعمل حاجة تجريبية ليست للنشر، وأعطيتها لبعض الأصدقاء فى أضيق الحدود الممكنة لقراءتها، لكنها لا تخرج عن التجريب، الذى يتم فى حدود فنية ولا يتعداها أبدًا.

كان قد لفت نظرى فى الفصلين أمر مكتوب فيهما رأى شخصى لي قلته له ذات مرة، وكان هذا هو الدليل على أنه كاتب هذه الفصول، فإذا بهذا الأمر موجود فى الفصلين، وهو عبارة عن واقعة خاصة كنت قد قلتها له ولم أكن قد كتبتها، وهى لم تكتب سوى بعد هذا، وهى أن تكاليف الحرب كانت تكفى لإنارة أربعه آلاف قرية مصرية.

ـ ماذا دار بينك وبينه من حوار؟

. . **هيكل:** عاد يقول لى، إنها عملية تجريبية من أجل أن يقرأها عدد محدود جدًا من الأصدقاء، قلت له: أنت أحرجتنى أكثر من مرة وسألتك فى البداية إن كان هناك كتاب كتبته ضد جمال عبدالناصر. قلت لى لا وأنكرت هذا. طلبت أنور السادات وقلت له كلام المباحث خطأ ووضعتنى فى وضع وصل إلى أن السادات يرسل لى فصلين من الكتاب، وحتى بعد ذلك قلت لى إن معلومات المباحث خطأ.

قلت له وكان صامتًا طول الوقت:

ـ أنا لا أريد أن أتخانق معك ولكن حقيقة زعلان وغاضب.

كنت فعلاً أشعر بضيق حقيقى من الحكيم.

ـ وقصة بيان الأدباء؟

. . **هيكل:** أنور السادات كان فى ذلك الوقت نازل هجوم على توفيق الحكيم بسبب بيان الأدباء كان يقول إنه خرف، وإنه لا يكتب سوى بالحبر الأسود، حبر الحقد. حملة أنور السادات على الحكيم لم تكن بسبب كتابه عن عبدالناصر، ولكن بسبب بيان الأدباء. كان الحكيم أكبر الموقعين عليه سنًا واسمًا وأهمية وتأثيراً، وكان السادات قد هاجم توفيق الحكيم بصراحة فى الاتحاد الاشتراكى العربى.

ـ ولكنك حاولت إصلاح الأمر بين الحكيم والسادات بعد ذلك!

. . **هيكل:** في يوم ما، تمكنت من إقناع السادات أن يقابل الحكيم معي، ونشرت صورة هذه المقابلة في الأهرام في الصفحه الأولى. قلت للسادات سأجيء إليك ومعي توفيق الحكيم حتى تقابله وتخلصونا من هذه الحكاية، وافق السادات. أخذت معي توفيق الحكيم وذهبنا إلى السادات في القناطر الخيرية.

كنا في الطريق إلى القناطر، وأنا أتصور إنه ستكون هناك فترة عتاب قد تطول كثيراً وكلام وأخذ ورد. في هذه الفترة كانت الأوبرا قد احترقت بكل الدلالات التي تركها هذا الحريق عند المثقفين خاصة، وعند المصريين بشكل عام.

دخلنا عند أنور السادات في القناطر الخيرية، وبرغم توقعي أن يكون هناك عتاب مرير، عتاب بلا نهاية عن الذي جرى والذي مضى، ولكن المفاجأة إنه لم يحدث أي شيء من هذا أبداً. كان أنور السادات في أدائه هائلاً، وكان توفيق الحكيم في أدائه هائلا أكثر. السادات باغت الحكيم وباغتني بسؤال لم نتوقعه، لا أنا ولا الحكيم، كان آخر ما يمكن أن يتوقعه الإنسان في مثل هذا اللقاء، السادات قال للحكيم:

ـ يا توفيق. أنت زعلت علشان الأوبرا؟

قال له الحكيم:

ـ آي والله. دا أنا حزنت على ذكرياتنا فيها.

قال السادات للحكيم:

ـ تعال يا توفيق. تعال.

أخذنا إلى الصالون المجاور. فإذا هناك ما كيت مجسم لمشروع دار الأوبرا الجديدة.

ـ هو الذى نفذ بعد ذلك؟

. . **هيكل:** لا. ما جرى تنفيذه بعد ذلك، هو مركز القاهرة الثقافي الذي بناه اليابانيون وهو أمر آخر تمامًا. الماكيت الذى عرضه السادات كان من المفروض أن ينفذ فى نفس مكان الأوبرا القديمة، الذى أصبح موقف سيارات الآن. موقف سيارات متعدد الطوابق.

وكان أنور السادات قد أحضر من قام بعمل التصميم، وتحول التصميم إلى ماكيت لأوبرا فيها مسارح متعددة وقاعات لتعليم الموسيقى، والأوبرا والسيمفونى. كان الاثنان بينهما خناقة كبيرة، والكلام الذى جئنا من أجله لم نتكلم فيه، والعتاب لم يحدث، وإذا نحن نتكلم عن شيء آخر.

ـ ثم صدر كتاب «عودة الوعى» وجاءت تطورات أخرى كثيرة بعد ذلك.

. . **هيكل:** من هذه التطورات أننى تركت الأهرام وإذا بتوفيق الحكيم ينشر «عودة الوعى» ولم أندهش من ذلك وحدي، ولكن الغريب أن زوجة الحكيم نفسها اندهشت ووقعت أزمة بين الاثنين. الحكيم هو الذى قال لى هذا عندما حضر إليَّ. قال لى ذلك بنفسه. قال إن زوجته زعلت. قالت له: إنت إنسان غريب. قالت له زوجته أنت أسأت إلى جمال عبدالناصر الذى وقف معك، وقدم لك الكثير ورفعك فوق رءوس الناس جميعا.

ـ ولقاؤك معه «بعد عودة الوعى»؟!

. . **هيكل:** اتصل بى فى البداية حسين فوزى، وقال لى إن تويق الحكيم يريد الحضور إليك ويجلس معك، ويسوى بعض الأمور، وأنا أعرف أنك زعلان منه، قلت له: ييجى أهلاً وسهلاً. هذا بيت توفيق الحكيم.

جاءا إلىّ، وكان معهما لطفى الخولى. توفيق الحكيم قال لى: أنت تعرف أنا أقدرك إلى أى مدى. قلت له: هذا لم أختلف معك فيه أو حوله. قال لى:

ـ تعرف مين اللى نكد على عيشتى؟! قلت له: لا.

قال: ـ مراتى.

قلت له ـ يحكى الأستاذ هيكل ـ أنا سأقول لك شيئًا، وحكيت له أن كمال الملاخ كان قد نشر فى الصفحة الأخيرة من الأهرام خبرًا يقول: إن طه حسين يملى جزءًا جديدًا من الأيام. فأخذت معى سيد أبو النجا، وقلت له: لماذا لا تأخذ دار المعارف هذا الكتاب، ونحن ننشره فى الأهرام؟!

سيد أبو النجا كان يعرف طه حسين، وسبق له التعامل معه. سيد أبو النجا اتصل بطه حسين، وذهبنا إليه فى فيلا راميتان فى الهرم. دخلنا وجلسنا وطه حسين رحب بنا، ثم جلس يتكلم معنا، ثم قلت له: أنا قرأت خبرًا فى صفحة كمال الملاخ يقول: إنك تملى الجزء الثالث من الأيام، ونحن نريد أن ننشره فإذا بطه حسين يقول لى آه.. آه.

ـ هل تعرف تعبير ضحك حتى استلقى على قفاه؟!

كانت له ضحكة تمثيلية. ثم قال لى. بلغة عربية فصحى وبصوت له إيقاع:

ـ أخشى أن أقول لك إنك نشرت هذا الكتاب فعلا فى دار المعارف. هذا هو الجزء الثالث من الأيام الذى صدر فعلا من دار المعارف.

واتضح لنا أنه كتاب نشرناه نحن فى دار المعارف، وإن كنت أنا قد صدقت الخبر المنشور؛ لأنه أولا منشور فى الأهرام، وثانيا منشور فى صفحة كمال الملاخ، وسيد أبو النجا حدث له ما جرى معى.

شعرت ـ يكمل هيكل ـ بالخجل من الموقف كله، فعرضت على الدكتور طه حسين أن ننشر له أى شيء آخر فى الأهرام. فقال لى طه حسين: أنت ياسيدى لا تعرف إلا صديقك وصديقنا الحكيم، وأدعو الله ألا يمتحنك فيه كما امتحننا، ثم ضحك وانتهى الأمر عند هذا الحد.

بعدها عدت إلى الأهرام، وقلت لتوفيق الحكيم الذى كان يتغدى معى، وكان معنا الدكتور حسين فوزى على نفس هذا الغداء. قلت للحكيم: أنت وضعتنى فى موقف حرج مع طه حسين، وحكيت له ما جرى معه، إلى أن قال لى: ادعو الله ألا يمتحنك فيه كما امتحننا نحن فيه.

قال الحكيم مهونا من الأمر: امتحان أيه بقى! وحكى لنا حكاية القصر المسحور وهو العمل المشترك بينهما، ومن الذى حصل على مكافأة من وراء الآخر، ومن عمل مع الناشر من وراء الآخر وماذا عمل!

ـ مشكلات ليست فى معاناة ومتاعب الخلق والإبداع ولكن فى توزيع الفلوس؟!

.. **هيكل:** تستطيع أن تقول إنها خناقات «مليحة» بين اثنين من الكبار، وأنا لا أحب الإساءة لهما فى أمور مالية بشكل خاص.

ـ وجلستك مع الحكيم وحسين فوزى ولطفى الخولي؟!

.. **هيكل:** كان ذلك بعد صدور «عودة الوعي»، وخروجى من الأهرام. سألنى توفيق الحكيم: هل أنت زعلان مني؟ قلت له: لا لست زعلان. ولكنى فقط أذكرك ـ مرة أخرى وفى نفس الجلسة ـ حكاية أن طه حسين قال لى منذ سنوات بعيدة: وأدعو الله ألا يمتحنك فى أخينا الحكيم. أكملت له: وربنا امتحننى فيك ياتوفيق وسقطت فى الامتحان.

كان توفيق الحكيم محرجا جدا وهو يسمعني لأنني كنت حريصا جدا عليه.

ـ ولكن الحكيم لم يكن وحده الذى فعل هذا!

. . **هيكل:** لأن توفيق الحكيم كان بالنسبة لى ولا يزال قيمة تستحق الحرص عليها .

ـ ألم يحدث أى خلاف بينكما؟

. . **هيكل:** مرة واحدة اختلفنا كنا يوم جمعة، وكنا فى أخبار اليوم، وكنت مسئولا عن أخبار اليوم . وفى الصحافة ـ كما لابد وأنك تعلم هذا ـ قد يكون المسئول عن صحيفة فى موقف صعب عندما يواجه مسألة مهمة جدًا، وهى إيجاد صورة الصفحة الأولى، تلك من مفردات العمل الصحفى اليومية المهمة .

إنها صورة الأسبوع التى تنشر فى الصفحة الأولى على الناحية الشمال منها من جريدة أخبار اليوم . كانت هذه الصورة زمان مسألة أكثر من مهمة . كنا نبدأ من أول الأسبوع نسأل : ما هى صورة الأسبوع التى ستحتل هذا المكان المهم من الصفحة الأولى؟

كان خليل مطران قد مات، ويومها اقترحت أن تكون الصورة الأولى صورة الأسبوع، صورة لوجه خليل مطران وحوله الزهور وهو فى الكنيسة وكان توفيق الحكيم معنا فى هذا الاقتراح، كان حاضرا الاجتماع الذى تقرر فيه هذا، وكان موافقا على الاقتراح، بل ومتحمسا له وأنا قلت إن هذا يذكرنى بصورة شاعر البنغال الكبير طاغور بعد وفاته . وجه الشاعر والورد حوله ونظرة وداع أخيرة عليه .

قلت لمحمد يوسف إنه يمكنه أن يصور خليل مطران فى بيته قبل نقل الجثمان من البيت إلى الكنيسة، وأنه يمكنه أن يأخذ معه الورد بصورة احتياطية . اتجه محمد يوسف إلى بيت خليل مطران ومن هناك اتصل بى

تليفونيا . وقال لى إن الجثمان نقل إلى الكنيسة فى النعش الخشبى وإنه لا يستطيع أن يتصرف .

قابلته عند الكنيسة فى الفجالة ، كانت هناك صلاة ، وفى اليوم التالى كان المفروض أن يقام القداس . كان خليل مطران فى التابوت ، وكان التابوت فى الداخل فى الكنيسة . كان هناك رجل اسمه «فرج» يعمل فى الكنيسة سألته عن التابوت . فقد كنت أعرفه . قال لى إنهم أغلقوا التابوت ووضعوا المسامير .

نحن كان معنا الورد ، دخلنا الكنيسة وفرج فك مسامير الصندوق ، ورفع غطاء التابوت عن وجه خليل مطران ، وفرج وضع الورد حول وجهه .

- ماذا كان شعورك لحظة مشاهدة وجه خليل مطران؟

. . **هيكل :** شعرت برعشة من رهبة الموقف ، وشعرت بتنميل فى أطرافى ، وصعد محمد يوسف والتقط الصورة ، وأعاد فرج مسمرة غطاء التابوت مرة أخرى كما كان من قبل .

- رغم أن ما قمت به قد يشكل نجاحا مهنيا ، إلا أن البعض خاصة من غير الصحفيين ربما يتصور إنه خطأ إنساني؟!

. . **هيكل :** أعترف أن ذلك ربما كان خطأ ، لكن ما كان في خاطري يومها كان تكريم الشاعر بصورة وداع تبقى في ذاكرة الناس . عدت يومها إلى أخبار اليوم وعلى أمين كاد أن يطير فى الجو من الصورة التى كانت أكثر من مذهلة ، ولكن كان قد عرف وشاع كيف التقطت وأصبحت مشكلة داخل الجريدة .

- وما دخل توفيق الحكيم فى الأمر؟

. . **هيكل :** فى اليوم التالي دخل توفيق الحكيم عليّ فى مكتبى. قال لي: إيه الحكاية إللى حصلت دي؟ سألته: حكاية إيه؟! قال لي: إنتوا فتحتوا البتاع؟ فهمت قصده، وقلت له محمد يوسف كان يريد التقاط صورة لوجه الشاعر بين الورود! . قلت له: لأنه كان قد أغلق. سألني: وفكيته ليه؟! قلت له: لأننا كنا نريد أن تكون تلك آخر صورة. أكملت: ثم إن هذا تكريم له أن يتم تصويره بين الورود وأن ننشر هذه الصورة فى هذا المكان بالذات. قال لى بصوت عال واندفاع: لا. لا. لأه. هوَّ أيه دا!

دخلنا في مناقشة. وكان موقفه الذى لم يتزحزح عنه، أن مثل هذا الكلام لا يقدر عليه إنسان.

ـ لكن هذا الخلاف هل أثر في العلاقة بينكما؟

. . **هيكل :** لا. علاقتى بتوفيق الحكيم استمرت.

ـ ثم ترك توفيق الحكيم أخبار اليوم، وجاء معك إلى الأهرام بعد ذلك، كيف كانت الملابسات والوقائع؟

. . **هيكل :** بشارة تقلا أكبر ملاّك الأهرام. كان يتمنى أن يكون توفيق الحكيم فى الأهرام، وكان يعرف أننى عندى صلة خاصة مع الحكيم، وكان الحكيم فى ذلك الوقت قد بدأ يبتعد عن أخبار اليوم، وجاءني بشارة تقلا يطلب مني أن أكلمه في هذه الظروف عن فكرة المجيء إلى الأهرام، لكن توفيق وفر عليّ الجهد، فقد جاءني ذات يوم مبديا اهتمامه بما أفعله في الأهرام، وأجبت الحكيم أنه ينتظره عرض في الأهرام، وقدمت له العرض بسرعة، وقلت له: لماذا لا تأتى معنا فى الأهرام؟!

العرض كان الأول من نوعه فى تاريخ الصحافة المصرية، أن يحصل على مرتبه لمجرد أن يحضر إلى الأهرام ويجلس فى مكتبه، فإن كتب أى شىء يحاسب عليه بقيمة ما يكتبه.

جاء توفيق الحكيم إلى الأهرام بعقد يحصل بموجبه على خمسة آلاف جنيه فى السنة بخلاف أجره عما يكتبه، وعندما وصلنا إلى هذه الصيغة - التى لم يطلبها الحكيم - توفيق الحكيم لم يكن قادراً على تصديقى، قال لى: يعنى حاآخد ماهية كبيرة علشان بأقعد بس فى الأهرام؟!

قلت له: فعلاً. يعود ليسألنى: وأنت تستفيد أيه من الشغلانة دي؟! قلت له: كل ما أريده منك هو البقاء فى الأهرام والحضور إليه والجلوس فيه. تلتقى مع شباب جديد من الممكن أن يستمعوا إليك وأنت تتكلم. ويستفيدوا منك ويتناقشوا معك، وذلك بالدرجة التى تريدها أنت.

كل المطلوب - قلت للحكيم - منك أن تكون متواجداً فقط، وإن أعجبك أحد يجلس معك من أجل الكلام معك، إن طلب هو الكلام ووافقت أنت، وهذا الكلام ليس من أجل النشر. ولكن بهدف الاستماع إليك فقط، أو أن تجلس مع حسين فوزى مثلاً أو مع نجيب محفوظ أو يوسف إدريس الهدف من وراء هذا هو وجود أجيال وحوار بين هذه الأجيال، ووجود حركة فى الواقع الثقافى وتواصل وحوار بين الأجيال المختلفة فى مصر.

كان توفيق الحكيم يحصل على خمسة آلاف جنيه فى السنة، وكان ذلك هو الحد الأعلى للمرتبات والأجور فى ذلك الوقت، ولكن الحقيقة أن الفلوس ليست هى السبب الجوهرى الذى دفع الحكيم لذلك، كانت علاقاته فى أخبار اليوم قد تأثرت إلى حد ما، وكان يريد تركها سواء إلى الأهرام أو غيرها. أى أن عرض الأهرام جاءه فى وقت مناسب بصرف النظر عن حكاية الفلوس وإغرائها. أنا لا أقلل من هذا الإغراء، ولكنى أريد القول إنه لم يكن العامل الجوهرى والأساسى.

- قال لى توفيق الحكيم إنه قال لك عندما قلت له أن المطلوب منك فقط الجلوس فى الأهرام. يعنى حا أكون «شرابة خرج» يعنى؟! وشرابة الخرج هى

الشىء الذى لا لزوم له . مجرد زينة للخرج الذى يوضع على الحصان أو الجمل من أجل أن توضع فيه الأشياء؟!

. . **هيكل :** لا أذكر هذا ، ولكن الحكيم عمومًا كان يتصور أن وراء الأمر قصدا ، وإن هذا القصد ربما كان خفيًا . كان يتصور أننى قد أستخدمه بصورة أو بأخرى ، وأستثمر وجوده فى الأهرام . . أعتقد أن حكاية شرابة الخرج هذه لم يفكر فيها الحكيم ؛ لأنه كان يعرف قيمة نفسه كأديب وكاتب مسرحى وروائى .

حكاية شرابة الخرج . . ربما قالها طه حسين الذى قال مرة : إن الأهرام مثل المحمل ، فيه أشياء مقصبة ومذهبة ، تبدو للناظرين دون فائدة منها .

ـ قال هذا عن الذين عملوا فى الأهرام ربما لأنك لم تفكر فيه . لماذا تجاهلت قضية كتابة طه حسين في الأهرام فى تلك الأيام؟!

. . **هيكل :** أعتقد أن طه حسين كان مستعدًا للمجىء إلى الأهرام لو فاتحته مبكرًا فى ذلك ، لكنه أولاً : كان قد ذهب إلى الجمهورية ، كانت الأمور قد تقلبت به تقلبات شديدة . ذهب إلى الجمهورية ، وأصبح رئيس تحريرها مع أنه لم يكن يتابع العمل اليومى بسبب ظروفه ، كان هذا ظلما له .

لكنى أعتقد أن طه حسين اكتشف أن ما سوف يكون مطلوبًا منه فى الأهرام سيتعبه وقد لا يقدر عليه . فى الأهرام كنا نعزم الكثيرين على الغداء والعشاء ، ونقابل أناسًا ونحضر ندوات ، ونتعرض لضيوف من الداخل ومن الخارج ، ولوجوه من كل أنحاء الدنيا ، وظروفه الصحية ودقة وضعه قد لا تمكنه من المشاركة فى هذا .

ثم إن إحساس طه حسين بانحيازى لتوفيق الحكيم كان يضايقه ويدفعه إلى الابتعاد . أيضًا فإن وجود مجموعة توفيق الحكيم وحسين فوزى جعلته يصر

على الابتعاد. أن الوحيد الذى كان قريبًا منه، من هذه المجموعة ـ بعد فترة ـ كان الدكتور لويس عوض.

ـ كيف تطورت علاقتك بالحكيم بعد ذلك؟

. . **هيكل:** حافظنا على العلاقة بكل طريقة، وزوجته كانت ست أميرة جدًا، وكانت قلقة بسبب سوء علاقته مع ابنه إسماعيل. ربما يبدو هذا موضوعًا آخر تمامًا بعيدًا عما نحن بصدده الآن ـ هذا مؤكد ـ ولكن أريد حكايته ـ حتى لك أنت ـ لأنه يجعلك تعيش فى مثل هذه الأجواء.

زوجة توفيق الحكيم تكلمت مع حسين فوزى فى أعقاب أزمة وقعت بين الحكيم وبين ابنه إسماعيل، وأنا لن أضيف جديدًا الآن عندما أقول إن توفيق الحكيم كان بخيلاً. إن هذا من الأمور المعروفة والشائعة، وأنا بذلك لا أذيع سرًا لم يكن يعرفه أحد من قبل، ولذلك إن ابنه إسماعيل كان يشكل قضية معقدة فى حياته لا هزل فيها. أنت تعرف مدى تعقيدات علاقات الأجيال بين الآباء والأبناء.

ـ قال لي المرحوم الدكتور أحمد حسين الصاوى، عن توفيق لحكيم إنه كان يجلس على مقهى ركس، من أجل أن يرى البنك الأهلى أمامه؛ لأن حسابه فيه؟!

. . **هيكل:** لا. ربما كان في هذا الكلام مبالغة. قد يكون مقبولاً كنكتة أو دعابة أو طرفة، لكن من المؤكد أن هذا الكلام ليس صحيحًا على إطلاقه.

ـ ومشكلة الحكيم مع ابنه إسماعيل؟!

. . **هيكل:** إسماعيل كان يريد من والده مالاً؛ لأنه يريد أن يشتري آلات موسيقية لينشئ فرقة، ويبدو أن الحكيم رفض ذلك مما دفع إسماعيل إلى اللجوء إلى طريقة ظريفة ومبتكرة وتناسبه تمامًا. ذهب إسماعيل إلى والده

فى يوم من الأيام، وكان توفيق الحكيم هو الذى حكى لى كل هذه التفاصيل بعد أن كلمتنى الأم من خلال حسين فوزى أولاً ومباشرة بعد ذلك، وفاتحت الحكيم فى الأمر، خاصة أن الحكيم كان قد طرد ابنه من البيت فى فترة ما.

المهم أن إسماعيل ذهب إلى والده وأعطاه عشرين جنيهًا وطلب منه أن تبقى معه. سأل الحكيم ابنه عن مصدرها، قال له إنه كان بالأمس مع الفرقة وإنه سيحصل من الفرقة على أجر قدره عشرين جنيهًا فى اليوم الواحد. وإنه يريد إدخار هذا المبلغ معه بدلاً من إنفاقه، وهروبًا من سفه وتبذير الذين فى مثل سنه. لقد تعلم من والده أخيرًا فضيلة الإدخار والتوفير.

سأله الحكيم: هل سيعطونك عشرين جنيهًا فى اليوم الواحد؟ قال له إسماعيل: نعم عشرون جنيهًا فى اليوم الواحد، وهكذا مكث إسماعيل على مدى أحد عشر يومًا يعطى والده عشرين جنيهًا فى اليوم الواحد، وكان مواظبًا على ذلك بصورة تامة تدعو إلى استغراب والده. توفيق حسب المبلغ عشرون جنيهًا فى اليوم تضرب فى ثلاثين تصبح النتيجة ستمائة جنيه فى الشهر الواحد.. المسألة كبرت فى ذهن الحكيم.

وفى يوم كان الحكيم يتكلم مع إسماعيل، الذى قال لأبيه: كيف تتكلم عن عشرين جنيهًا فى اليوم الواحد؟ أنا أستطيع أن أكسب مائة جنيه فى اليوم، وربما أكثر، قد يصل الرقم إلى مائة وخمسين جنيهًا فى اليوم الواحد. سأله الحكيم: كيف؟! قال له إسماعيل لو قمت بشراء الماكينات وعملت فرقة خاصة بى. سأله الحكيم: وهذا الأمر كم يتكلف؟! قال له إسماعيل: أحد عشر ألف جنيه، وكان قد حسب الرقم بالمليم وبكل دقة.

اقترح عليه الحكيم أن يستلف المبلغ من البنك ويكتب كمبيالات به. ويشترى الماكينات بالمبلغ الذى سيأخذه من البنك، ويرد المبلغ بعد ذلك من العائد الذى سيعود عليه. قال له إسماعيل: ولماذا يذهب إلى البنك ووالده معه هذا المبلغ؟ ويمكنه الحصول عليه منه! ثم يعيده له يوميًا!

توفيق الحكيم ذهب فعلا وسحب من حسابه فى البنك مبلغ أحد عشر ألف جنيه، وأعطاها لإسماعيل، وأخذ عليه كمبيالات وإسماعيل لم يهتم بفكرة أنه وقع على كمبيالات بالمبلغ؛ لأن التوقيع كان لأبيه.

أخذ إسماعيل من والده الـ ١١ ألف جنيه. وفى اليوم الأول جاء إلى والده وأعطاه مائة جنيه. توفيق الحكيم طار من الفرح، وفى اليوم الثانى أعطاه مائة جنيه أخرى، وتوقف الأمر عند هذا الحد. وإن كان الولد قد دفع بعد ذلك -وعبر صعوبات كثيرة- مائتى جنيه أخرى.

توفيق الحكيم اعتبرها ضحكا عليه؛ لأن كل ما وصله من ابنه أربعمائه جنيه فقط من أصل أحد عشر ألف جنيه. صحيح أن إسماعيل اشترى بالمبلغ الماكينات التى كان يريدها من أجل تأسيس فرقته، ولكن الحكيم اعتبر أن كل هذا كلام فاضى، طالما أن عملية السداد قد توقفت.

إسماعيل كان ماضيًا فى تأسيس فرقته، وبدأ يعزف الموسيقى فى فندق مينا هاوس، ونجحت فرقته نجاحا كبيرا، ولكن القطيعة استحكمت بين الأب وابنه، زوجة توفيق الحكيم اتصلت بحسين فوزى، قالت له إن إسماعيل أسس فرقة، الفرقة التى كان يحلم بها، وتوفيق يريد من الولد أن يسدد له مائة جنيه كل يوم، ومصر على هذا والولد غير قادر على الوفاء بهذا المبلغ يوميًا.

قالت إنها تكلمت مع توفيق الحكيم فى هذا الأمر، ولكنه صاح فيها، وكان مصراً على استعادة المبلغ بالطريقه التى تم الاتفاق عليها. حسين فوزى تكلم مع الحكيم فهاج ورفض الكلام واعتبر أنه تعرض لعملية نصب، ورفض أى كلام فى الموضوع كله.

فى هذه الأثناء تكلم معى حسين فوزى، وتكلمت معى زوجة الحكيم أيضًا وناشدانى التدخل فى الأمر.

دعوت توفيق الحكيم إلى مكتبي، وطلبت من الدكتور فؤاد إبراهيم، المدير العام للأهرام في ذلك الوقت، أن يرسل لى شيكًا بمبلغ خمسة آلاف جنيه. دخل عليّ توفيق الحكيم وأنا أمامى الشيك بالمبلغ الذى طلبته باسم توفيق الحكيم وهو: خمسة آلاف جنيه.

قلت للحكيم عندى لك مشروع مقالة تكتبها. شرحت له فكرتى قائلاً: أنت فى قصصك القديمة عن دنيا العوالم القديمة كانت عندك مواهب فنية وكان نفسك أن تضرب العود وتمارس الفن من أوسع أبوابه، لكن هذا لم يتحقق لك من قبل. قال: هذا صحيح..

أكملت قائلاً له: كل هذا تحقق فى ابنك إسماعيل، ما إن سمع اسمه حتى صاح: ما تجيبش سيرته. قلت له: اسمعنى حتى الآخر.

قال لى: اتفضل اتكلم.

قلت له: إسماعيل عمل فرقة، قاطعنى: فلوسى أكلها. طلبت منه الصبر حتى انتهى مما أريد قوله. قلت له: أقترح أن حسين فوزى وأنا معكما ومن تشاء دعوته من الناس نذهب من أجل حضور إسماعيل وهو يعزف. إسماعيل وفرقته تضرب موسيقى من النوع الذى يقدمه، وهو نوع مختلف لم يخطر لك على بال من قبل.

كان إسماعيل يضرب موسيقى الروك. ثم تكتب - قلت للحكيم - أنت عن هذه الموسيقى مقالة. صاح من جديد: أبدًا. أبدًا. يستحيل. قلت له بهدوء:

- أليست ثورتك هذه بسبب ضياع فلوسك منك؟ ستأخذ فى هذه المقالة خمسة آلاف جنيه، ولو كتبت مقالين أو ثلاثة فى هذا الموضوع، تعوض كل الفلوس التى ضاعت منك.

قال لى : أبداً. وكان قد أمسك فى هذه الكلمة ولم يتزحزح عنها. رفض ذلك تمامًا. قلت له : خلاص سأعيد الشيك إلى فؤاد إبراهيم، وينتهى الأمر وكأنه لم يكن أساسًا. دعوت مديرة مكتبي السيدة نوال المحلاوى. قلت لها : نوال خدى الشيك ده. أبو خمسة آلاف جنيه باسم توفيق بيك، وقولى لفؤاد إبراهيم يلغيه ويرجعه تانى.

هب توفيق الحكيم واقفا وقال لى :

ـ بس استنى، خليه شوية. هوه أيه إللى معاك ده؟!

نظر توفيق الحكيم فى الشيك، وبدأ يقول :

ـ لأ. أبداً. دا ابنى عمل عمايل.

كانت لأ هذه المرة مختلفة عن ذى قبل، كانت أهدأ وألين، ثم تساءل :

ـ لكن خمس تلاف جنيه ليه؟ هوَّه يساوى؟!

قلت له :

ـ ليس هو الذى يساوى، أنت الذى تساوى، قلمك هو الذى يساوى.

وقف الحكيم حائراً، قلت له : توفيق لا تدوخنى معك، تريد الشيك ها هو ونذهب الليلة إلى مينا هاوس من أجل الاستماع إلى إسماعيل. لا تريد الذهاب إلى إسماعيل نعيد الشيك إلى فؤاد إبراهيم، وينتهى الأمر.

قال لى الحكيم :

ـ لا تضع الأمر بهذه الطريقة بالذات.

قلت له..

ـ وبأى الطرق تريد وضع الأمر إذن؟!

سألنى :

ـ هل كلمك أحد فى هذا الأمر؟!

قلت له :

ـ لم يكلمنى أى إنسان فى هذه الحكاية، ولكنى عرفت بما يعرفه الآخرون من الحكاية، إننى أتكلم معك من الناحية الصحفية البحتة بعيداً عن أى مؤثرات أخرى .

توفيق الحكيم كان يعرف أن زوجته تكلمت مع حسين فوزى .

قلت له :

ـ أنا بالنسبة لى فى الأهرام هذا أمر جميل وله قيمة من الناحية الصحفية . تروح تكتب عن إسماعيل . وتربط الأمر بالذى كان بالماضى، بحكاية العوالم والرقص القديم وهواياتك الفنية القديمة . أنا لا أريد أن أقول لك كيف تفعل ذلك . لأنك أستاذ فى هذه الأمور، لكنى متأكد أنك ستكتب شيئا بديعا، وبالنسبة للأهرام فإن الأمر يساوى الخمسة آلاف جنيه . ولو كتبت فيها موضوعًا ثانيًا يمكن نشره أيضًا . وبنفس الشروط .

سألنى الحكيم :

ـ هل تعرف ماذا فعل معى إسماعيل؟!

وقبل أن أجيب استطرد قائلاً :

ـ ما هو ما يصحش إنك تضغط عليّ كده .

قلت له :

ـ ماذا ستفعل؟!

قال لى :

ـ أولاً خذ هذا الشيك من أمامى من أجل أن أعرف أن أتكلم حتى تستوى عمليات التفكير عندى .

قلت له :

ـ ماذا أفعل فى الشيك؟ هل أضعه فى جيبى؟ !

خاف الحكيم . وقال لى صارخًا :

ـ لا . لا . أعطيه لى أنا أضعه فى جيبى .

أخذ الشيك ووضعه فى جيبه ، وطبعًا كنا فى الليل عند إسماعيل ، وكتب الحكيم المقالة ، وانتهت الأزمة الرهيبة وعاد إسماعيل إلى البيت .

المحاورة السادسة عشرة

عبد الناصر ونجيب محفوظ

كتب ونشر مشروعه الروائي الأساسي في ظل حكمه
مشروع علاقة لم تتقدم إلى الأمام خطوة واحدة.
قصة نشر أولاد حارتنا مسلسلة في الأهرام.
لماذا اعتذر الأهرام عن نشر المرايا والحب تحت المطر؟!

ليس لأنه حصل على جائزه نوبل فى الآداب فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٨٨ ، بعد رحيل جمال عبدالناصر عن عالمنا بـ ١٨ سنة وبضعة أيام تقل عن الشهر .

ولكن لأن مشروعه الروائى تكون وعبر عن نفسه ووصل إلى ذروة ازدهاره الحقيقى فى زمن عبدالناصر وفى سنوات حكمه .

فثلاثية بين القصرين - قصر الشوق - السكرية ، منشورة فى الخمسينيات . وأولاد حارتنا مكتوبة ومنشورة مسلسلة فى جريدة الأهرام ، بصفة يومية - قبل أن يتنبه الأزهر لما فيها - فى نهاية الخمسينات .

أعماله التى انتقد فيها تجربة يوليو وحكم جمال عبد الناصر - كلها - منشورة فى زمن عبدالناصر ، جرى نشرها مرتين ، الأولى فى الأهرام - والقليل منها لم يتم نشره في الأهرام - والثانية عندما نشرت فى كتب ، وهكذا قرأ الناس لنجيب محفوظ : دنيا الله ، تحت المظلة ، المرايا ، اللص والكلاب ، ثرثرة فوق النيل ، السمان والخريف ، الشحاذ . فى ظل حكم جمال عبدالناصر .

التقدير الأدبى ، من حيث الكتابات النقدية الأساسية عنه ، تمت فى مصر الناصرية ، لم يحدث مثلها لا فى مصر الملكية ، ولا مصر التى جاءت بعد عبدالناصر .

تحويل أعماله الأدبية إلى السينما والمسرح والإذاعة والتليفزيون ، كان

عصرها الذهبى فى زمن جمال عبدالناصر، وبعده بدأ التراجع فى تناول أعماله، «هل ما زالت الناس تذكر أنه حتى أولاد حارتنا - التى يقولون إنها كانت ممنوعة - قد تم تحويلها إلى مسلسل إذاعى فى إذاعة صوت العرب فى الستينيات؟» حصل على أرفع الجوائز. ووصل إلى أعلى ما كان متاحا لموظف في مثل وضعه فى دولة عبدالناصر. بل لا يمكن القول الآن إنه تعرض لأى مضايقات من أمن جمال عبدالناصر - حتى عندما ذهب بنفسه - إلى سيد قطب فى داره بحلوان، يزوره. وكان سيد قطب - فى ذلك الوقت - من أعدى أعداء دولة عبدالناصر.

لكل هذا. لابد من الكلام عن نجيب محفوظ وجمال عبدالناصر . .

- فترة صمته التى يسميها فترة اليأس الأدبى من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩. ماذا عنها؟

. . **هيكل:** نجيب محفوظ كان قد انتهى من كتابة الثلاثية فى سنة ١٩٥٣، وإن كان يتكلم عن فترة صمت، فقد كتب بعدها، أى أنه كان صمتًا مؤقتًا. وربما يكون صمت الأديب وسببه أنه يفكر ويتأمل.

- هل كان جمال عبدالناصر يقرأ له. . ؟

. . **هيكل:** بالطبع كان جمال عبدالناصر يقرأ له.

- هل ناقشت جمال عبدالناصر فى قراءاته لنجيب محفوظ؟

. . **هيكل:** لا أظن إننا تناقشنا فى هذا الأمر، وأنا أخشى الآن وأنت تسألنى هذا السؤال، وأنا أحاول أن أجيبك عنه أن يحصل تداخل بين آرائى وبين آراء جمال عبدالناصر حول نفس الموضوع، خاصة بعد هذه الفترة الطويلة التى مرت. هنا أنا لا أريد أن أنسب كلامى إلى جمال عبدالناصر، أريد التفرقة بين ما قلته أنا وما قاله جمال عبدالناصر ذات يوم. إن الأمر يدور

حول الأمانة التاريخية أساسا، وما أقوله هنا على أنه كلامى أنا أساسًا يصبح كلامى أنا، وعندما يكون هناك كلام قاله جمال عبدالناصر أنسبه إليه بكل وضوح ممكن.

عندما جاءنى توفيق الحكيم، واقترح علىّ أن نضم نجيب محفوظ إلى الأهرام، طلب نجيب محفوظ أمرًا واحدًا، الانتظار حتى يصل إلى سن الإحالة إلى المعاش، أى عندما يصل إلى سن استحقاق المعاش الكامل. وأنا لم أكن أتصور هذا لأننا كنا سنعطيه مرتبا فى الأهرام أكبر بكثير من الذى كان يحصل عليه فى وقته. سألت نفسي: أى معاش يمكن أن ينتظره هذا الروائي المهم؟!

هنا توجد مسألة مهمة جدًا. وهى التعرض للتأثير الأوروبى والتأثير الغربى. ذلك أن الحضارة العربية والإسلامية عندما اعترضتها العصور المملوكية والعثمانية أوقفتها بشكل أو بآخر، ولهذا أصبح من الضرورى - بشكل أو بآخر أيضا، وهذا جرى على مستوى العالم كله - لكى نستأنف مسيرتنا الثقافية فى المكان الذى نوجد فيه، لا بد وأن نتصل بالعالم. إما عن طريق الذهاب إليه أو الإتيان به، وثقافاته وحضارته وكتبه إلى حيث نحن.

توفيق الحكيم ذهب إلى الغرب وبقى فترة هناك فى قلب الحضارة الغربية، وطه حسين فعل نفس الشيء، ولكن نجيب محفوظ بقى هنا، لم يتعرض سوى للتأثيرات المحلية. توفيق الحكيم كان يقول: أنا ونجيب محفوظ مثل النمل نحفر تحتنا، وأنت تطير مثل النحل، أحد مزايا نجيب محفوظ الجوهرية هي المحلية والارتباط بالمكان والناس.

- وعلاقة جمال عبدالناصر مع نجيب محفوظ؟!

.. **هيكل**: بالنسبة لعلاقة جمال عبدالناصر مع نجيب محفوظ. أنا

لاأتصور أنها تقدمت لأية مسافة إلى الأمام. لم تمش إلى الأمام. لقد قرأ له جمال عبدالناصر، واهتم بما نشرناه نحن له فى الأهرام وقرأه. . «أولاد حارتنا» عملت مشكلة. لابد من التأكيد على موقف مبدئى إن جمال عبدالناصر لم يخطئ فى هذا الميدان. كان موقفه المبدئى أن أى كاتب يكتب عملا أدبيا ينشره له، أو على الأقل لا يقف ضد نشره بأى حال من الأحوال، ومهما كانت الأسباب.

عندما بدأنا فى نشر «بنك القلق» القصة التي كتبها توفيق الحكيم في نقد دور المخابرات من الذى غضب؟! لقد كان عبد الحكيم عامر هو الذى غضب، واتصل بجمال عبدالناصر واشتكى، وقال إن العمل فيه كلام غير معقول، والرئيس اتصل بى. قال لى أنا لم أقرأ الحلقة التى نشرت من «بنك القلق» وكانت قد نشرت حلقة واحدة منها فقط، وكانت الحلقة الثانية على وشك النشر، وكانت تنشر مسلسلة فى الأهرام الأسبوعى، الذى كان يصدر يوم الجمعة من كل أسبوع.

عبدالناصر قال لى إن عبد الحكيم متضايق جداً من هذا النص، وقد اتضح بعد ذلك أن صلاح نصر، كان هو الذى قرأ الحلقة الأولى من «بنك القلق» وتكلم مع عبد الحكيم عامر، الذى غضب أكثر مما ينبغى بناء على كلام صلاح نصر. . اتصلت بعبد الحكيم عامر فوجدته فى حالة ثورة وغضب، ثم طلب منى الرئيس عبد الناصر الذهاب إليه ومعى الحلقة التى نشرت، وقال لى إن عبد الحكيم عامر سيكون عنده عندما أذهب إليه.

قرأ الحلقة الأولى التى كانت سبب غضب وثورة عبد الحكيم عامر. لمح ما فيها من أول فقرة، وأكمل القراءة ثم توقف بعد عمود ونصف.

توقف ونظر إلى عبد الحكيم عامر، وقال له متسائلاً:

- إذا كان توفيق الحكيم قد نشر يوميات نائب فى الأرياف وقت الملكية،

ألا يستطيع نشر «بنك القلق» فى وقت الجمهورية؟! هذا رايه ومن حقه أن يقوله. لابد وأن تنشر كاملة بدون أي حذف.

وهنا أفتح قوسا وأقول إن توفيق الحكيم قد قدم لى هذه الرواية، وهو يتصور أنها لن تنشر. كنا نجلس فى مجلس تحرير الأهرام وهو كان معنا. جاءنى، وقال لي:

- خد اقرأ دى. بس دى مش للنشر. أنا باجرب شيء معين فى الكتابة. إنها كتابة لنفسى وليست للنشر أبدًا.

قرأتها، وقلت له:

- سأنشرها.

قال لي:

- لا. لا. لا تنشرها. إياك أن تفكر فى هذا.

قلت له:

- اسمع، إن كانت عندك شجاعة الكتابة فستكون عندى شجاعة النشر، وبدأنا النشر. وبعد الحلقة الأولى حدثت واقعة عبد الحكيم عامر وجمال عبدالناصر. وأكملنا النشر؛ لأن هذا كان قرار جمال عبدالناصر.

- هذه قصة «بنك القلق». فماذا عن قصة «أولاد حارتنا»؟!

. . **هيكل:** نجيب محفوظ أعطى أولاد حارتنا لعلى حمدى الجمال، حيث كان نجيب محفوظ يزور على حمدى الجمال باستمرار فى مكتبه، وكان على الجمال مدير تحرير الأهرام فى ذلك الوقت، وقد أعطاه رواية أولاد حارتنا فى سنة ١٩٥٩.

على حمدى الجمال لم يقرأ الرواية؛ لكنه قال لى إن نجيب محفوظ وهو يعطيها له طلب منه قراءتها بشكل جيد وبعناية، وأضاف الجمال:

- يبدو أن فى الرواية لغمًا ما .

أخذت الرواية وقرأتها . أحضرتها معى إلى البيت ؛ لأن جو المكتب قد لايساعدنى على قراءة الرواية ، وأدركت مغزى تحذير نجيب محفوظ لعلى حمدى الجمال . استقر رأيى على النشر . تصورت من البداية أن بعض رجال الدين قد يحاولون وقف نشرها . لكل هذا . قلت سأنشر هذه الرواية بصورة يومية ، وكانت هذه هى أول مرة تنشر فيها رواية يوميا .

- ألم ترجع لجمال عبدالناصر قبل النشر؟!

. . **هيكل :** لم أجد سببا يدعوني لسؤاله . هذا عملي وأنا أمارسه . كنت متأكدا أن أحدا - خاصة من رجال الدين - لن يتمكن من التنبه لأهمية الرواية إلا متأخرا ، وهذا ما جرى فعلا عندما نشرت الحلقة السابعة عشرة . خلال النشر تحرك رجال الأزهر وأطلقوا طلقاتهم . الضجة قامت والدولة دخلت فيها ونحن كنا قد وصلنا إلى الحلقة العشرين .

- إذن لم يبدأ النشر أسبوعيا ، ثم تحول إلى يومى بعد حدوث الأزمة وتفاقمها؟!

. . **هيكل :** بدأنا النشر يوميا من الأول ؛ لأننى كنت مقدراً حدوث الأزمة منذ البداية . لم أكن أريد أن يتمكن أحد من وقف هذه الحلقات .

- هل كنت تتوقع المدى الذى وصلت إليه الأزمة من قبل؟

. . **هيكل :** فى الحقيقة لا . كان عندى فقط بعض القلق ، لم أكن أتصور أن يصل الأمر إلى هذا المدى الذى وصلت إليه .

قلت نعمل تجربة جديدة فى النشر ، حتى نرى إن كانت الرواية ستشد القارئ أم لا . من خلال النشر بهذه الطريقة الجديدة كنا ننشرها فى الصفحة

السابعة، أكثر قليلا من ثلث صفحة. بعد الحلقة السابعة عشرة وحتى الحلقة العشرين انقلبت الدنيا والأزهر أصدر بيانات، والدنيا انقلبت.

تحدث معي الرئيس عبدالناصر. سألني:

- أيه الحكاية؟!

وكان الرئيس قد قرأ بعض الحلقات.

قلت له:

- أنا كنت مدركًا لكل المحاذير قبل النشر، لكن هذه رواية لنجيب محفوظ.

يكمل الأستاذ هيكل:

- وعلى أي حال سوف ينتهي النشر خلال أيام.

ثم جاء قرار الأزهر بعد ذلك، وانطبق القرار على طبعها فى كتاب وليس على النشر مسلسلا فى الأهرام. الذى كان قد تم فى ذلك الوقت، ولم نكن نحن طرفًا فى قرار الأزهر، ولم تكن لنا صلة به.

- قال لى نجيب محفوظ إن جمال عبدالناصر أرسل له حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس، وقال له من الأفضل نشر هذه الرواية في كتاب خارج مصر!

. . **هيكل:** في حد علمي فإن الدكتور سيد أبو النجا هو الذى اتصل بنجيب محفوظ بعد ذلك من أجل نشر الرواية فى بيروت؛ لأن دار المعارف كان لها فرع هناك، وكانت لها صلات بدور نشر كثيرة في بيروت، وكانت تابعة للأهرام في ذلك الوقت.

- وأعمال نجيب محفوظ الأخرى: دنيا الله. السمان والخريف. تحت المظلة. الشحاذ. كيف نشرت؟ خاصة أن بعض أعماله فى هذه الفترة نشرت

بعيدا عن الأهرام. نشر رجاء النقاش رواية المرايا في مجلة الإذاعة والتليفزيون ابتداء من أول مايو ١٩٧١ بعد اعتذار الأهرام عن نشرها، ونشر رجاء النقاش في مجلة الشباب رواية الحب تحت المطر أواخر سنة ١٩٧٢، بعد اعتذار الأهرام عن نشرها. وقد استأذن رجاء النقاش محمد فائق وزير الإعلام في الحالة الأولى قبل النشر، واستأذن الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الشباب قبل النشر في الحالة الثانية!

.. **هيكل:** لابد أن أقول لك إن هذه الأعمال لنجيب محفوظ لم تعرض عليّ إطلاقا، بل قد أتجاوز وأقول إنني لم أقراها حتى الآن. بالطبع أنا لم أقرأ كافة أعمال نجيب محفوظ الروائية، لكني قرأت ما اعتبرته أنه أهمهما، أو ما نشره الأهرام منها. والسؤال الأكثر أهمية: لمَ فى العصر الذى يقولون عنه إنه عصر الدكتاتورية نشرت أعمال أدبية لكَل هولاء الناس: النفس الأخير لنجيب محفوظ، النفس الأخير لحسين فوزى، النفس الأخير ليوسف إدريس، النفس الأخير لتوفيق الحكيم. كل هذه الأنفاس الأخيرة عرفت طريقها إلى الناس فى زمن جمال عبدالناصر، وفى الأهرام بالذات وهي الجريدة الأقرب إليه - فسر لى هذا - أريد من يفسر لى هذه القضية، إن هذا جرى انطلاقا من فهم عميق لطبيعة دور الثقافة والمثقفين فى المجتمع.

- ورواية ثرثرة على النيل التى تنبأ فيها نجيب محفوظ بالهزيمة فى الخامس من يونيو!

.. **هيكل:** لقد قرأت هذا العمل ونشرته حتى دون مناقشته فيه؛ لأن العمل الأول الذى نشرناه فى الأهرام، وأثار العديد من القضايا. كان «بنك القلق» لتوفيق الحكيم. وقد تعرضنا لتفاصيل هذه الأزمة.

نشر هذا العمل. كان عبارة عن عملية فتح الطريق إلى إمكانية أن تنشر أى أعمال أدبية بعد هذا. كان قد تم وضع مبدأ أن الكاتب عن طريق كتابة

الرواية ونشرها وقراءتها له الحق في نقد أحوال المجتمع المصرى، ليس له حق الكتابة فقط، ولكن حق النقد أيضا.

كانت رواية أو مسرواية «بنك القلق» وهى نص يعتمد على السرد الروائى والدراما المسرحية ويجمع بينهما، قد فتحت طريقا وأرست مبدأ ووضعت تقاليد. وكل من جاء بعد هذا سار فى الطريق، واستفاد من المبدأ، واستظل بالتقاليد.

هذا كل ما جرى بالضبط.

المحاورة السابعة عشرة

أحمد بهاء الدين..
والمقابلة التى لم تتم!

الاتصال من خلال وسطاء.

قال هيكل لعبد الناصر..

- ماتشوف بهاء.

ورد عبد الناصر:

- ممكن يتلخبط، ثم إنه يقول لى كل شىء على الورق.

ـ نتكلم الآن عن علاقة جمال عبدالناصر مع أحمد بهاء الدين!

. . **هيكل:** من سوء الحظ أن جمال عبدالناصر لم يقابله ولم يجلس معه وجها لوجه، لكن العلاقة بالوساطة كانت متصلة وقوية. كان بهاء على اتصال بجمال عبد الناصر عن طريق مكتبه، وكان يبدى كل ما يراه من آراء. في البداية كان هناك سوء فهم نشأ من محاولة البعض تصوير بهاء وكأنه بعثيا، كان الهدف هو الإيحاء بأنه كان بعثيا منظما. . الحقيقة أن بهاء كان مؤمنا بالعروبة، والحكم القومي العربي، ومن هنا كانت صداقته لساسة ومثقفي البعث وغيرهم.

عندما نلقى نظرة على المثقفين الذين كانوا ظاهرين فى ذلك الوقت، نجد أن بهاء كان شخصية ضخمة، كان يكتب في مجلة الفصول. اعتقادي إنه كان مهتمًا بالفكر والفن والأدب فى البداية. بداية حياته الفكرية، لكن القضية القومية كانت تشده، والعالم العربى كان يشده، وذلك مثلما شد غيره من الذين كانوا يتكلمون عن القومية والفكر القومى، وعندهم تأصيل فكرى لقضية القومية: مثل ساطع الحصرى ومجموعة القوميين، الذين وضعوا الأساس التقليدى والنظرى للفكر القومى، وهناك الذين وضعوا الأساس الحركى مثل البعثيين.

ـ ماذا كان موقف الأستاذ فى ذلك الوقت مقارنة بموقف بهاء؟

. . **هيكل:** إنني عرفت ساطع الحصرى وجلست معه كثيراً، وأخذت

ساطع الحصرى إلى جمال عبدالناصر أكثر من مرة، وأخذت كل كتب ساطع الحصرى التى أصدرها تباعًا وأعطيتها لجمال عبدالناصر.

وكنت أتصرف كواحد من الموجودين فى المجال الثقافى. أخذت التقليدى الذى كان موجودًا وتعاملت معه. أخذت التأصيل الفكرى والتقليدى من أحسن من أعطاه، وهو ساطع الحصرى.

بهاء كان قريبا وصديقا للأحزاب العقائدية، وأظنني واثقا أن اتصاله بالقوميين العرب كان عن طريق صداقات وليس انتماءً لتنظيم.

ـ مثل من بالتحديد؟

. . **هيكل:** مثل صداقته مع سامى الدروبى الذى كان سفيراً لسوريا فى مصر. بهاء رأى أفكار البعث من زاوية أخرى مختلفة تمامًا عن ممارسات ميشيل عفلق وأكرم الحورانى، رآها عن طريق المثقفين مثل عبد الكريم زهور وسامى الدروبى.

لكن على أية حال. التقارير أمام جمال عبدالناصر كانت تقول إن بهاء كان بعثيا.

جمال عبدالناصر تأكد بعد ذلك أن بهاء ليس بعثيًا، وكان ذلك من خلال اشتراك بهاء فى أول مؤتمر بعد السويس. كان ذلك فى يناير ١٩٥٧ وكان مؤتمراً مهما جداً، كان لخريجى الجامعات، وكان مندوب مصر فيه محمد فؤاد جلال الذى اختار أحمد بهاء الدين ضمن أعضاء الوفد الذى كان معه، وفى هذا المؤتمر لمع أحمد بهاء الدين كثيراً، وبدون حدود لمع كقومى.

المشكلة أنه إلى أن لمع بهاء، كان قد أصبح من الصعب أن يجلس مع جمال عبدالناصر؛ لأن عبدالناصر كان قد قابل أناسًا كثيرين، وكانوا جميعهم قد

حولوا الرجل إلى أسطورة، وهذا لم يحدث مع عبدالناصر فقط، ولكن مع زعماء آخرين. عندك مثلاً نابليون. عرف الناس نابليون كثيراً، وبدون قيود قبل أن يصبح الإمبراطور، لكن بعد أن أصبح إمبراطوراً، أصبحت هناك قيود جعلت الناس تتخوف من فكرة اللقاء به. ديجول، كل المثقفين الذين عرفهم واتصل بهم، كان ذلك قبل أن يتحول إلى أسطورة.

عندما وصل جمال عبدالناصر إلى سنة ١٩٥٧، وسنة ١٩٥٨، كانت قد نشأت مشكلة فى أن يلتقى الناس مع عبدالناصر. كانت الناس تجلس مع عبدالناصر فينعقد لسانها. وجمال عبدالناصر كان يدرك فى هذه الفترة أن هناك أناس منتمين إلى نظامه، وأصدقاء لفكره، وشركاء حتى فى تشيكله، لكن ذلك لا يتطلب بالضرورة أن يراهم. هناك كان بهاء يتكلم ويكتب باستمرار ولكن قناته المفتوحة مع الرياسة مباشرة، كانت عبر سامى شرف ومنير حافظ.

ـ هناك من كتب أنه ـ أى بهاء ـ لم يقترب من مطبخ جمال عبدالناصر، فكيف كان مساهمًا بهذه الصورة وبهذا القدر؟!

. . **هيكل:** بهاء كان يعيش في قلب تجربة جمال عبد الناصر، وجمال عبدالناصر كان عنده كثير من التقدير لمزايا بهاء، وأعتقد أنه توقف عن اعتباره بعثيًا، مع أنه ظل لفترة يعتقد هذا بالنسبه له، يعنى من ناحية الهوى على الأقل. وهذه هى الفترة التى كان ـ مع الأسف الشديد ـ يمكن لبهاء أن يعمل فيها دوره مع جمال عبدالناصر.

لكن مع مجىء الوقت الذى كان قد تأكد فيه جمال عبدالناصر أن بهاء ليس بعثيًا، كانت الفرصة قد فاتت. أقصد فرصة إقامة الجسور مع جمال عبدالناصر.

المحاورة الثامنة عشرة

لماذا تعقدت العلاقة؟!

كيف كانت علاقة عبد الناصر بالشيوعيين؟

ماذا فعل عبد الناصر ثقافيًا بعد النكسة؟

ما هي قصة إذاعة القرآن الكريم؟

هل عبد الناصر هو بطل ثمن الخوف لنجيب محفوظ، ومعبود من طين لمحمود تيمور، وصح النوم ليحيى حقي، وعودة ذو الوجه الكئيب لصلاح عبد الصبور؟!

ـ نتوقف أمام هذه العلاقة المعقدة بين المثقف والسلطة!

. . **هيكل:** المثقف دائمًا فى حاجة إلى رعاية .

ـ ألا يعد طلب الرعاية خيانة للجماهير التى تقف وراء هذا المثقف؟

. . **هيكل:** لنأخذ حالة فولتير فى فرنسا ، عندما تضايق منه ملوك فرنسا . لجأ إلى الملك فردريك .

ـ كيف ترى طلب الحماية الذى يتقدم به مفكر فرنسى إلى ملك بلد آخر هو ألمانيا؟!

. . **هيكل:** فى ذلك الوقت فإن الإمارات المتنافسة والممالك المتحاربة ، وسيادة فكرة المسيحية لم تكن تجعل تناول الأمر بهذه الصورة ، وبنفس هذه الدرجة من الحدة .

إن فكرة الوطنية لم تنشأ إلا بعد الثورة الفرنسية . نحن كنا فى إطار الخلافة الإسلامية ، وأوروبا كانت فى إطار الفكرة المسيحية المقدسة ، والإمارات كلها كانت تتبع البابا .

هنا سنجد أن المثقف حتى عندما كان ينتصر على بعض السلطات ، فإنه بذلك يكون معتمدًا على سلطات أخرى ، وفى غيبة وطنيات قوية ، وعلاقات دولية ملتبسة لم تكن عند المثقف أزمة ضمير ، لم تكن عنده مشكلة وطنية .

ـ هل من نموذج آخر يقدمه لنا الأستاذ؟

. . **هيكل:** إن النموذج الصارخ لهذه الحكاية هو فولتير . الذى ترك فرنسا ولجأ إلى ألمانيا ، لو أنك أسقطت هذا الوضع فيما بعد ، ووصلت به إلى زمن هتلر مثلاً . تقول فوراً : هل من المعقول أن أهم فيلسوف ومفكر للحرية فى فرنسا يلجأ إلى ألمانيا ؟ ! لكن هذا يكون بإسقاط لعصر على عصر .

فى العصر الماضى يتكلمون عن استقلال المثقف عن السلطة ؛ لأن هذا المثقف كان يعتمد على سلطة أخرى ومن الممكن جدا أن هذه السلطة الأخرى ترعاه ، لكن المثقف بطبيعته الشخصية شخصية هشة جدًا ، ربما كانت ضعيفة ، إنه لا يستطيع حتى أن يحمى نفسه .

لماذا نذهب بعيدًا؟ لماذا لا نعود إلى المربع رقم واحد؟ إلى فكرة الشرعية . ألا يعد المثقف فكرة؟ عرِّف لى الشرعية . . أليست الشرعية هى القبول الطوعى للناس؟ القبول بحكم أو سلطة معينة . المثقف مخلوق لابد وأن يجد سندًا له .

ـ وسند الرأى العام الذى هو مصدر أى شرعية يمكن الكلام عنها !

. . **هيكل:** هذا السند الذى نتكلم عنه لم نعرفه سوى فى العصر الحديث . سند الرأى العام هذا مستجد من مستجدات العصر الحديث ، وقد عرفناه ـ مثلاً ـ فى حالة كاتب مثل سارتر الذى اعتمد على الرأى العام فى مواجهة سلطة الدولة فى موضوع الموقف من الثورة الجزائرية مثلاً . لقد وقف وفرض على السلطة الفرنسية ما لا تريد ؛ لأنه كان يعتمد على سلطة رأى عام مستنير يقف وراءه . . المثقف العربى لم يمر بهذه المرحلة أبدًا . ومن أجل أن تأخذ نموذجًا لها ، نموذجا فريدا لها ، حيا ، وعاصرناه جميعًا ، إنه طه حسين .

ـ باعتباره مثقفًا فى مواجهة سلطة !

. . **هيكل:** طه حسين هو نموذج للمثقف المقاتل، طه حسين بدأ فى قلب عائلة عبد الرازق، عائلة فى الصعيد. قدمت له هذه العائلة الرعاية والعناية لأنها كانت تعرفه، وكان كلاهما: طه حسين وعائلة عبد الرازق من المنيا معًا. هذه العائلة قدمت طه حسين إلى حزب الأحرار الدستوريين، رعاه أحمد لطفى السيد، وهو قطب من أقطاب الأحرار الدستوريين، وأصبح طه حسين كاتب الأحرار الدستوريين، أعادنا إلى التقاليد القبلية القديمة، يمدح الأحرار الدستوريين ويهاجم خصومها.

- ولكنه دخل فى مشكلات مع الأحرار الدستوريين بعد ذلك!

. . **هيكل:** هذا صحيح. حدثت مشكلات وصدامات و«رفده» صدقى باشا من الجامعة، وهكذا تنقل طه حسين بين جميع الأحزاب. إن الرجل الذى بدأ فى الأحرار الدستوريين انتهى به الأمر مع الوفد، بدأ مع الليبراليين وانتهى مع الإقطاعيين، بدأ ضد القصر، ويناكف القصر وانتهى وهو مع الملك فاروق، يقول له ما هو أكبر من الشعر فى حفل جامعة الإسكندرية، وهو وزير المعارف العمومية.

- هل يمكن مقارنة وضع المثقف فى بلادنا بالمثقف فى أوروبا، وذلك من خلال مثلين هما سارتر وطه حسين؟!

. . **هيكل:** من الظلم البين أن نقيس وضع المثقف فى بلادنا على وضع المثقف فى الخارج. فى أوروبا بالتحديد المثقف هناك عبارة عن نبات نشأ فى بيئة مختلفة.

فى بلادنا لم ينشأ رأى عام يستطيع أن يحميك إلا عندما نشأ قارئ يستطيع أن يشتري ما تكتبه، أوما تكتب فيه. قبل هذا كان المثقف موظفًا. هات لى نجيب محفوظ وهوموظف فى وزارة الأوقاف، ثم فى الرقابة. توفيق الحكيم

كان موظفًا فى وزارة المعارف العمومية . طه حسين كان موظفًا فى الجامعة ثم فى وزارة المعارف العمومية .

لم يكن هناك المثقف الذى يستطيع الاستغناء عن الحكومة ، لا يستطيع أن يفعل هذا أبدًا ، ثم كيف يتسق أن شخصًا ما يعمل موظفًا فى الحكومة والحكومة يمكنها أن «ترفده» وهذا حدث ، صدقى باشا رفت طه حسين من الجامعة . ألم يحدث؟ ! ثم كيف يستطيع هذا المثقف أن يعارض الحكومة التى هو موظف فيها؟ !

لا تسقط وضعًا على وضع ، أنا أعتقد أن المثقف الحقيقى لا يتزلف ، وأنا هنا أعود إلى سارتر وحتى عندما نصل إلى نقيض سارتر ، إلى كامى . كامى لم يتزلف .

ـ ولكنه وقف ضد الثورة الجزائرية بشدة!

. . **هيكل :** نعم . وقف كامى ضد الثورة الجزائرية ؛ لأنه كان من عائلة مستوطنة فرنسية فى الجزائر وعلى أى حال ، لقد وقف بمصالحه الطبقية أو بتربيته . لكن الاثنين عاشا فى عصر واحد . المثقف الحقيقى صاحب دعوة . فولتير لم يختبئ ، فولتير طلع . جان جاك روسو مجرد وجوده أحدث خللاً فى الواقع الذى كان قائمًا .

هناك شىء أساسى فى المثقف . إن المثقف ليس صاحب فكرة فقط ، ولكنه صاحب فكرة ولابد أن تصل إلى الناس . كل فكرة لا تصل إلى الناس تصبح عاجزة . هناك المثقف الذى يوصل فكرته إلى الناس بطريقة طبيعية ، و«تفوت» هذه الفكرة فى مسرحياته وفى مقالاته وفى كتبه وفى رواياته ، لكن المهم أن تكون الرسالة واضحة .

شكسبير عندما جاء نقد الملكيات ونقد حتى اليهود ، لم يكن متواريًا وهو

يفعل هذا، النصوص كانت واضحة لم تكن مباشرة، لكن النصوص كانت واضحة، والرسالة أيضًا كانت بنفس الدرجة من الوضوح.

وهنا أعود إلى سؤالك الذى سألته لى ـ ربما فى سياق آخر ـ عن قصيدة: عودة ذو الوجه الكئيب لصلاح عبد الصبور. وإن قصد الشاعر من وراء هذه القصيدة كان فلانًا، أو أنه أوحى بعض الرموز فى هذا العمل الأدبى أو ذاك.

ـ ماذا يفعل الأديب عندما يريد معارضة سلطة فى زمنها، ويخشى من بطشها ويخاف من سجونها؟

.. **هيكل:** إن أهمية أى مثقف هي:

١ ـ أن يقول كلمة واضحة ومحددة.

٢ ـ أن يقول كلمته من غير أن يستخدمها أى طرف آخر.

٣ ـ أن يقول كلمته فى وقتها وليس بعده.

أنا أقول إن الثقافة التزام، وعلينا أن نحدد التزاما بماذا؟! التزاما بالتنوير وعلى أوسع نطاق ممكن، وهذا التنوير يقتضى أن يكون هناك موقف حتى لو كان هذا الموقف من الإنسانية ومن الحرية، وليس بالضرورة أن يكون هذا الموقف مع أو ضد شخص معين، لكنه موقف مع أو ضد قضية من القضايا.

مريت غالى كمثقف، من الواضح أنه كان عنده موقف من قضية الأرض. محمد خطاب كان عنده موقف فى قضية الأرض، إبراهيم عامر كان عنده موقف فى قضية الأرض.. هنا أقول إن أهمية الموقف أنه ليس موقف اللعب مع السلطة ولكن بالضرورة أن يكون مع فكرة الحرية بالدرجة الأولى، مع فكرة التنوير، مع فكرة الوصول إلى الناس كرسالة للكاتب.

أما الكتابة بالرمز أو الغمز فهى استهتار حتى بمفهوم الثقافة، لا يفعله فى العالم سوى مثقفينا وهذا باعتقادى من بقايا الطغيان المملوكى والتركى. إن

دور المثـقف فى هذه الحـالة لا يخـرج عن التنبـيط على الـحـاكم من بعـيـد . لايقترب منه، وذلك بتأثير غياب الرأى العام، ولعدم وجود ممالك أخرى. بيتـهـوفن عـندمـا كـان يشعـر بالضـيق، كـان يرسل رسـالة مـعـينة من خـلال الموسيقى، أليس هذا هو حال المثقف عندنا؟ ولكن بيتهوفن عندما عرف أن نابليون جعل من نفسه إمبراطوراً، مزق سيمفونية البطولة التى كان يعمل فيها ولم يكملها أبداً.

إذا كـان المثقف مـوقـفًا، فـالموقف لا يـمكـن أن يعلن عن نفسـه بـالتـمـتـمـة الداخلية، التمتمة القادمة من الداخل لا تحرك أحدا، المثقف موقف، المثقف قضية، المثقف الحقيقى يحرك الناس، بدلا من مثقف يموت حتى قبل أن يقول أى شيء.

ماذا يعنى هذا؟ إذا لم يكن المثقف فى النهاية يحترم قضية التنوير وقضية تحرير الإنسان، قضية تنويره عقليا، وقضية تحريره اقتصاديا، وقضية استمتاعه بحريته كاملة، وملكاته ومواهبه وحصوله على حقوقه كاملة، إما هذا، أو أن يجد المثقف نفسه يعمل دانتيلا وترتر، ويطرز أشياء جميلة.

ـ نحن نتكلم عن عبدالناصر الرئيس. كيف كانت علاقته مع الشيوعيين؟ يقول الكاتب المعروف محمد سيد أحمد:

ـ إن جمال عبدالناصر عندما زار مجلة الطليعة التى كان يصدرها الأهرام قال للماركسيين:

ـ من حقكم أن تبشروا بالاشتراكية بكامل الحرية، كما كان يدعو القديس بطرس للمسيحية، ولكنى لن أسمح بأن تؤسسوا حقكم فى هذا التبشير على نجاحكم فى انتخابات تكسبكم شرعية فى مواجهتى.

ـ كيف ترى علاقة عبدالناصر والشيوعيين المصريين؟

. . **هيكل:** فعلا . إن العلاقة بين جمال عبدالناصر وبين الشيوعيين كانت معقدة جدا، وأذكر هنا أن جمال عبدالناصر قال لخروشوف إن الفكر الماركسى لا اعتراض لى عليه، وأعتبره رافداً من روافد الفكر الإنسانى، وقال له: أنا أعطيت الماركسيين جريدة المساء، وكان يقصد بذلك تجربة خالد محيى الدين فى المساء. ويكمل عبدالناصر لخروشوف: لأننى أعتقد أن اليمين فى مصر متمترس وراء قواعد كبيرة جدا، ولا يوجد عندى مانع أن الفكر الماركسى فى مصر يحرك اليمين العربى، يدفعه ويجعله أكثر تحركا للأمام مثلما حدث فى أوروبا مع المحافظين، عندما أخذوا أفكاراً كثيرة جدا من الأحزاب الاشتراكية، خاصة فى مجال التأمين الاجتماعى إلى آخر هذه الإجراءات.

ـ ولكن يقال إنه حدثت مشكلة بين جمال عبدالناصر وخروشوف حول هذا الموضوع!

. . **هيكل:** فعلا حدثت مرة مشكلة بين جمال عبدالناصر وخروشوف، كان عبدالناصر يقول لخروشوف: أنا ليس عندى موقف ضد الفكر الماركسى؛ لأننى أعتقد أن الفكر الماركسى عمل رافد تخصيب ومحفز.

المشكلة أن المترجم أثناء الترجمة الفورية بين الرئيسين «عبدالناصر وخروشوف» أخطأ فى الترجمة فقال سماد بدلا من كلمة تخصيب، وسأل المترجم جمال عبدالناصر: تقصد أنه سماد للأرض، فجمال عبدالناصر قال له: نعم هو نوع من المخصب يشجع على التفكير، رد المترجم باللغة العربية متسائلا: لا أعرف أن الفكر الماركسى قذر لهذه الدرجة! لقد فهم أن عبدالناصر يقصد الفضلات الإنسانية، وظهر بعد ذلك أن خروشوف زعل؛ لأن المترجم نقل له كلمة التخصيب باعتبارها تعنى مواد عضوية مخصبة، فاعتبر أن ذلك يشكل إهانة للفكر الماركسى.

ـ هل تكلمت معه حول هذا الموضوع؟

. . **هيكل :** لقد تكلمت معه في أي موضوع طرأ على باله أو على بالي ، أى موضوع طرح نفسه على الفكر أو على الواقع خلال السنوات من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ ، تكلمت فيه مع عبدالناصر أكثر من مرة واحدة .

كان جمال عبدالناصر يقول دائما للماركسيين إن الدعوة ليس لى عليها اعتراض ، وليس عندى اعتراض على أى دعوة من الدعوات أيا كانت ولايوجد اعتراض على أى فكر ، لكن القضية كانت عنده هى قضية السماح بالفعل ، بالعمل ؛ لأنه كان يعتقد أنه لو سمح للماركسيين بالعمل ، فكان لابد وأن يسمح للآخرين جميعا ولكافة التيارات الأخرى فى الواقع .

وحتى تتحقق نقلة الوعى والإدراك عند المواطن المصرى العادى ، فقد كان جمال عبدالناصر يقول إن أى انتخابات ستأتى لى بحزب رجعى أمريكي في الغالب ، وحزب دينى سعودي في الغالب ، وحزب شيوعي سوفيتى في الغالب ، ولا شيء سوى هذا ؛ لأن هذه هى القوى التى تشكل أحزابا قوية فى مصر ، وكان دائما يردد هذا الكلام .

بعد جمال عبدالناصر رأينا نحن الذين عاصرنا الأيام التى جاءت من بعده ، وخاصة بعد أن قامت الأحزاب فى مصر . الشيء الوحيد الجديد والذى زاد على ما قاله جمال عبدالناصر كان حزبا إسرائيليا .

ـ جاءت نكسة الخامس من يونيو ، فقرأ الناس التراث القديم ، خاصة أدب الأخرويات ، وعادوا إلى الدين ، خاصة الجانب الغيبى منه ، وبدأت مقدمات عادة ارتداء الحجاب عند نساء مصر وإطلاق اللحى لدى الرجال .

هذا ما يقوله البعض . وأنا أتسأل :

ـ ماذا فعل عبدالناصر ـ ثقافيا ـ بعد الهزيمة؟

ـ ماذا كان يقرأ؟

ـ وماذا تغير فى هذه القراءات؟

. . **هيكل:** هذا التفسير الذى تقوله لهزيمة الخامس من يونيو غير صحيح .

ـ ما هو الصحيح إذن؟!

. . **هيكل:** بعد الخامس من يونيو اكتشفنا وهذا طبيعى جدا أنه عندما يقع حدث غير قابل للتفسير ، فإن الناس تلجأ إلى الميتافيزيقيا والغيبيات .

لقد حدث فى أوساط مسلمى مصر وأقباطها شيء من هذا القبيل . أذكر مرة أننى ذهبت إليه ، وجلسنا وتكلمنا فى هذه الظاهرة ، واتفقنا على أن الناس مضطرة أن تستريح وتعود إلى الوراء قليلا أو كثيرا ، مثل حركة المياه العادية إذا عز عليها التقدم إلى الأمام ، فإنها لا تتوقف مكانها ، ولكن ترتد وتعود إلى الوراء مثلما يحدث مع المياه لو وضعت أمامها سدا من السدود تكتشف إنها تعود إلى الوراء .

المهم أنه بدلا من العودة إلى الوراء بالصدفة . لماذا لا تكون العودة له بالتخطيط؟ يتم ذلك من خلال أمرين : من خلال مجرى التاريخ ، ومجرى الإيمان الدينى ـ لكن المهم ـ لأى جانب فى الدين يسير هذا المجرى؟!

ـ كيف عبرت عن هذه الظاهرة فى الأهرام فى ذلك الوقت؟

. . **هيكل:** هنا لابد وأن تلاحظ أن الأهرام فى هذه الفترة بدأ يعمل مجموعتين من الأشياء ، الأولى : إجراء دراسات كثيرة عن تاريخ مصر الفرعونية ، والمعمار القبطى والإسلامى ، والثانية : التركيز على التاريخ المصرى الحديث ، والبطولات ، وحركة الجماهير ، مع محاولة لمس موضوع الدين ، ومحاولة الدخول إلى قلب هذه الفكرة .

لكن الحجاب لم يظهر فى هذه الأيام أبدًا . هنا يمكن القول إن بعض القوى

حاولت دفع الدين إلى قلب الصورة من ناحيتين : الناحية الأولى دفع الدين بقصد إحداث فتنة طائفية ، لكن كان هناك وعى كامل بهذه القضية . سواء عند المسلمين أو عند الأقباط ، وهذا الوعى كان كفيلا فى معظم الأحيان بمواجهة هذا المخطط .

وفى الناحية الثانية حدث استغلال للدين بمحاولة التعسف في تفسيره غيبيا ، وقام بهذا الدور المشايخ الذين نعرفهم جميعا ، والذين ما زالت أدوار العديد منهم مستمرة حتى الآن .

ـ وإذاعة القرآن الكريم . ألم تلعب دورًا فى ذلك السياق؟ أى توسيع مرجعية الدين فى المجتمع المصرى ، أو على الأقل البدء فى ذلك!

. . **هيكل :** إذاعة القرآن الكريم سابقة على هذا الذى نحن بصدده تماما .

ـ ما هى قصة إنشائها؟ هل كانت بناء على نظرية التوازن . أقصد التوازنات الذهبية؟! أى مع ضرب الإخوان المسلمين وحبسهم ، كان لابد من وجود ـ أو إيجاد ـ صوت إسلامى ينطلق من الدولة المصرية فى ذلك الوقت!

. . **هيكل :** القصة أبعد من ذلك كثيرا . هل تعرف قصة الدوائر الثلاثة فى بدايات الثورة؟ الدائرة العربية والدائرة الإفريقية والدائرة الإسلامية ، وهذه الدوائر وبجانبهم وفيهم ، وفي القلب منهم ، عدم الإنحياز .

مع الدائرة الإسلامية تم إنشاء أمرين : الأول هو المؤتمر الإسلامى الذى ذهب إليه أنور السادات ، وهو مؤتمر خاص بالنشاط الإسلامى ، والثانى كان إذاعة القرآن الكريم .

لكنهما كانا جزءًا من مشروع إسلامى سياسى معين ، نتكلم من خلاله مع العالم الثالث باعتباره حركة تحرر وطنى ، وعند الكلام عن الهدف من إنشاء إذاعة القرآن الكريم ، فإن الأمر المؤكد إنه لم يكن الهدف من إذاعة القرآن الكريم ، توسل بالدين ، إلى مقصد آخر أو إلى حماية معينة .

المحاورة التاسعة عشرة

من نزار قباني إلى سامي الدروبي

الأدباء والمثقفون العرب

قتلوك يا آخر الأنبياء

. . جسد جمال عبدالناصر الحلم القومي، كان آخر زعيم اعتبر البعد العربي مشروعه الجوهري والأساسي. كيف كانت علاقته مع المثقفين العرب؟

. . **هيكل:** أقول لك على شيء، أنت قد تفكر فقط في المثقفين المصريين أو المثقفين السوريين، جمال عبدالناصر كانت له صلة وعلاقة مع المثقفين العرب جميعا وكان يحب الجلوس والكلام معهم.

ـ مثل من؟

. . **هيكل:** الدكتور سامي الدروبي، المثقف العربي السوري الكبير الذي ترجم الأعمال الكاملة لدستويفسكي والروائي اليوغوسلافي إيڤو آندرتش، وعبد الكريم زهور، وكثير من المثقفين كان يحب الكلام والجلوس معهم، كان يحب أن يلتقي مع إخواننا من المثقفين القادمين من لبنان ويستمع إليهم ويتكلم معهم. كان يجلس مع رئيس الحزب الشيوعي اللبناني الذي لعب دوراً في المقاومة بعد ذلك. كان يحب كمال جنبلاط جداً ويقابله ويستمع إليه ويتكلم معه. كان كمال جنبلاط من الناس المقربين من جمال عبدالناصر جداً.

لا تنس أنه كانت عند جمال عبدالناصر اتجاهات أدبية، وكان مهتما بالأدب بصورة كبيرة. نحن نتكلم عن رجل كان يدرس التاريخ العسكري. كان

مهتما بشخصيات صنعت التاريخ، ولهذا كان إنسانيا فى رؤيته للتاريخ. وكان يستمع إلى الآخرين.

-كان لجمال عبدالناصر قصة طويلة مع نزار قباني!

. . **هيكل:** ابتداء. كان جمال عبدالناصر يقرأ كثيرا لنزار قبانى قبل أن يلتقى به.

-عندما قامت الوحدة المصرية/ السورية. أين كان نزار؟

. . **هيكل:** كان نزار فى السفارة السورية فى العاصمة الصينية بكين.

-كان سفيرا لسوريا هناك!

. . **هيكل:** لم يكن سفيرا لسوريا. كان ملحقا أو مستشارا فى السفارة. وكان «يولول» أرسل لى خطابا من بكين وكانت حكومات ما قبل الوحدة فى سوريا لا تحب الشعر ولا تحب الشعراء، لم يكونوا مؤمنين بحكاية الشعر والشعراء، وهكذا وجد نزار قبانى نفسه فى بكين.

كان ذلك فى سنة ١٩٥٨، وكانت هذه من أصعب المراحل هناك، حيث كانت من المراحل المبكرة فى عمر التجربة فى الصين، كانت الحياة مغلقة، وأرسل لى نزار قبانى خطابا طويلا عن السماء الرمادية فى بكين والثلج الأبيض.

الوحدة قامت فى فبراير سنة ١٩٥٨، وفى مارس أرسل لى نزار قبانى هذه الرسالة، التى يشكو فيها من وضعه والحياة هناك. كان يتكلم عن الصقيع، ذلك الصقيع الذى لا يمكن وصفه فى بكين، ولا يعرفه سوى الذى زار بكين فى الشتاء. بكين أكثر من بشعة فى الشتاء. برد لا يمكن وصفه بالكلمات لمن لم يعش هناك.

قرأت خطاب نزار قباني، وكلمت جمال عبدالناصر عن نزار، قال لى جمال عبدالناصر فورا وقبل أن أكمل الجملة الأولى:

- هوه فين؟!

قلت له:

- فى بكين.

حكيت له أنه أرسل خطابا لى يشكو فيه من الحياة هناك.

- ماذا فعل عبدالناصر لنزار. هل نقله من بكين؟

.. **هيكل:** نقله جمال عبدالناصر من بكين واختار له بنفسه، أن يذهب نزار إلى أسبانيا، وكان تعليقه وهو يبلغ توصيته لوزارة الخارجية، هناك في الأندلس سوف يجد الشاعر الأموي نفسه، ونفذت التوصية، وذهب نزار فعلا إلى الأندلس.

- هل جاء نزار إلى القاهرة وقابل جمال عبدالناصر بعد هذه الوقائع؟

.. **هيكل:** فى حدود علمى أنا، نزار لم يأت إلى مصر، ولم يقابل جمال عبدالناصر، وربما يكون اللقاء قد تم بعيدا عنى، ومن خلال إحدى القنوات الأخرى. وهنا أرجو أن تضع فى ذهنك حقيقة مهمة عن علاقة جمال عبدالناصر مع هؤلاء المثقفين، وفى هذه الحالة يمكن أن ندخل بعض المثقفين المصريين، مثل أحمد بهاء الدين ويوسف إدريس.

جمال عبدالناصر وموقفه من جماعة المثقفين، هناك فارق بين أن يكون الحاكم راغبا فى استخدام مفكر معين أو أديب معين، أو أن يكون الكاتب أو المفكر راغبًا فى أن يلعب هذا الدور مع الحاكم وبالتالى، يذهب هذا الكاتب أو المثقف إلى الحاكم وذلك من أجل أن يخلق لديه انطباعا معينا.

جمال عبدالناصر لم يكن يريد استخدام المثقف أو المفكر أو الكاتب، ولهذا

كان يرى أن مثل هذه المقابلات ذات الطابع الاجتماعى عادة يمكن أن تضيع وقت الكاتب ووقت الرئيس . ذلك أن المفكر يحضر وهو مسكون عادة بفكرة أنه سيقابل الرئيس ، ويعد نفسه من أجل هذا اللقاء ، وهذا يفقد اللقاء الكثير من تلقائيته وبساطته .

جمال عبدالناصر - وهذه النقطة تحسب له كثيرا - كان يعجب بأناس ، يقرأ لهم ويتابعهم ، ثم ينتهى الأمر عند هذا الحد ، وقد يكتفى بأن يبلغهم بهذا الإعجاب بصورة أو بأخرى ، لكنه لا يسعى أبدا لأن يجر هذا المثقف أو ذاك إلى مقابلة ؛ لأن هناك فطنة ؛ ولأنه لا يريد استخدام هذا المثقف أو ذاك ، أو أن يمارس ضغطا عليه ؛ ولهذا كان رأيه أن يترك المثقف يخلق ما يريد خلقه بعيدا عنه .

وقد ثبت صحة هذه النظرية ، عندما أخذت توفيق الحكيم إلى أنور السادات فيما بعد ، وذلك من أجل أن نسوِّى موضوع بيان الأدباء ، توفيق لم يقدم صورة مقبولة وجيدة للأديب عندما يقابل السلطان ، وقد تحدثنا عن هذا اللقاء فى مكان آخر .

جمال عبدالناصر كان يدرك إنه إذا دعا أديبا للقائه - وهذا الكلام حقيقى - فهو بذلك ، حتى دون أن يدرى لن يتكلم معه . كان عبدالناصر يقول إنه إن حضر له وتقابل معه لن يتكلم بتلقائية وكل هذا بدون داعى ، إن هذا كله لامبرر له .

عبدالناصر كان يكتفى بأن يبلغ رسالة عن طريق مكتبه أنه قرأ للكاتب الفلانى شيئا ، أو أن يقول هذا الكلام ويذيعه فى إذاعة صوت العرب مثلا .

فى ترشيحات جوائز الدولة التشجيعية والتقديرية وفى احتفالات عيد العلم ، كان هو الذى يضع بنفسه قوائم الناس الذين كان يرغب فى حضورهم هذه الاحتفالات ، وإن كان يريد تكريم كاتب ينادى عليه ويكرمه ، لكن حكاية

المقابلة الخاصة لا أظن أنه كان يسعى إليها، ولم يكن يرضى عنها، وهناك عدد كبير من الكتاب عاصروه ولم يقابلوه على انفراد أبدا.

-لنزار قباني قصيدتان. كتبهما بعد النكسة هما الممثلون والاستجواب وقد نشرهما في ديوانه: هوامش على دفتر النكسة. القصيدتان صودرتا في مصر وفي زمن جمال عبدالناصر!

.. **هيكل:** أريد أن أقول لك شيئا، في هذه الفترة، في أعقاب نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧، جمال عبدالناصر في اعتقادي، أعطى الحق مطلقا وكاملا لكل منتقديه؛ لأنه هو نفسه كان غاضبا من أحوال كثيرة جداً، وإذا قارنّا الآن ماغضب منه جمال عبدالناصر قياسا بما غضب منه الآخرون، نجد أن ما أغضب جمال عبدالناصر كان أكثر من هؤلاء الآخرين.

-هل قرأ جمال عبدالناصر القصيدتين؟

.. **هيكل:** من المؤكد أنه قرأهما، ومن المؤكد أنه أعجب بهما، وفي الغالب فإن تلك المصادرة كانت وظيفة أجهزة في الدولة أخذتها الحماسة.

-نزار قباني وقصيدتاه عن ١٩٦٧. لابد وأن يقودنا الآن إلى تجاوزات ما بعد النكسة التي مورست ضد بعض المثقفين المصريين!

.. **هيكل:** في كل عصر لابد من عمل ثلاثة قياسات، أولا: نقيسه بما كان قبله، ونقيسه ثانيا: بما كان في عصره، ونقيسه ثالثا: بما جاء بعده. وإن قست الذي جرى في ١٩٦٧ بما كان موجودا قبله، أقصد ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وليس ما قبل النكسة طبعا.

هنا لابد من معرفة أمور كثيرة وملابسات متعددة.

إن القياس. قياس هذا العهد بزمنه وفي ظل ظروفه الموضوعية بمثل ما كان يجري في العالم الثالث وفي الوطن العربي والعالم الخارجي، إنني أترك مهمة هذا القياس وتلك المقارنة لك.

لقد طلبت منك قياس ما جرى على ما كان يجرى فى العالم الثالث الذى كان معاصراً. بالعكس وسوف أطلب منك أن يكون هذا القياس مع العالم الأول الذى كان معاصراً أيضًا.

أمامك أمريكا، لكى يكون القياس مع ما كان يجرى فيها فى ذلك الوقت. تعال نتكلم عن تجاوزات المخابرات الأمريكية، وسنجد فى هذا المجال ما يمكن الكلام عنه بدون حدود، هناك أيضًا تجاوزات المخابرات البريطانية والمخابرات الفرنسية، وتجاوزات المخابرات الروسية، والصينية، والمخابرات العربية، كل هذا كان موجوداً فى هذا الوقت وبلا حدود.

لا يمكن القول إننا انفردنا بهذه التجاوزات. إن الذى فعلناه بأنفسنا عند الكلام عن هذه التجاوزات بعد ذلك، يكاد أن يصل إلى حدود العيب؛ لأنها فى النهاية تجربة من أهم التجارب التى مرت بنا فى حياتنا. ونحن الذين أشرنا إلى هذه التجاوزات، صحيح أنها كانت موجودة، ربما شكلت نقطة ضعف، ولكن العالم كله شاركنا فيها، والثورة المصرية كانت أكثر ثورة مستهدفة فى تاريخ العالم الثالث فى ذلك الوقت.

ـ عودة إلى المثقفين العرب. الدكتور سامى الدروبى، هل كان يقابل عبدالناصر؟

. . **هيكل:** نعم. كثيرا.

ـ عندما عين سفيراً لسوريا بعد الانفصال وقدم أوراق اعتماده للرئيس جمال عبدالناصر!

. . **هيكل:** لا. لم تكن المقابلة لهذا السبب طبعًا، تقديم أوراق الاعتماد هذه مسألة مقابلة رسمية. أنا أتكلم عن اللقاءات ذات الطابع الإنسانى بعيداً عن الرسميات، عبدالناصر رآه عند الكلام عن حزب البعث، وحزب البعث

كان فيه الأستاذ ميشيل عفلق وصلاح البيطار ومجموعة أخرى، وقد شاركوا فى انقلابات كثيره جداً.

لكن الناس الذين كان جمال عبدالناصر يحبهم كانوا من نوع خاص، مثل جمال الأتاسى وسامى الدروبى الذين كانوا يمثلون شباب المثقفين وأساتذة الجامعات الشبان، الذين عادوا من البعثات فى فرنسا كان يراهم، وهو يتكلم مع حزب البعث.

كان جمال عبدالناصر يقول إنه لا يريد وحدة اندماجية، والثوريون الشبان كانوا قادمين من سوريا، عسكريون ومدينون يقولون لجمال عبدالناصر نحن نريد هذه الوحدة الاندماجية. إن الذى ضغط على عبدالناصر لم يكن فقط الضباط الذين قالوا له إن الدولة فى خطر، لكن أيضًا شباب البعث المثقف، الشباب المثقف فى حزب البعث. الذين كانوا حريصين على سوريا والذين كانوا قلقين خوفًا من تدخل عسكرى يقوم به حلف بغداد في سوريا، وتنامى الدور العسكرى فى سوريا.

كان رأيهم هو الإلحاح على الرئيس عبدالناصر بشدة من أجل إتمام هذه الوحدة الإندماجية. ومن هؤلاء كان سامى الدروبى. الناس تتصور أن الذين ألحوا كانوا الضباط فقط من أجل الإحساس بالأمن، ولكن أيضًا مثقفى سوريا الشبان القوميين كان موقفهم مفهومًا ومنطقيًا، وبالتحديد شباب البعث، كان رجاؤهم ورأيهم أنه لابد من هذه الوحدة الاندماجية؛ لأن الأزمة استحكمت.

سامى الدروبى فى إطار الكلام مع الحزب ورؤية الحزب، عندما كان الرئيس يلتقى مع القوميين العرب كان يرى أيضًا شبابهم، كان يرى الصف الثانى ومع البعثيين كان يشوف الصف الثانى.

ـ قال الشاعر العراقى الكبير محمد مهدى الجواهرى عن جمال عبدالناصر بعد وفاته، إنه كان عظيم المجد والأخطاء.

. . هيكل: ولم لا. ؟! جمال عبدالناصر عظيم المجد هذا كلام حقيقى، ولكن إنه عظيم الأخطاء، مسألة فيها نظر، بالتأكيد جمال عبدالناصر كانت له أخطاء، ولكن القول أنه كان عظيم الأخطاء، فذلك كلام إنشائي.

إن التطورات الجارية فى العالم اليوم، وكذلك إن اكتشاف حقائق كثيرة جدًا مما كان جاريًا ومستوراً فى ذلك الوقت ولم يكن أحد يعرفه فى وقته.

فى زمن جمال عبدالناصر لم يكن واضحًا الدور الذى يقوم به الأمريكان وإلى أى مدى. كذلك إسرائيل ماذا كانت تفعل وإلى أى مدى تصل هذه الأدوار. لم يكن واضحًا أمامكم ما هو القصد الأمريكى.

من أجل معرفة نوايا أمريكا، وماذا تريد منا، أنور السادات أعطى أمريكا كل شىء بعد رحيل جمال عبدالناصر. تعال نرى ماذا أعطت هى لمصر فى المقابل، مقابل حصولها على كل شىء، لقد طلبت تحجيم القومية العربية وحصل، طلبت تقليص دور مصر العربى والدولى وحصل. كل ما لا يمكن تصوره طلبته أمريكا، وقد تمت الاستجابة لكل هذه الطلبات.

الفارق بين ما كنا فيه فى الستينيات وحتى أوائل السبعينيات، وبين الحاصل الآن، جمال عبدالناصر تصدى للأمريكان، وكان يتكلم عن استقلال الأمة العربية، وكانت تلك هى معركته التى دخلها، وهناك معارك أخرى فرضت عليه، ولم يسع إليها.

المحاورة العشرون

عبد الناصر وأدباء العالم

سارتر

وسيمون

ومالرو

ومونتجمرى..

وقدرة عبد الناصر الفريدة على الاستماع

ـ لم تتوقف معرفة الأستاذ عند حدود علاقات الرئيس جمال عبدالناصر وأدباء مصر والوطن العربى، والعالم الثالث، ولكن هذه المعرفة والمعاصرة امتدت إلى مثقفى العالم ورموزه الفكرية وعلاقاتهم مع عبدالناصر . كيف كانت هذه العلاقة؟!

. . **هيكل:** هنا أريد أن أقول شيئًا . تستطيع أن تقول عن جمال عبدالناصر إنه كان أكبر مستمع . من أكبر المستمعين فى التاريخ .

ـ وما الذى جعله مستمعًا بهذه الصورة؟!

. . **هيكل:** إما لأنه بطبيعته يحب الاستماع، ومن الممكن القول: لأنه كان مهتمًا بالتاريخ، كان يحب الاستماع، ومن الممكن القول أيضًا: لأنه كان مهتما بالأمن، كان يحب الاستماع ـ ما تريده قله، فسر الأمر كما تشاء ـ لكن أنا لا أعرف زعيما أو سياسيا عنده كل هذا الفضول للمعرفة مثل جمال عبدالناصر، وعندما يقابل مفكرا مثل سارتر مثلا .

ـ هل حضرت لقاءه مع سيمون دى بوفوار وسارتر؟

. . **هيكل:** لقد كنت مضيفهما، وحضرت لقاءهما مع رئيس الدولة، وحضرت معهما اللقاء من أوله إلى آخره، وفي هذا اللقاء جمال عبدالناصر كان مستمعا أكثر مما كان يتكلم، كان دائما هو السائل، كان صاحب السؤال،

كان يكثر من طرح الأسئلة مع أن الحاكم يُسأل «بضم الياء» فقط، ولا يَسأل «بفتح الياء».

لقد نشرت جزءا من محضر اللقاء كما جرى في حينه في كتابي «الانفجار». أعتقد أنهم ناقشوه أيضا في حكاية حقوق الإنسان، وهو تكلم معهم عن حقوق الإنسان، وكلموه عن اليهود وعن إسرائيل، وهو شرح لهما موقفه من اليهود ومن إسرائيل، وقال إنه ليس عنده عداء تجاه اليهود، وإنه رأى يهودا كثيرين في حياته، وإنه لا مشكلة له معهم، لكن إسرائيل مشروع الصهيونية عنده مشكلة معها ومعهم، وهذه المشكلة عربية ومصرية. ومع هذا كان يحب أن يستمع أكثر ويَسأل أكثر.

- كيف كان عبدالناصر يستعد لمثل هذه اللقاءات عادة؟

. . **هيكل:** لقد رأيته وهو يقابل مونتجمري. كان يعد نفسه قبل هذه اللقاءات للاستماع أكثر مما كان يعد نفسه للكلام. عندما قابل سارتر وسيمون دى بوفوار نجد في هذا اللقاء الآتي: أولا المقابلة استغرقت ثلاث ساعات ونصف، جمال عبدالناصر تكلم خلالها ثلث ساعة فقط، لكن سارتر وسيمون هما اللذان تكلما أكثر.

بدأ جمال عبدالناصر يسأل عن الوجودية، ويعود ويسأل عن التعارض بينها وبين الإيمان بالله، وكانت المنطقة التي تكلم فيها هي منطقة الإيمان الديني، ثم تكلما عن فلسطين واليهود وحقوق الإنسان، وتكلما عن موقفيهما من فيتنام، وقال لهما إن فيتنام قضية أخرى.

سألته سيمون دى بوفوار عن تعدد الزوجات وأدخلت هذه القضية في حقوق الإنسان من زاوية الكلام عن حقوق المرأة، وعبدالناصر قال لها فرقى بين إباحة لا تستعمل، وأنت تتصورينها ترخيصا ممنوحًا لكل الناس.

بالدرجة الأولى كان عبدالناصر حريصا على أن يعرف، وأول معرفته أن يستمع .

ـ هل كان عبدالناصر حريصا على مقابلة كل الأدباء والكتاب الذين جاءوا إلى مصر فى زمنه؟

. . **هيكل :** كل من جاء إلى مصر من الأدباء والكتاب فى زمنه قابلهم جمال عبدالناصر، وتكلم معهم واستمع إليهم .

ـ وعن السبب في أن عبد الناصر يتكلم قليلا ويستمع أكثر يقول الأستاذ .

. . **هيكل :** قد يكون وراء ذلك حالة من الحذر وربما كانت حالة من الخجل .

ـ الخجل ! عبدالناصر كان خجولا !

. . **هيكل :** من الأمور التى كانت ملحوظة عن جمال عبدالناصر أنه كان خجولا اجتماعيا . عندما تكون هناك مناسبة تجمع السيدات مع الرجال . كان يريد جلوس الرجال مع بعضهم . والنساء يجلسن مع بعضهن ؛ ربما لأنه كان محافظًا اجتماعيا .

ـ هل كانت ثمة حوادث عبرت عن هذا فى حياته العامة أو الخاصة؟

. . **هيكل :** كنا قد ذهبنا إلى اليونان فى زيارة، وكانت السيدات معنا، وكنت موجودا فى هذه الزيارة، وكان معنا على صبرى والدكتور محمود فوزى «كان موجودا طبعا» وأعتقد أن زكريا محيى الدين كان موجودا، وطبعا الرئيس كان قبلنا جميعا، وزوجاتنا كن معنا، وذهبنا جميعا إلى اليونان بالسفينة المحروسة .

وكانت معنا زوجاتنا لأن الطرف اليوناني كانت معه زوجاته، وكانت معنا أيضا بنات الرئيس عبدالناصر، هدى ومنى . أنا متأكد أن هدى كانت

موجودة، وإن كنت غير متأكد أن منى كانت موجودة والرئيس وأسرته كانوا ينزلون فى قصر فى أثينا.

والاحتفال الأساسى كان سيقام فى قاعة الاحتفالات الكبرى فى القصر الذى كان ينزل فيه الرئيس عبدالناصر. كان من المفروض أن الرئيس عبدالناصر وتحية هانم سينزلان من على سلم القصر، وسيكون الملك پول والملكة فردريكا ينتظرانهما أدنى السلم.

ثم إن الرئيس عبدالناصر من المفروض أن يأخذ الملكة فردريكا، تضع يدها على يد الرئيس ويمشيان معا، ويدخلان إلى القاعة، ووراءهما يدخل الملك پول ومعه السيدة تحية.

ونحن نقف على السلم، الدكتور محمود فوزى وأنا، والسيدات يجلسن فى أماكنهن، والرجال يجلسون فى أماكنهم، والرئيس عبدالناصر نزل من فوق ومعه قرينته السيدة تحية، والملك والملكة يقفان، ونحن نتكلم وأنا كنت أعرف الملكة فردريكا منذ الحرب الأهلية فى اليونان، وكنا نتكلم فى أمور كثيرة توجبها مثل هذه المناسبات عادة.

نزل الرئيس فمدت الملكة فردريكا يدها للرئيس عبدالناصر وحسب قواعد البروتوكول المقررة سلفا. مفروض أن يضع عبدالناصر يده عليها لمدة ثانية. كانت السيدة تحية قد وصلت إلى حيث يقف الملك، وفى جزء من الثانية مد الرئيس يده إلى الملك پول قائلا:

ـ دا كلام ما ينفعش.

ومشى مع الملك وقال لزوجته تعالى مع الملكة «تعالوا أنتو ورانا». أنا شفت الملكة فردريكا ضحكت ـ وهى كانت ست ظريفة ـ قلت لها:

ـ لا تضيعي وقتا في البروتوكول فرئيسنا قادم من أكثر المناطق محافظة فى مصر.

وعبدالناصر مسك يد الملك، وأخذه من ذراعه ودخلا هما الاثنان: الرجال أولا، ثم السيدات بعد ذلك.

ـ وعندما جاءت سيمون دى بوفوار بصحبة سارتر. هل تعامل معها باعتبارها امرأة؟

.. **هيكل:** عندما حضرت سيمون دى بوفوار إلى مصر استقبلها واستمع إليها طويلا، وهى كانت فى حالة انبهار به، كان يعرف أشياء عنهما، وحكايات ذات طابع أدبى.

ـ وعبدالناصر والشاعر السوفيتى ـ فى ذلك الوقت ـ يفتشنكو!

.. **هيكل:** أعجب بطريقة إلقائه للشعر، ولكن شعره عندما كان يترجم إلى العربية كان يفقد الكثير من عناصر جمالياته، وكان يفقد الكثير من إيقاعه ومصادر روعته. إن قراءة الشعر ـ بالذات ـ مترجما مسألة لابد من إعادة النظر فيها.

لكن السوفييت قدروا اهتمامه بالباليه، ولذلك أرسلوا إلى مصر أيرينا الينوفنا التى كانت قد اعتزلت، وكان قد طلب أن يشاهدها فى بحيرة البجع. ويبدو أنه لم يكن يعرف أنها قد اعتزلت، ولذلك أنا ما زلت أذكر ذلك حتى الآن أن خروشوف قال إنها اعتزلت. فعبدالناصر قال خلاص بقى، ولكن السوفييت أحضروها من الاعتزال وكانت سعادتها لا توصف بهذا الطلب من قبل عبدالناصر، وعندما جاءت شكرته أولا، ولكى تدرك حجم شكرها وامتنانها لعبدالناصر لابد وأن نتصور أولا حالة ستار الاعتزال الذى يسدل على من تعتزل، وكان قد مضى على اعتزالها سنة.

ـ من أين كان قد عرفها؟!

.. **هيكل:** كان السوفييت قد أرسلوا له فيلما لأيرينا الينوفنا. وعندما

ذهب إلى موسكو قال إنه يريد مشاهدة الباليه، وأداء أيرينا الينوفنا وبالتحديد بحيرة البجع، وذهبوا وعادوا بالفنانة من الاعتزال. كانت فقط تذهب لتدرس فى البولشوى ثم جاءت إلى مصر من أجل أن تشكر جمال عبدالناصر على هذه اللفتة الكريمة منه والتى أسعدتها بدون حدود.

بعدها جاءت النجمة العالمية مايا فيروبلتسكايا، فطلب أن يذهب مرة أخرى إلى الباليه، وأن يشاهد هذه المرة كسارة البندق.

* * *

فى كتاب محمد حسنين هيكل. «حرب الثلاثين سنة ١٩٦٧ الانفجار». وفى الباب الخامس من الكتاب والذى عنوانه: ضباب الحرب. وفى الفصل الأول من هذا الباب الذى كان عنوانه: أوراق مختلطة. وابتداء من الصفحة ٤١٠ وحتى الصفحة ٤١٦ يقدم الأستاذ وقائع لقاء سارتر وسيمون دى بوفوار مع عبدالناصر هكذا:

* وفى يوم ٩ مارس ١٩٦٧ كان «جمال عبدالناصر» ـ فى مثال ثان ـ يستقبل زائرين يختلفان تمامًا عن الفريق «عبد الرحمن عارف» والوفد العراقى المرافق له. كان الزائران هما الفيلسوف الفرنسى الشهير «جان بول سارتر» ومعه الكاتبة الفرنسية الكبيرة «سيمون دى بوفوار»(١). كان «جمال عبدالناصر» مهتما بلقاء «سارتر» و «دى بوفوار» وهما وقتها طليعة حركة التجدد الثورى فى فرنسا وفى أوروبا، فضلا عن أن «سارتر» كان مؤسس المدرسة الوجودية فى الفلسفة، وكانت «سيمون دى بوفوار» حليفه الضخم فى معركة إعادة اكتشاف وتجديد حيوية المجتمعات الأوروبية فى فترة منتصف الستينيات وما

(١) كان «جان بول سارتر» و «سيمون دى بوفوار» ضيفين علىّ فى القاهرة كرئيس لتحرير «الأهرام» وقتئذ لمدة عشرة أيام. وقد حضرت لقاءهما مع الرئيس «جمال عبد الناصر».

حولها، وفى نفس الوقت كان «سارتر» و «دى بوفوار» متشوقين للقاء «جمال عبدالناصر»، ويظنان أن لديهما الكثير يقولانه له ويسمعانه منه.

* وتسجل الصفحة الأولى من محضر الاجتماع ترحيب «جمال عبدالناصر» بالاثنين، ثم قول «سارتر» إنه رأى السد العالى وزار الأرض الجديدة المستزرعة على مياهه، كما شاهد المجتمعات السكانية الجديدة التى تقدمت إلى الحياة بعد تراجع الصحراء، ثم أضاف أنه لم يكن يعرف الكثير عن الثورة المصرية، وما كان يعرفه كان أكثره - بصراحة - من مصادر إسرائيلية أو غربية قد تكون معادية لمصر، بل إنه يستطيع أن يشهد بهذا العداء بعد أن رأى ما رأى فى مصر، لكنه يرى من واجبه أن يثير إلى جانب هذا موضوعا آخر يتعلق بحقوق الإنسان. فمنذ وصل إلى مصر تلقى فى فندقه عددا من الخطابات يشكو له أصحابها من ضغط واقع عليهم، وبدأ «جمال عبدالناصر» يتحدث.

* وتسجل الصفحة الثانية من المحضر قوله لـ «سارتر»:

«إننى لست فى حاجة إلى أن أطلب من أجهزة الأمن أن يبحثوا لى عن مرسلى هذه الخطابات إليك، فأنت وأنا نستطيع أن نتصور نوع الناس الذين يعرفون فى مصر عنك وعن السيدة سيمون دى بوفوار. بالطبع إنهم الطبقة التى تقرأ الفرنسية أو تقرأ غيرها من اللغات الأجنبية وتتابع الأدب العالمى، وأنا لا ألومهم إذا وجدوا سببا لأن يكتبوا إليك. أستطيع وتستطيع معى أن تقطع أنهم من كبار الملاك السابقين وقد حددنا ملكياتهم ولا أظنهم يحبون ذلك أو يقبلونه، وهم لا يستطيعون وقف حركة الثورة، وبالتالى فإنه لا مانع عندهم من أن يشتكوا إلى كل من يتصورون أنه قادر على سماع صوتهم وعلى إسماعه. فهذه هى الطبيعة الإنسانية وأنا أفهمها، ولكنى فى الوقت الذى أرى فيه دموع الأغنياء لابد أن أتذكر قهر الأغلبية التى كانت غريبة فى وطنها لاتملك فيه شيئا».

* وتسجل الصفحة الثالثة من المحضر قول «جمال عبدالناصر» لـ «سارتر» و «دى بوفوار» :

«إن الناس بالطبيعة محافظون، والملكية غريزة طبيعية فى الإنسان، فإذا أردت أن تقوم بتغيير فى أوضاع الملكية فإنك لا تصطدم بالغريزة الطبيعية لدى الذين تمسهم إجراءاتك فحسب، وإنما تصطدم بالغريزة الطبيعية لكثيرين ليسوا الآن من كبار الملاك، ولكنهم يحلمون أن يصبحوا كذلك فى يوم من الأيام» .

* وتسجل الصفحة الرابعة من محضر الاجتماع قول «جمال عبدالناصر» لـ «سارتر» و «دى بوفوار» :

«إن مرحلة الانتقال من مجتمع تسيطر فيه القلة إلى مجتمع تتحقق فيه عدالة التوزيع عملية فى منتهى الصعوبة، كما أن مرحلة الانتقال هذه هى أخطر المراحل فى حياة المجتمعات لأن التنظيم القديم للمجتمع يكون قد تهاوى، فى نفس الوقت لا يكون التنظيم الجديد لهذا المجتمع قد قام بعد» .

وتدخلت «سيمون دى بوفوار» فى الحديث فسألت عن تعليم المرأة وتعدد الزوجات وتأثير الدين فى حياة المجتمع، ثم أضافت إلى هذه الكتلة من الأسئلة سؤالا آخر عن مشكلة زيادة عدد السكان .

* وتسجل الصفحة التاسعة من محضر الاجتماع عن «جمال عبدالناصر» قوله لـ «سيمون دى بوفوار» :

«إننى لا أريدك أن تأخذى بمقولة إن الإسلام يمكن أن يكون عائقا للتطور، فميزة الإسلام فى رأيى أنه دين مفتوح على كل العصور وكل مراحل التطور، وأنا دائما أنقل عن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - قوله داعيا الناس للاجتهاد إزاء مستجدات العصور «أنتم أعلم بشئون دنياكم» .

وبالنسبة لتعدد الزوجات فأنا لا أرى أن الإسلام يتركها رخصة مفتوحة

وإنما هى رخصة مقيدة بشروط تجعل التعدد صعبا بل تكاد تجعله مستحيلا . والدليل على ذلك ما نراه عمليا أمامنا ومؤداه أن ظاهرة تعدد الزوجات تتلاشى تدريجيا فى المجتمع المصرى .

وأما عن تعليم المرأة ، وأنا أعتبره الأساس الحقيقى لحريتها ، فسوف أطلب من مكتبى أن يبعثوا إليك بإحصائيات عن عدد «البنات» فى مراحل التعليم المختلفة ، وكذلك فى مجالات العمل . فى مجتمع المدارس والجامعات الآن أكثر من مليون فتاة ، وفى مجالات العمل المختلفة الآن حوالى ٢ مليون سيدة تعمل . وفى رأيى أن هذه حركة التطور حية ومرئية ، وأنا أعرف أن بعض المشايخ قد يقفون على منابر مساجدهم ليقولوا كلامًا آخر ، ولكن كلامهم فى اعتقادى غير مؤثر ؛ لأن ضرورات التطور أقوى من كل ما يقولون .

أما بالنسبة للزيادة فى عدد السكان فأنا أعرف أنها مشكلة قائمة . فهناك زيادة سنوية فى عدد السكان تقدر بـ ٨٠٠ ألف . وفى أول الثورة كان تعدادنا ٢٢ مليون ، واليوم نحن ٣١ مليون .

وتدخل «سارتر» فى المناقشة ليقول إنه لابد من إيجاد حل على مستوى الدولة لهذه المشكلة . واستطرد «جمال عبدالناصر» مستكملا عرض رأيه قائلا :

«تستطيع أن تقوم بحملات دعائية كما تشاء ، نحن أقمنا لجانا لتنظيم الأسرة فى كل المدن والقرى ، وفى رأيى أن الحل الحقيقى ليس فى أى حملات دعائية . الحل الحقيقى فى زيادة الإنتاج عن طريق استصلاح الأراضى والتصنيع ، وكذلك فإن التعليم فى رأيى هو أهم عنصر ؛ لأنه يبدو لى من الإحصاءات أن أبناء المتعلمين أقل من أبناء غير المتعلمين . فالمتعلم ينظم حياته على أساس موارده ، وأما غير المتعلم فيترك المسائل للمصادفات» .

ومرة أخرى قاطعه «سارتر» قائلا : «إن واحدا من المحافظين قال لى إن

المشكلة مشكلة كهرباء، فعندما يتم استكمال مشروعكم لكهربة الريف فسوف يدخل التليفزيون على أوسع نطاق، وسيكون من أثر هذا أن الناس سيجدون شيئا آخر يسليهم غير ممارسة إنجاب الأطفال».

ومضى «جمال عبدالناصر» يستكمل حديثه ضاحكا وقائلا لـ «سارتر»: «لكن المشكلة أنه حتى إذا عممنا التليفزيون، فإن برامجه تنتهى فى الساعة الحادية عشرة والنصف وبعدها فإن الليل طويل، ولا يزال تقديري أن التعليم وزيادة الإنتاج تقدم أحسن وسائل للحل. على سبيل المثال كان عندى عشرة أخوات، وأحد أصدقائى وهو الماريشال «عامر» كان عنده ١٣ أخ، ولكنى الآن عندى خمسة أولاد، وأتصور أن أيا من أبنائى سوف يجد من الصعب عليه أن يكون عنده أكثر من اثنين أو ثلاثة».

* وتسجل الصفحة ٢٨ من محضر الاجتماع حوارا بين «جمال عبدالناصر» و«سارتر» جرى على النحو التالي:

* سارتر: «إن اليسار فى أوروبا لا يستطيع أن يفهم موقفكم من حل الحزب الشيوعى المصرى. لقد سمعنا أن هذا الحزب قد حل نفسه بنفسه ولا نتصور أن حزبا شيوعيا يتخذ مثل هذا الإجراء إلا تحت الضغط».

* جمال عبدالناصر: «أى يسار فى أوروبا هذا الذى تتحدث عنه؟ هل هو يسار الاشتراكيين فى فرنسا الذين يقودهم جى موليه والذين رأيناهم متواطئين فى العدوان علينا سنة ١٩٥٦ مع الاستعمار البريطانى ومع إسرائيل؟».

* سارتر: «أنا لا أقصد موليه ولا أقصد الاشتراكيين الفرنسيين. الاشتراكيون الفرنسيون ضيعوا كل اختياراتهم التاريخية وانتهوا بالتحالف مع اليمين ولذلك فإنهم خانوا».

* جمال عبدالناصر: «الحقيقة أننى أسائل نفسى كثيرا هذه الأيام عن معنى

هذه التعبيرات التى نستعملها بما فيها تعبير «الاشتراكيين». هذه التعبيرات في رأيي تحتاج إلى صياغات جديدة، وعلى أى حال فسأعود إلى سؤالك. نحن لم نمارس أى ضغط على الحزب الشيوعى لكى يحل نفسه، وأظن أن عناصر كثيرة في هذا الحزب اكتشفت بالتجربة أن قضايا التطور تحتاج إلى تفكير جديد. هل أنت شيوعي؟».

* سارتر: «إننى ماركسي، ولكنى لا أنتمى تنظيميا إلى حزب».

* جمال عبدالناصر: «إننى مستعد أن أفهمك، وأنا بالفعل أفرق بين الماركسية والحزب الشيوعى. الماركسية فكر يطرح نفسه على الناس ويؤثر فيهم بقدرته على الحوار وإيجاد حلول لقضايا التطور والتقدم، وعندما تتحول الماركسية إلى حزب شيوعى فإنها تتحجر؛ لأنها تدخل فى قالب تنظيمى لا يسمح بالمراجعة والتجديد وإنما يوجه همه إلى التجميد والسعى للحصول على السلطة. وبما أن الشيوعيين أقلية فإنهم يلجئون إلى العمل السرى وإلى تنظيمات ما تحت الأرض، شأنهم فى ذلك شأن أقصى اليمين. ومع ذلك فأنا أريد أن أسألك لماذا تسألنى عن الحزب الشيوعى وحده؟ إننى أفكر فى تعددية من نوع جديد ولم أعثر على الصيغة الملائمة بعد. والحقيقة أننى أخشى من الحزبية. فلو أبحنا الحزبية الآن وفى ظل الحرب الباردة التى تجرى على الساحة العالمية الآن لوجدتنى على الفور أمام حزب شيوعى موالى لروسيا، وحزب رجعى موالى للأمريكان، وربما حزب دينى يؤدى قيامه إلى فتنة دينية فى البلاد. ولهذا فالقضية فى رأيى أكبر من الحزب الشيوعي».

* سارتر: «إننى لاحظت أن الرئيس وضع إسرائيل فى نفس الصف مع الاستعمار البريطانى وقوى اليسار الفرنسية التى خانت رسالتها، وهذا يعقد الأمور فى الشرق الأوسط».

* جمال عبدالناصر: «الذى يعقد الأمور ليس أننى أضعهم فى هذا الصف أو ذلك، ولكن الذى يعقدها فعلا هو إسرائيل. لا يمكن لأى جماعة من الناس أن ينقضوا على بلد ويأخذوه لأنفسهم ويحولوا سكانه الأصليين إلى مواطنين من الدرجة الثانية. الذى يعقد الأمور هو ضياع الحقوق العربية فى فلسطين. بعض الناس يتصورون أن هذا الجيل من الشعب الفلسطينى تعود على ضياع وطنه وأنه يموت أو يكاد يموت. وينسون فى هذا أن جيلا جديدا سوف يظهر. جيل لا يشعر بالضياع ولا يشعر بالمهانة، وهذا الجيل سوف يقاوم ليحصل على حقوقه الإنسانية أولا، ثم الوطنية، وهكذا. والشيء الثانى الذى يعقد الأمور فى موضوع إسرائيل ليس تصنيفنا لها، وإنما علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو موضوع يدفع المنطقة الآن إلى حافة الحرب. فإسرائيل تريد التوسع وتريد أن تفرض هذا التوسع بالقوة، وهذا معناه الحرب».

* سارتر: «هناك مجموعات فى إسرائيل، خصوصا من اليسار، يتفهمون قضية الشعب الفلسطيني».

* جمال عبدالناصر: «الموضوع ليس موضوع مشكلة تفهم، وإنما الموضوع يتلخص فى مشكلتين: المشكلة الأولى الهجرة لإسرائيل. باستمرار الهجرة لن تتسع إسرائيل للقادمين إليها وستلجأ للتوسع، وهذا يؤدى إلى الحرب. والمشكلة الثانية أنه إذا كان هناك من يتفهم مشكلة الشعب الفلسطينى - كما تقول - من عناصر اليسار الإسرائيلي، فلا أظن أن لديهم ما هو أكثر من الألفاظ والتعاطف بها ببساطة؛ لأن أهم حقوق الفلسطينى هى حق العودة، فإذا عادوا فسيصبحون أغلبية، وعندئذ تذوب فكرة دولة إسرائيل».

* وتسجل صفحة ٤٨ من محضر الاجتماع ردا لـ «جمال عبدالناصر» على سؤال وجهه إليه «سارتر» عن القضية التى تشغله الآن أكثر من غيرها،

وكان قوله: «العالم كله يحاول إخراج الشباب من السياسة ويحاولون إلهاءهم بأنواع من الرقص الجديد ويحولون اهتمامهم إلى الرياضة، وأنا أرى ذلك خطرا كبيرا. القضية التى أتمنى لو استطعت أن أركز عليها هى أن يشعر الشباب أن السياسة هى عملية صنع مستقبله، وأن اهتمامه بها ومشاركته فيها هما أكبر ضمانات المستقبل. ما أراه فى الاتحاد السوفيتى وما أراه فى غيره يجعلنى أقلق لأن الأجيال القديمة تحجب أجيالا جديدة عن المشاركة، وهذه مشكلة. فإذا حجبنا الشباب عن العمل السياسى تتوقف حيوية الأنظمة ويزداد الاعتماد على عناصر القوة فى المجتمع مثل الجيش مثلا. وهذه ليست وصفة مضمونة لحماية التطور».

* * *

* وفى كتاب محمد حسنين هيكل «حرب الثلاثين سنة ١٩٦٧ الانفجار»، وفى الباب الثالث من الكتاب وعنوانه: مقدمات العاصفة، وفى الفصل الرابع الذى كان عنوانه: الرياح الساخنة وعلى الصفحات من ٢٩٦ إلى صفحة ٢٩٩. يكتب الأستاذ عن زيارة مالرو لمصر ولقائه مع الرئيس جمال عبدالناصر الآتي:

وما هى إلا أسابيع قليلة بعد زيارة «عبد الحكيم عامر» إلى باريس حتى بعث الجنرال «ديجول» برسالة إلى «جمال عبدالناصر» يقترح فيها أن يبعث ممثلا شخصيا له لمقابلته تكملة لتبادل الآراء بين الاثنين. واختار «ديجول» أن يكون مبعوثه هو الأديب الفرنسى الكبير «أندريه مالرو» الذى كان فى نفس الوقت وزيرا للثقافة، كان المعروف أنه من أقرب الناس فكرا إلى «ديجول» وأن العلاقات بين الرجلين كانت نموذجا فريدا فى الصلة بين المفكر ورجل الدولة، وكان هناك إحساس فى القاهرة بأن «ديجول» لم يكن يستطيع أن يجد

رسولا فى هذه المرحلة خيرا من «مالرو» الذى كان عاشقا لمصر ودارسا مخلصا لتاريخها .

ودخل «مالرو» إلى مكتب «جمال عبدالناصر» وبدأ فسلمه خطابا من الجنرال «ديجول» جاء فيه بالنص :

«لقد كلفت أندريه مالرو وزير الدولة (للثقافة) بأن يتولى ترجمة تقديرى الشخصى العظيم لكم ، ومشاعر الصداقة التى يكنها الشعب الفرنسى لشعب الجمهورية العربية المتحدة . وأعرف أن مالرو لن يفوت الفرصة لكى يعرض عليكم وجهات النظر الفرنسية فى كل المشكلات التى يهتم بها بلدانا . إننى أصغيت إلى الماريشال عامر عندما كان يزورنا باهتمام كبير ، وأعتقد أن زيارته لباريس ساعدت على توثيق التفاهم بين الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا . وبهذه الروح نفسها فقد رأيت أن نواصل معا تبادل الآراء والمعلومات بيننا صريحة ومباشرة . وإنى لأرجوك أن ترحب بأندريه مالرو وأن تصغى إليه .

توقيع ديجول

وكان «جمال عبدالناصر» مستعدا لأن يصغى بغير حدود ، وقد دخل «مالرو» فى حديثه مع «جمال عبدالناصر» من مدخل تاريخ مصر ، وراح لمدة ساعة كاملة يتحدث عن الحضارة المصرية القديمة ، وانتقل منها لخمس دقائق إلى الحضارة الصينية القديمة ، ثم نظر فى ساعته واكتشف أنه نسى نفسه فى حديث الثقافة والحضارة ، فحاول أن يعتذر لكى ينتقل إلى أحاديث السياسة ، وطمأنه «جمال عبدالناصر» إلى أنه يسمع سياسة طوال أربع وعشرين ساعة كل يوم ، وأنه سعيد بهذه الجولة التى طوف به «مالرو» خلالها بالحضارات القديمة .

وعندما انتقل «مالرو» إلى مجالات السياسة، وقد استغرق حديثه فى أحوال العالم المعاصر كله مدة نصف ساعة، فقد كان حديثه أقرب إلى الإشارات التلغرافية المختصرة والسريعة. وكانت أبرز الإشارات التى عرضها:

إن أوروبا سوف تجد نفسها خلال السوق الأوروبية المشتركة التى ستصبح قوة مؤثرة فى الموازين العالمية، ثم ذكر «إن الجنرال ديجول» لا يريد إنجلترا عضوا فى مجتمع الدول الأوروبية فى الوقت الحاضر على الأقل؛ لأن دخولها سوف يؤدى إلى تمييع الإرادة الأوروبية المستقلة عن أمريكا، كما أن لندن يمكن أن تلعب دور حصان طروادة»[١].

وبالتعامل مع كل الأطراف بدون انحياز مسبق ضد طرف، وخصوصا فى توريدات السلاح.

إن فرنسا لا تنصح بالاعتماد على الأمم المتحدة فى عملية صيانة السلام فى المنطقة. فالجمعية العامة للأمم المتحدة لها نفوذ معنوى بغير قوة إلزام، وأما مجلس الأمن فإن سلطته سلبية بواسطة حق الفيتو الذى يستطيع به الكبار أن يعترضوا على القرارات، ولكنه لا يملك قوة إيجابية قادرة على الفعل فى مناطق الأزمات. وهو يتصور أن اجتماعات القمة الرباعية (أمريكا ـ الاتحاد السوفيتى ـ بريطانيا ـ وفرنسا) تستطيع مؤقتا أن تلعب دورا فى الأزمات، لكن الولايات المتحدة تعارض ذلك وتتهم ديجول بأنه يسعى إلى فرض إدارة رباعية على العالم، وفى الحقيقة فإنها تفضل الانفراد وحدها بمصائره».

وقد قال «مالرو» فى النهاية «إنه لا يعتقد أنه نقل كل آراء الجنرال ديجول

(١) قصة شهيرة فى الملاحم الإغريقية عن التسلل إلى داخل حصن طروادة بواسطة جنود اختبئوا فى قلب نموذج لحصان ضخم.

بطريقة كافية، ولكنه على أى حال سمح لنفسه بأن يقوم بما يمكن تسميته جولة حول الأفق العالمى، وهو يأمل على أى حال أن يكون اللقاء المصرى الفرنسى القادم لقاء مباشرا بين ناصر وديجول، وهو يحس أن كليهما يستطيع أن يفهم الآخر، كما أنه لمس إعجابا متبادلا بين الاثنين، خصوصا وأن كليهما يعلق أهمية كبرى على قيمة الكرامة الوطنية».

وتعددت الأبواب المفتوحة بين باريس والقاهرة.

المحاورة الواحدة والعشرون

عندما جاء عبد الناصر إلى الأهرام

كان يرغب فى أن يستمع أكثر مما يتكلم.

أحببنا فى الأهرام أن يرانا ونحن نعمل.

الأهرام هو الذى تولى كافة الإجراءات الأمنية.

رواية نجيب محفوظ «التى تودى فى داهية».

ـ عندما جاء عبدالناصر إلى الأهرام. ماذا جرى!

. . **هيكل :** جمال عبد الناصر لم يحضر افتتاح مبنى الأهرام لكننا في الأهرام قصدنا ألا يقوم جمال عبد الناصر بافتتاح المبنى لأنه في البداية وفي النهاية ليس مشروعا من مشروعات الدولة . وأقدر واجبه التاريخى فى أمور كثيرة . لكننا ـ فى الأهرام ـ قصدنا أن جمال عبدالناصر لا يقوم بافتتاح الأهرام لأن مبنى الأهرام ـ فى البداية وفى النهاية ـ ليس مشروعا من مشروعات الدولة . والدولة لم تدخل فيه ولم تدفع له مليما واحداً .

لقد جاء جمال عبدالناصر إلى الأهرام زائراً ، وكانت هذه الزيارة بناء على طلبه ، وكان سبب طلبه إنه سمع كثيرا عن الأهرام ، وكنا قد أصدرنا ملحق الأهرام الجديد . فأصبحت عنده رغبة فى الحضور لرؤية الأشياء التى سمع عنها عن قرب .

كان الرئيس عبدالناصر يعرف ويدرك أننى لم أطلب منه أى امتياز للأهرام . كان يعرف أن موارد الأهرام من النقد الأجنبى هي التي تستعمل فى سد مطالبه من النقد الأجنبى . لم نطلب أية مبالغ مالية من وزارة الاقتصاد . ولم نطلب من أي جهة أخرى في مصر .

والواقع أن الرئيس قال لي ذات يوم : مش حاتعزمنى أشوف الأهرام؟ وسعدنا بتوجيه الدعوة إليه ، فدعوناه .

- لكن كيف تم افتتاح الأهرام الجديد فى ذلك الوقت؟

.. **هيكل:** لقد تم هذا الافتتاح عندما تجمعنا جميعا أمام باب الأهرام.

- من الذين تجمعوا؟!

.. **هيكل:** بناة الأهرام الحقيقيين: العمال والمحررون والموظفون والسائقون ورجال الإدارة ومسئولو الإعلانات، وفتحنا باب الأهرام ودخلنا جميعا مرة واحدة.

كان هذا هو الافتتاح.

- متى تم هذا؟

.. **هيكل:** كان من المفروض أن نقوم به فى الثانى من نوفمبر، ولكنى تذكرت أن هذا اليوم هو ذكرى وعد بلفور فقدمناه لكى يكون فى الأول من نوفمبر، وأنا قلت فى ذلك الوقت - وما زلت أذكر هذا حتى الآن - إن اليوم هو تاريخ انطلاق الثورة الجزائرية، بدلا من أن يكون ذكرى وعد بلفور المشئوم، وكان ذلك سنة ١٩٦٩، وهو آخر نوفمبر مر على عبدالناصر وهو فى هذه الدنيا.

وبعد هذا الافتتاح بكذا شهر كانت عنده رغبة فى المجيء إلى الأهرام. ونحن من جانبنا رتبنا أن يمر على كل الناس حيث هم، بمعنى أن يدخل صالة التحرير والمحررون يعملون فيها لحظة دخوله، يعملون بصورة طبيعية، وكنا حريصين على أن يرى الكفاءة وطريقة سير العمل.

فى هذا اليوم طلبت من الأستاذ أحمد بهجت وهو كاتب لديه حس قوي بالتاريخ أن يمشى معنا ويغطى الزيارة بالقلم طبعا. وكان هناك مصورون أيضا طوال الوقت.

عبدالناصر جاء إلينا فى حوالى الساعة السابعة مساء، وخرج فى حوالى الساعة الحادية عشرة، وعندما خرج فى الحادية عشرة كانت معه الطبعة الأولى من الأهرام وصورة الزيارة فى الصفحة الأولى، وكان سعيدا بهذا جدًا.

ـ هل كانت هناك إجراءات أمنية تحدد من الذى يحضر، ومن الذى لايحضر؟ وهل كانت هناك تصاريح لمن رافقو الرئيس فى كل مكان ذهب إليه؟ وهل علق كل من صافح الرئيس بادجا على صدره؟

. . **هيكل:** أبدا. الأهرام هو الذى كان مسئولا عن الأمن فى هذا اليوم، ومن الذى يحضر ومن الذى لا يحضر، ومن الذى يتكلم مع الرئيس؛ لأننا لو سمحنا بدخول الأمن بالطريقة التى عاصرتها حضرتك كانت الزيارة فقدت الكثير من تلقائيتها ودلالاتها ورموزها. ثم إنه لم يكن فى مصر في ذلك الوقت أمن بالطريقة التى اتبعت بعد ذلك.

ثم إن هناك ـ ثانيا ـ مسألة مهمة جدًا تخص فلسفة جمال عبدالناصر من وراء الذهاب إلى مثل هذه الأماكن؛ إنها لم تكن مجرد زيارات يقوم بها لهذا المكان أو ذاك. أكثر ما كان يسعد عبدالناصر ويفرحه ويوفر له حالة من الحبور الإنسانى بعد أن يعود من أى زيارة، أن يشعر أنه قد لامس الناس ولمسوه بشدة حتى أن تكون هناك خربشة فى يده.

ليس فى هذا الكلام مبالغة، كان يشعر أن هذا هو الأثر الذى تركه عليه الناس. لقاؤه الحى والمباشر مع الناس أن يشعر بملامسة الناس جسدًا لجسد، أن يشعر أن الشعب ليس معنى مجردا، ولكنهم أنفاس ودم ولحم. لقد كان يتهمنى دائما بالبعاد عن الشعب. كان يقول لى انزل وتعامل مع الناس مباشرة وجها لوجه.

ذات مرة كان ذاهبا إلى المنصورة، وكان رأيه ـ دائما وأبدا ـ أن الشعب

لا ينبغي أن يتحول إلى معنى مجرد، وإنك تعرف الشعب حينما تطّلع على حياته وعندما تلامسه وتشعر به. كان ذاهبا إلى المنصورة ذات يوم، فقال لي تعال معنا إلى المنصورة، وأنا في هذه الظروف كنت حريصا على الهروب من الاستقبالات الرسمية والزيارات، وكل هذه الأمور.

لكن جمال عبدالناصر كان يهتم بكافة هذه الأمور، باعتبارها نوعا من أنواع قياس نبض الناس، ثم إني أود أن أقول إن لقاء أي سياسي بالجماهير والناس في حد ذاته يعني الكثير من الدلالات والرموز. كل ما يتم فيه يعني دلالة، وجود حواجز يعني شيئا، ورفع هذه الحواجز يعني شيئا، إقبال الناس يعني شيئا، ابتعاد الناس يعني أشياء.

هذا لايتم بالطريقة التي ربما كانت مفتعلة، ولذلك فإن ردة الفعل تصبح طبيعية وتلقائية. ومثل هذه القياسات تجرى في كل مكان من العالم، وليس عندنا فقط. ماذا يقول إيزنهاور عن مثل هذه اللقاءات؟! إنه يقول إن تلمس اللحم العاري بنفسك، هذا ما يقوله إيزنهاور.

طلب مني عبد الناصر الذهاب معه إلى المنصورة، وكان ذلك في سنة ١٩٦٥، وكانت هناك «هيصة» كبيرة جداً. ذهبنا في القطار وكنا نتكلم في القطار حتى وصلنا إلى المنصورة، لكن الناس هجمت، وهو أصبح في مكان وأنا في مكان آخر.

وعندما خرجت إلى المحطة كانت السيارات توشك أن تتحرك، وجدت السيارة التي في انتظاري وفيها مرافق من المنصورة، ركبت السيارة وقلت للسائق:

- اطلع على القاهرة.

لف السائق وطار على القاهرة، وهناك في المنصورة وعلى الغذاء كانت الساعة قد وصلت إلى الرابعة بعد الظهر سأل جمال عبدالناصر:

ـ فين هيكل؟

قالوا له سافر إلى القاهرة، اتصل بى بعد عودته ـ كان زعلان جداً ـ قلت له:

ـ أنتم طلعتم والناس تجمعت حولك، وأنا فى الآخر ظللت فى المحطة.

ـ وزيارة عبد الناصر للأهرام!

.. **هيكل:** لم تكن هناك داخل الأهرام أى إجراءات أمنية من أى نوع، وعبدالناصر دخل الأهرام ومعه أنور السادات. دخل معه محمد أحمد، ومحمود فهيم معه، وحتى هؤلاء لم يكملوا الجولة معه حتى النهاية.

ـ ألم يكن معه فى الزيارة رئيس الوزراء، ورئيس مجلس الأمة، ووزير الإعلام، ووزير الداخلية، ورئيس هيئة الاستعلامات؟ وألم يكن فى استقباله لحظة وصوله إلى الأهرام محافظ القاهرة؟!

.. **هيكل:** إطلاقا. لم يكن هناك أحد من هؤلاء، لم يكن هناك أى كلام من هذا. هو وأنور السادات فقط، وأنا كنت فى انتظاره تحت أمام باب الأهرام، عندما أتى دخلنا من باب الأهرام وطلعنا إلى مكتبى أولا.

جمال عبدالناصر كان عنده غرام بالصحافة، وعندما دخل مكتبى جلس على المكتب وقال إن هذا هو العمل الوحيد الذى كنت أرغب فى القيام به.

ـ ويكتب مذكراته!

.. **هيكل:** مذكراته لا. لم تخطر له كتابتها أبداً. كان قد ترك لى القيام بهذه المهمة نيابة عنه، لكنه كان يريد متابعة الشئون الجارية، وعندما كان يتصل بى صباحًا ولا يجدنى قد وصلت إلى المكتب، كان يكلم نوال المحلاوى ويسألها عن الأخبار. يكون القسم الخارجى فى الأهرام فى الساعة السابعة صباحًا قد أحضر إلى مكتبى قائمة بأهم الأخبار التى حصلت من

ساعة تركى الأهرام، إذا لم تكن قد وقعت من الأمور ما تقتضى إيقاظى من النوم.

أذهب فى الصباح لأجد على مكتب أهم الأحداث التى وقعت فى الوقت الذى غبت فيه عن الأهرام.

ـ متى كان عبدالناصر يتصل صباحًا عادة؟

. . هيكل: كان يتصل فى الوقت من الثامنة إلى الثامنة والربع صباحًا. وأحيانا لا أكون موجودا. نوال المحلاوى هى التى تكون موجودة. ترد على التليفون الخاص الموصل بيننا. يقول لها:

ـ نوال. قوليلى أيه قائمة الأخبار التى أعددتيها للأستاذ هيكل، كان يقول الأستاذ عند كلامه مع مديرة مكتبي؛ لأن تلك في شعوره هي الأصول. فتقرأ له القائمة المعدة لى كلها.

ـ هل كان هذا فضولا أم رغبة فى المعرفة؟

. . هيكل: لا. . لا، أولا. كان يشعر أننا فى الأهرام أكثر تنظيما من مكتبه فى الرئاسة، كان يعتبر أن عندنا نظاما للعمل يطمئن إليه.

ثانيا: أنه كان عندنا فى الأهرام وسائل اتصال بالعالم أكثر من مكتبه هو.

ثالثا: أنه كان يريد أن يسمع ويعرف أخبارا، وما كان يسمعه فى الراديو لم يكن يكفيه، وهو كان يجلس ليقرأ كل ما جاء من وكالات الأنباء، ومكتبه لايكون قد عمل فى ذلك الوقت.

ـ وأجهزة الدولة الأخرى؟!

. . هيكل: طبعا عبدالناصر لم يكن يتصل بأحد فى المخابرات أو الداخلية أو الإعلام من أجل معرفة الأخبار، هؤلاء كان لديهم معلومات أخرى تقدم

إليه بالطريقة الرسمية وبحكم وظيفة الدولة لم يكن يفعل هذا، وكان أسهل شيء بالنسبة إليه أن يتصل بى، وإن لم يجدنى فى المكتب لا أحد يستطيع الرد على تليفون الرئيس فى حالة غيابى سوى نوال المحلاوى - يرحمها الله رحمة واسعة - ترد عليه، ولأنه كان متابعا لتفاصيل العمل فى مكتبى حتى التفاصيل الصغيرة. كان يقول لها: نوال اقرئى لى أيه أخباركم، وهكذا يعرف تفاصيل ما جرى وما يجرى بالضبط وبالتحديد.

- عبد الناصر في الأهرام. من كان في انتظاره لحظة وصوله؟

.. **هيكل:** أنا كنت فى انتظاره تحت أمام باب الأهرام، وعندما وصل دخلنا من باب الأهرام، وطلعنا إلى مكتبى أولا، وشرحت له تفاصيل ووقائع الزيارة، ذلك أن ما كان يهمنى فى هذه الزيارة هو رغبتى فى أن يرى الأهرام وهو فى حالة عمل، ومعنى هذا أن تكون كل الناس فى الأهرام فى مواقعها.

- ألم يكن هناك من تفرغ حتى لتغطية الزيارة، فالأهرام ومطبوعاته المختلفة - من قبل ومن بعد - مؤسسة صحفية، وشرعيتكم آتية من كونكم صحفيين أساسًا؟!

.. **هيكل:** الوحيدان اللذان كانا متفرغين لتغطية هذه الزيارة صحفيا. كانا أحمد بهجت محررا وكاتبا ومحمد يوسف مصورا.

- لحسن دياب صور عن هذه الزيارة!

.. **هيكل:** لقد كان حسن دياب هو المصور الخاص للرئيس.

- والتليفزيون. ألم يكن موجودا؟

.. **هيكل:** لقد قامت الإدارات المختصة في الأهرام بتصوير المناسبة، وكل

من طلب صورا قدمناها له؛ لأننا لم ندع أحداً من خارج الأهرام لحضور الزيارة.

لقد كنت حريصا على أن يرى الرئيس عبدالناصر الأهرام وهو يعمل، أى فى حالة عمل، تماما كما كان يتصوره قبل أن يحضر إليه. لم يكن فى الأمر أى استعراض، ولكن عملية تحقيق لصورة الأهرام الذهنية عند الرئيس، وبالتالى كل الناس كانت فى أماكنها. لم يكن هناك عامل يتحرك فى مكانه، كل واحد فى مكان عمله لأنه يؤدى هذا العمل. كأن الأهرام لا يوجد به الرئيس فى ذلك اليوم، وينصرف عن عمله فى حالة واحدة فقط، إن خاطبه الرئيس بصورة مباشرة.

كنا نسير هكذا، كان هو يمشى ومعه أنور السادات وكنت معهما ومحمد يوسف وحسن دياب فى الأمام، ومعنا أحمد بهجت، وأعتقد أن محمد أحمد كان يمشى خلفنا. كان عبدالناصر مهتما بالسؤال والمعرفة المباشرة التى يحصل عليها بنفسه من الآخرين. أعتقد أنه قضى وقتا جيدا وجميلا فى الأهرام.

ـ ولقاءات هذا اليوم الفريد مع من؟ وكيف تمت؟ وماذا قال الرئيس؟ وماذا قال الذين التقى بهم؟!

.. **هيكل:** كان له أكثر من لقاء فى الأهرام فى ذلك اليوم. التقى مع هيئة تحرير الأهرام، ومع الباحثين والمحررين والكتاب فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ومع المسئولين عن نقابة العاملين فى الأهرام وأعضاء نقابة الصحفيين بالأهرام أو ربما البعض منهم، ووحدة الاتحاد الاشتراكى العربى بالأهرام. كانت هذه اللقاءات موزعة أثناء خروجه من الأهرام، ولكن من المؤكد أن هيئة تحرير الأهرام ومركز الدراسات السياسية والإستراتيجية

والكتاب والأدباء والمثقفين. كانت هذه اللقاءات الثلاثة هى أطول اللقاءات، التى استغرق فيها أطول وقت قضاه فى الأهرام.

فى صالة التحرير وقف واهتم ونظر ورأى، وفى المطبعة توقف وسأل، لكن المناطق الثلاثة التى توقف عندها بالأهرام كانت هيئة تحرير الأهرام، ومركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، والقسم الأدبى بالدور السادس.

عندما دخل ودخلنا معه إلى القسم الأدبى كانوا كلهم موجودين، وكانوا وقوفًا: توفيق الحكيم، حسين فوزى، نجيب محفوظ، لويس عوض، عائشة عبد الرحمن.

قلت لعبدالناصر:

.. فى هذه القاعة ستجد كل المدارس الفكرية وكافة الاتجاهات. ستجد حسين فوزى الذى يقول بحضارة الشمال الأوروبى، ويناشد المصريين الإبحار والاتجاه شمالا، وستجد توفيق الحكيم الذى يقول بحضارة البحر الأبيض المتوسط، وستجد عائشة عبد الرحمن التى تقول بالتوجه الإسلامى. قلت لعبدالناصر ستجد من يقولون بالماركسية، وستجد من يقول مصر المملوكية مثل نجيب محفوظ. لويس عوض يقول: الغرب، غرب عصر النهضة، وتوفيق الحكيم يقول: أوروبا.

أنا أعرف أن توفيق الحكيم يرتبك عند الكلام فى حضور جمع من الناس. فما بالك إن كان الكلام فى حضور الرئيس جمال عبدالناصر! أعطيت الكلمة لحسين فوزى حتى يكون أول المتكلمين فى حضور عبدالناصر، وحسين فوزى اختار أن يعقب على كلامى، وقال لعبدالناصر: سيادة الرئيس، الأستاذ هيكل قال إننى أقول أوروبا وهذا صحيح، واتجاه مصر كان دائما إلى الشمال، وعلى القيادة السياسية أن تحدد هل هو شمال غرب أم شمال شرق؟

قلت لعبدالناصر: الدكتور حسين فوزى يحاول أن يكون دبلوماسيا، وقلت لحسين فوزي: قل بوضوح إنك تتكلم عن غرب أوروبا، لكن حسين فوزى قال لي: وشرقها، وضرب مثالا ببطرس الأكبر. قال إنه ذهب إلى الغرب، أى أن شرق أوروبا اتجه إلى غربها، وكان حسين فوزى يقصد الكلام - بالتلميح دون التصريح، أى من غير أن يسمى الأشياء بأسمائها - عن علاقات مصر بالاتحاد السوفيتى، كما كانت فى ذلك الوقت.

ثم بدأ توفيق الحكيم يتكلم، قال كلاما عامّا عن حياة الناس في مصر وعن المعركة واحتمالاتها، وبيان ٣٠ مارس الذى كان قد خرج قبل ذلك بقليل، وجاء كلام توفيق الحكيم عامّا فى هذا الإطار.

* * *

- فى كتاب جمال الغيطانى الجميل: «نجيب محفوظ يتذكر» قال له نجيب محفوظ عن لقاءاته مع عبدالناصر:

. . **نجيب محفوظ:** لم ألتق بعبدالناصر فى لقاءات خاصة. إنما رأيته ثلاث مرات عندما حصلت على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى طلعت وسلمت عليه ونزلت. المرة الثانية سنة ١٩٥٧، كان هنا عدد من الأدباء العرب التقى بهم، وكنت أحد الذين ذهبوا إلى اللقاء.

المرة الثالثة كانت فى الأهرام عندما زاره فى سنة ١٩٦٩. إذا لم تخنى الذاكرة. كان يتحدث إلى كل شخص، قال لى عبدالناصر:

- إزيّ ناس الحسين بتوعك. بقالنا زمان ما قريناش لك قصة.

. . **هيكل:** قال له. وما زال الراوى هو نجيب محفوظ لجمال الغيطاني:

. . لأ. ' دى بكرة طالعة له قصة.

كان يوم خميس. هيكل قال:

.. نعمل أيه؟! ما هى قصصه تودى الليمان.

عبدالناصر قال له:

.. لأ دى تودى رئيس التحرير.

* * *

ـ وعن هذه الواقعة التى ما زالت محفورة فى ذاكرة نجيب محفوظ يقول الأستاذ هيكل:

.. **هيكل:** هذه الرواية عمليا غير ممكنة، وفضلا عن أن الأستاذ جمال الغيطاني كتب عن أقوال للأستاذ نجيب محفوظ من الذاكرة. فالرواية كما نشرت غير معقولة لسبب أساسي أنه لا يتفق لا مع سلوكي مع عبد الناصر ولا نوع علاقتي به.

نجيب محفوظ يقول. أو إن شئت الدقة أنت تقول نقلا عن رواية لنجيب محفوظ، إن عبدالناصر قال له: إننا لم نقرأ لك شيئا. من الممكن أن يكون هذا صحيحا. لكن أن أقول لعبدالناصر إننا سنقرأ له نصا «يودى فى داهية» فهذا معناه أننى أقول لجمال عبدالناصر فى مواجهته، وفى حضور جمع كبير من الناس، وعلنًا إنه من الممكن أن يذهب كاتب في داهية فى ظل حكمه بسبب قصة أدبية يكتبها.

لو كنت قلت ما نسبه كتاب الأستاذ جمال الغيطاني على لسان نجيب محفوظ، فمعناه أنني أسيء إلى جمال عبد الناصر وإلى نظامه، وأكثر من ذلك أنني أسيء لنفسى ولعلاقتى بجمال عبدالناصر.

إن البعض ينسى ما نشرناه فى الأهرام فى زمن جمال عبدالناصر وفى ظل حكمه لمصر. لقد نشرنا فى الأهرام كل ما كانت له قيمة فى ذلك الوقت. إن كل الكتابات والأدبيات المعارضة قد نشرت فى الأهرام.

وهذه مجرد أمثلة من الذاكرة :

لويس عوض ، فى معارضته للسياسة الثقافية التى كان يقوم على تنفيذها عبد القادر حاتم ، حيث كان يعتمد على سياسة الإغراق . لويس عوض كتب سلسلة مقالات طويلة ومستمرة فى نقد المشروع الثقافى لثورة يوليو .

كانت هناك مدرستان فى الثقافة المصرية فى ذلك الوقت ، مدرسة كان يمثلها الدكتور ثروت عكاشة وهى المدرسة التى أيدناها فى الأهرام ، والمدرسة الثانية وهي مدرسة عبد القادر حاتم ، وقد اختلفنا معها وهي تقوم على أساس إصدار مطبوعات كثيرة وسريعة تصل إلى الناس على شكل حالة من الإغراق .

وكان رأى الأهرام كما توصل إليه القسم الأدبي فيه بصفة عامة ، أن الثقافة موضوع يقدم إلى الخاصة ، وعن الصفوة يتسرب وينزل جموع من الناس وتوسع الدائرة قدر ما تستطيع .

ـ ولكن ما كان ينشره الأهرام من الابداعات الثقافية والأدبية فى ذلك الوقت كان يصل إلى الناس العاديين . حتى لو لم يرغب القائمون على الثقافة في الأهرام فى ذلك؟!

. . **هيكل :** فعلا . كان الأهرام ينشر ثقافة ، والجريدة فى هذا النشر كانت تصل إلى أكبر عدد من الناس ، لكن لا تلعب بالثقافة . الثقافة لابد وأن تظل قيمة ـ بسطها كما تشاء ـ مجرد أن تضع هذه الثقافة فى الجريدة ، معناه أنك تقبل مسئولية وصولها إلى أكبر دائرة ممكنة من الناس . يقرؤها من يقرؤها .

أنت مطالب أن تخرج رسالتك للناس ، وأن توصلها إليهم ، والناس تقرؤها وتتعامل معها ، ومن لا يستطيع الوصول إليك مباشرة قد يستطيع الوصول ، ولكن عن طريق غيره ؛ لأنك هنا ترسى قيما . أنت لا تدرِّس قيما للناس . أنت تترك المسائل تتسرب إلى وعى الناس وشعورهم فقط .

لويس عوض قدم نقد المشروع الثقافى بأكمله على صفحات الأهرام، وبالطريقة التى شاء أن يقوله بها بدون أى تدخل من أحد.

توفيق الحكيم كتب أهم أعماله «السلطان الحائر» وأنا نشرتها ولم يكن عندي شك عن ماذا يتكلم الحكيم فى هذا العمل «بنك القلق» كنت أدرك عن أى الأمور يتكلم فى هذا العمل أيضا، وكل ما تستطيع أن تتصوره كنا نعرفه قبل النشر، كان المسكوت عنه فى النص يصل إلىّ بمجرد القراءة الأولى.

ـ ونجيب محفوظ. ما هى قصة نشر أولاد حارتنا في الأهرام؟

.. **هيكل:** لنقفز على بعض التفاصيل التى ربما لم تكن جوهرية فى هذه القصة، وربما كانت أقرب إلى التفاصيل. نجيب محفوظ أول ما كتب فى الأهرام كانت روايته «أولاد حارتنا»، وقد أعطاها لعلى حمدى الجمال. الذى أحضرها لى. تصفحتها فى المكتب بسرعة وأدركت الحكاية، أو مقدمات الحكاية من هذا التصفح، ولذلك أخذتها معى إلى البيت، حيث قرأت الرواية كلمة كلمة، وعرفت وأدركت وفهمت ما هو المقصود منها. وأنا قد أختلف أو أتفق مع ما يقوله نجيب محفوظ فى هذه الرواية وهذا من حقى، لكن الذى لا يناقش أن نجيب محفوظ عنده الحق دائما وأبدا، كأستاذ وروائى ومثقف أن يكتب ما يشاء، لا يعبأ بأى قوة أو سلطة فى المجتمع، وأن الذى يكتبه لابد وأن ينشر فنشرناها. ولأننى كنت أعرف أن نشر هذه الرواية قد يؤدى إلى احتجاجات، وإن الموضوع هذه المرة ليس خلافا مع سلطة الدولة، لكن الموضوع يمس عقائد ودين، فمن الممكن أن تثار مشكلات من الصعب وصفها.

ـ هل كان هذا هو السبب فى نشرها يومية، بدلا من النشر الأسبوعى، كما جرى عرف النشر المسلسل للروايات عادة؟

.. **هيكل:** فعلا. لقد قررت نشر الرواية باستعجال، ونشرناها يومية.

وذلك بهدف الانتهاء من نشر الرواية بأسرع ما يمكن، وربما كانت المرة الأولى التى لا تنشر فيها رواية مسلسلة بصفة أسبوعية؛ لأننى اكتشفت أننى لو نشرتها أسبوعية، كان النشر سيستغرق مدة سنة بصفة مستمرة. لذلك حاولت أن أخلص منها فى أسرع وقت ممكن، وبأقل فترة زمنية ممكنة.

- ألم يثر النشر أية احتجاجات فى حينه؟

. . **هيكل:** عندما بدءوا فى الاحتجاج كنا نحن قد وصلنا إلى قرب النهاية.

- وباقى روايات نجيب محفوظ الأخرى؟

. . **هيكل:** اللص والكلاب، السمان والخريف، كل ما كتبه نجيب محفوظ نشر كاملا لم يحذف له حرف واحد، ولم يحذف حرف واحد لنجيب محفوظ فى أى من رواياته التى نشرت فى الأهرام أيام مسئوليتى عنه.

ويعود الأستاذ هيكل إلى قصة نجيب محفوظ التي رواها لجمال الغيطاني:

. . **هيكل:** هل من المعقول أن أرضى لنفسى، وأن أرضى لجمال عبدالناصر مثل هذا الموقف؟! والتداعيات التى يمكن أن تخرج منه التى من الصعب حسابها! فهل أقول لجمال عبدالناصر يوم زيارته للأهرام وعلى مسمع من جميع مثقفى مصر إن رواية نجيب محفوظ القادمة «تودى فى داهية»؟! هل أقول هذا لجمال عبدالناصر؟! هل أقلل من نفسي وفى حضور الكتاب الذين يعملون معى فى الأهرام؟!

وحتى لو قلت أنا هذا الكلام! أى مع فرض أننى قلت هذا الكلام! فهل يرضى الرئيس جمال عبدالناصر أن يقول لى وفى هذا الجمع إن «اللي يروح فى داهية هو أنا وليس نجيب محفوظ»؟! إن الكلام جميعه اعتراف ضمنى أن هناك داهية أوليمان يمكن أن يروح فيهما من يجرؤ على الكتابة بطريقة لاترضى السلطة.

هذا كلام لا يمكن أن يكون قيل، وأعتقد أن رواية الأستاذ نجيب محفوظ تظهر التباسا في الحقائق، وأظن أن هناك من حكى لنجيب محفوظ شيئا عما جرى فدخل الأمر فى رأسه، وكرر الحكاية وقالها أكثر من مرة يوما بعد يوم.

جمال عبدالناصر فى هذا اللقاء كان مهتما بأن يستمع أكثر مما يتكلم، وأظن أنه تكلم بعد المقدمة التى قدمت بها المثقفين له. كان قد طلب أن يستمع لكل التيارات، وجميع التيارات تكلمت واستمع للجميع باهتمام وناقش كثيرا وبقى في الأهرام وقف أكثر مما كان مقررا من قبل.

الكتــاب الأخير

الظلال في الجانب الآخر

المحاورة الثانية والعشرون

تأميم أم تنظيم!

كيف حملت صحافة عبد الناصر رغم الرقابة، أفكار التحرر الوطني، والعدل الاجتماعي، وتحرير المرأة إلى الدنيا كلها؟!

كانت تجربة . .

فقد أمم جمال عبدالناصر الصحافة . جاء هذا التأميم بعد ثمانى سنوات من قيام ثورة يوليو ، وتم التأميم - قبل الوصول إلى الحل الاشتراكى الذى كان لابد منه - مواجهة للمشكلة الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المصرى .

هذه الصحافة هى التى حملت رسالة مصر إلى الوطن العربى الكبير ، وكانت القابلة التى ولدت على يديها صحافات كثيرة فى الوطن العربى ، وكانت المدرسة التى تعلمت على يديها أجيال صحفية كثيرة من الأشقاء العرب .

صحافة جمال عبدالناصر التي يقولون عنها إنها ذات الصوت الواحد والرأى الواحد - التى خرجت إلى الدنيا من تحت غربال الرقيب ، الذى كانت عيونه تتسع وتضيق حسب الظروف والأحوال - كانت هى الصحافة التى حملت إلى الدنيا أفكار التحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية وتحرير المرأة ، والوقوف مع البسطاء ، وبالذات إلى كل مكان يتردد فيه صوت الحرف العربى .

وهى الصحافة التى أفرزت قيادات صحفية حقيقية - صحيح أن مصر تسلمت معظمهم من مصر الملكية - ولكن عند مقارنة القيادات الصحفية فى ظل الصحافة المؤممة . بالقيادات التى أفرزها زمن الحرية والديمقراطية

والتعددية. الذي جاء بعد ذلك والصحف القومية والحزبية، وصحف الموافقة وصحف المعارضة والصحف المستقلة، والصحف القبرصية. أقول عند هذه المقارنة المحزنة ستخرج بحقائق تبدو أغرب حتى من الخيال.

لقد جرى هذا برغم أن الصحافة الأولى كانت مؤممة تنفيذًا لفكرة ملكية تحالف قوى الشعب العامل لكل وسائل التعبير فى المجتمع.

الآن...

بعد كل هذه السنوات الطويلة لابد من العودة إلى المربع رقم واحد. الذى لا يمكن العودة له سوى تحت نعمة الخيال فقط. ونتساءل:

-هل كان هذا التأميم صوابًا؟

وما رأى الأستاذ هيكل فيه، وهو أحد رؤساء التحرير، بل رئيس التحرير الأول والأكثر أهمية، والأكثر مركزية فى منظومة صحافة جمال عبدالناصر المؤممة.

يقولون إن التأميم امتد حتى للأخبار التى كانت تنشر عما يجرى فى أرض الواقع. كانت كل الوقائع تجرى يوم الأربعاء من كل أسبوع حتى لا تنشر سوى فى أهرام الجمعة، حيث العدد الأسبوعى من الأهرام.

وإن كان التاريخ لا يعترف بكلمة «لو»، ومع هذا لابد من استعارتها الآن. لكى نطرح السؤال: وماذا لو لم تؤمم صحافة جمال عبدالناصر؟! إن القضية هي: هل يمكن طرح هذا السؤال الآن؟

لنبدأ من الوقائع أولاً:

فى يونيو ١٩٦٠ أعلن جمال عبد الناصر استيلاء الاتحاد الاشتراكى العربى على جريدتى: الأهرام وأخبار اليوم، ودارى الهلال وروز اليوسف.

والأسئلة الجديدة الخارجة من قلب الوقائع هى :

ـ هل كانت مرحلة التأميم تمثل للصحفيين المشاركة ولكن بالقهر؟

وما رأيك فى نقل الصحفيين بعد هذا للعمل فى مؤسسات بعيدة عن العمل الصحفى؟!

وهل صحيح أن المثقفين أيدوا ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولكنهم وقفوا ضد الدولة التى قامت فى ١٩٥٦؟

وكون صلاح سالم يصبح نقيبًا للصحفيين وهو ضابط من ضباط يوليو. كيف؟!

ما هى قراءتك لكل هذا سواء فى حينه أو الآن؟!

. . **هيكل :** أولا . لابد من تصحيح شيء . لم يكن جمال عبد الناصر يريد تأميم الصحافة ، وفي الواقع فإن الصحافة لم تأم لكي يكون الأمر واضحًا . فإن جمال عبد الناصر كان مع الملكية الفردية للصحف ، ولكنه كان يرى أن ملكية الأفراد للصحف سوف تجعل هذه الصحف خاضعة لمطالب رأس المال . وعندما طرحت لأول مرة فكرة التأميم فقد عارضته فيها . وأنا لا أقول هذا الكلام الآن ، ولكن الجميع يعرف أنني يوم صدور قانون تأميم الصحافة عقدت اجتماعا عاما في الأهرام ، وسجلت فيه من ناحية المبدأ معارضتي للقانون ونقلت عني هذه المعارضة كل وكالات الأنباء ، ومعظم الصحف في الوطن العربي ، وفي الواقع فإنني أظن أنني استطعت تحويل التأميم إلى تنظيم ، وكان ذلك بالفعل هو الاسم القانوني ، وكان في تفكيري في ذلك الوقت ، وهو ما حاولت تطبيقه في الأهرام في أعقاب التنظيم مباشرة . نفس نظام جريدة الموند . وهو النظام التعاوني ، وكانت فكرة الملكية التعاونية غير بعيدة عن تفكير جمال عبد الناصر أيضا ، والدليل عليها أن الاتحاد الاشتراكي بنص القانون لم يتملك غير الرخصة ، وأن العملية الصحفية بجوانبها التحريرية والاقتصادية والفنية كانت تحت إشراف جمعية عامة ومجلس إدارة

منتخب، وكانت الأرباح توزع مناصفة. نصف للتجديد والإحلال، ونصف يوزع على العاملين مباشرة.

دعني أقول لك أن ملكية الصحف لا تزال قضية معقدة حتى هذه اللحظة، خذ مثلا جريدة كبيرة في إنجلترا مثل الأوبزرفر كانت ملكا لعائلة أستر، وهي عائلة مشتغلة بتجارة العقارات. انتقلت منها إلى كاني رولاند، وهو الرجل الذى وصفه أدوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا المحافظ في مجلس العموم بأنه يمثل الوجه القبيح للرأسمالية.

انتقلت الأوبزرفر بعد ذلك إلى ملكية مجموعة تأمين كندية، وهي الآن في ملكية شركة بيرسون لصناعة الصابون والكيماويات. فهل تتصور أن هذا الوضع هو الأمثل لملكية صحيفة كبيرة وعريقة مثل الأوبزرفر في بريطانيا؟ وهل هذا هو ضمان حرية الصحافة فيها؟!

خذ جريدة التايمز، كانت في ملكية عائلة أستر، وهم تجار عقارات ثم انتقلت إلى ملكية عائلة طومسون، وهي أسرة مالية كبيرة تعمل في الصناعات الإلكترونية الآن، ثم انتقلت منهم إلى ملكية أسرة ميردوخ وهي عائلة تملك صحفا في أستراليا. فهل هذا هو الوضع الأمثل أيضا؟!

تعال إلى مصر. كنت ولا أزال أحتفظ بكثير من التقدير لأصحاب جريدة الأهرام من أسرة تقلا، لكن يجب علينا أن نتذكر أنه لا أصحاب الأهرام من أسرة تقلا، ولا أبرز أعضاء مجلس الإدارة فيه مثل ريمون شميل وفريد شقير يعرفان اللغة العربية، أو يقرءان الأهرام، كانت رئيسة مجلس الإدارة هي السيدة رينيه تقلا، وهي سيدة ممتازة بأي معيار، لا تعرف العربية قراءة ولاتعرفها كلاما، وحين كان عليّ في عهد أسرة تقلا، عندما عملت معهم رئيسًا لتحرير الأهرام في أغسطس سنة ١٩٥٧، أن أعرض تقريري الأول أمام مجلس الإدارة باللغة الفرنسية. عندما بدأت أتكلم باللغة

العربية، أحسستُ أن السيدة رينيه تقلا وغيرها من أعضاء مجلس الإدارة لايتابعون ما أقول، وطلب مني الأستاذ ريمون شميل أن أتحدث باللغة الإنجليزية، وتدخلت السيدة رينيه تقلا وبأدب شديد تقول لي: إنها لاتعرف الإنجليزية بما فيه الكفاية، وتسألني إن كان يمكنني أن أعرض تقريري باللغة الفرنسية. دعنى أضيف أن هذه السيدة الكريمة كانت تحمل الجنسية الفرنسية، وكان ثلاثة من أعضاء مجلس الإدارة غيرها، وهم ريمون شميل وفريد شقير ونعوم بحرى يحملون الجنسية البريطانية. دعني أضف أن أسرة تكلا كانت أحسن وأنظف ملاك الصحف في مصر، لكني أسألك بأمانة هل ذلك وضع معقول؟!

لا أريد أن أخوض في ملكية بقية الصحف المصرية، لكني أقول لك بأمانة أن السجلات لا تشهد لأحد، وأنا لا أريد فتح الملفات، وأترك الباقي لك لتبحث فيه كما تشاء. مشكلة ملكية الصحف على هذا النحو كانت مقلقة لجمال عبد الناصر، وأضيف مرة أخرى إنه لم يكن يقصد إلى تأميم الصحافة المصرية، بمعنى نقل الصحف إلى ملكية الدولة، وإنما كانت مشكلته هي الملكية الشخصية للصحف، وكان يرى أن ذلك وضعا غير مقبول اجتماعيا وإعلاميا.

ـ بمناسبة الكلام عن رأس المال. متى أصبحت عند جمال عبدالناصر فكرة دقيقة عن مصر وكيف تدار الأمور فيها؟

. . هيكل: فى السويس، عندما قام بتأميم شركة قناة السويس، ورأى شبكة علاقاتها الداخلية والخارجية، وعندما أمم البنوك البريطانية والفرنسية والسويسرية، ثم بدأ يتساءل ولكن عن قرب: من يملك مصر؟! كانت أول مرة يكتشف أن المصريين لا يملكون شيئًا من مصر. عبد الجليل العمرى قال عن هذا الاكتشاف ببساطة مذهلة:

- لقد اكتشفنا أن مصر كانت بقوة ترعى على الأرض المصرية وتعيش على ناتجها، لكن ضروعها كانت ممتده تُحلب فى الخارج - خارج مصر - فى أماكن أخرى.

عند تمويل البنوك الإنجليزية والفرنسية والسويسرية رأى جمال عبدالناصر كيف كانت هذه البنوك تدخل فى عمليات تمويل القطن المصرى، ورأى من الذى كان يأخذ القطن، ومن الذى كان يتولى التصدير، هل تتصور أن تصدير القطن - وهو المحصول الرئيسى لمصر فى ذلك الوقت - كانت تقوم به شركات أجنبية؟! نظام البنوك كله كان أجنبيًا، شركات التأمين كلها أجنبية، حتى شركات بنك مصر. خد مثلاً شركة مصر للتأمين، كانت هناك شركة بريطانية مساهمة فيها بـ ٣٧٪، شركة البيضا للغزل والنسيج، مجموعة برادفورد كانت مشتركة فيها.

علينا أن نلاحظ كيف تم اكتشاف رجال الثورة للحقيقة الاقتصادية لمصر. ستجد أن التعبيرات السياسية عنها كانت موجودة، ومن ثم التعبيرات الثقافية والفكرية عنها، لقد اكتشفوا أن مصر لا يملكها المصريون.

وهكذا بدأت خطة الثورة من أجل أن يمتلك المصريون بلدهم. فى سنة ١٩٥٦، أممت قناة السويس، كان المتوقع والمفترض أن تكون هناك محاولة تمصير فقط، ثم تعدل الهدف إلى التأميم بدلاً من الاكتفاء بالتمصير؛ لأن جمال عبدالناصر رأى فى فكرة التمصير، بالبيع من الأجنبى للمصرى، إنها ستزيد ملكية من كان يملك فعلاً؛ لأنه من الذى تقدم لشراء الفنادق التى كانت مملوكة للسويسريين والبلجيكيين؟! لقد كان عبود. عبدالناصر تساءل عن جدوى سياسة التمصير التى يمكن أن تؤدى إلى زيادة ثروة عبود.

قال جمال عبدالناصر.. لا، وهكذا أنشأ المؤسسة الاقتصادية لأول مرة

بعد سنة ١٩٥٦ ، ثم بدأ ينظر إلى أحوال الاقتصاد الوطنى ، بالتحديد إلى أحوال التجارة الخارجية التى لم تكن بأيادى مصريين أيضًا ، وكان لابد وأن تتحول إلى المصريين ، وكان لابد من النظر إلى النظام البنكى كله .

ـ هل كانت التجربة المصرية هى الوحيدة التى تسير فى هذا الاتجاه فى ذلك الوقت؟

. . هيكل: العالم كله كان يسير في ذلك الاتجاه ، والبداية كانت في أمريكا بفرانكلين روزفلت ، وذلك من خلال تجربته المعروفة باسم العهد الجديد بعد الحرب العالمية الثانية . إنجلترا أممت البنوك ، فرنسا أممت ، إيطاليا أممت . وهذه كلها دول متقدمة ورأسمالية ، وأظن أن العالم الثالث كله دخل في هذه التجربة . بمعنى أن هذا العصر كله كان عصر الاشتراكية . وأنا أعتقد أن هذا لم يكن ـ فى زمانه وفى مكانه وفى ظل ظروفه العامة ـ أقول لم يكن فيه عيبٌ أو خطأ ، خصوصًا فى زمن كان كل من خرج فيه من الحرب العالمية الثانية كان يتكلم عن الاشتراكية ، حتى قبل هذه الحرب . كان الكل يبحث عن نوع من العدل الاجتماعي .

وبالنسبة لمصر كان ذلك مطلوبا ، بل كان المطلوب تخليص موارد مصر من سيطرة الأجانب عليها ، خصوصا في مجالات سيطرة البنوك والتأمين والصادرات والنقل وتجارة القطن وكل شيء له قيمة تقريبًا .

المحاورة الثالثة والعشرون

سجون ... ولكن

إنها حملة كاسحة ضد عبد الناصر ومنجزاته.

ـ وهل يمكن تجاهل وقائع معتقلات يوليو وسجونها؟!

إنها المسألة التى تظهر كثيرًا عند الكلام عن عبدالناصر، بل ربما كانت تشكل جوهر الأدبيا ت المكتوبة بعد رحيله.

صحيح أن نجيب محفوظ أكد لى ـ أكثر من مرة ـ أن روايته الكرنك مكتوبة فى ظل حكم جمال عبدالناصر، وإن كانت قد نشرت بعد رحيله. على أن أهم ما فى الرواية ـ التى لم تنشر كاملة حتى الآن ـ أنها أسست فى الكتابة وأفلام السينما ومسلسلات التليفزيون.. ما أطلق عليه «الكرنكة» بعد ذلك.

نبدأ من فكرة الاعتقال نفسها. ليس من ناحية قانونيتها، ولكن من زاوية إنسانية اللجوء إليها، ثم نصل إلى السجون بعد ذلك.

لست فى حاجة إلى تأكيد الفارق بين السجن والمعتقل، فالسجين هو من صدر بحقه حكم من سلطة قضائية، والمعتقل صودرت حريته الشخصيه بقرار استثنائى لا يستند إلا إلى قوة فى النظام الذى مارسه.

أبدأ بالأسئلة:

ـ ابتداء من اعتقال ٢٣ صحفيًا فى يناير سنة ١٩٥٥، من بينهم حسين أبو الفتح «المصرى»، وإحسان عبد القدوس «روز اليوسف»، وحل مجلس الصحافة.

وانتهاء عند اعتقال آخر مجموعة فى زمن جمال عبدالناصر . . جمال العطيفى ونوال المحلاوى . .

ـ ما رأيكم فى فكرة الاعتقال نفسها؟

وما مدى مسئولية عبدالناصر عن ذلك، وهل كان يعلم؟

وهل كانت الأوامر والتكليفات تصدر منه؟

وكيف كانت علاقتك بجمال عبدالناصر بعد اعتقال مجموعة الأهرام؟!

وما رأيك الشخصى ـ فى حينه والآن ـ حول فكرة الاعتقال، خاصة وأنك أنت اعتقلت بعد ذلك فى زمن السادات فى سبتمبر ١٩٨١؟!

ثم أن هناك حكايات خميس والبقري وسيد قطب وشهدي عطية الشافعي. الأول والثاني والثالث أعدموا والرابع قتل.

. . **هيكل:** كل هذه موضوعات لم أعد على استعداد للكلام عنها في وقت من الأوقات، تكلمت عندما كانت الأمور مختلطة ومتداخلة. الآن أصبحت المسائل واضحة:

أولاً: ليس هناك شخص أريد أن أدافع عنه، ولا قضية أريد أن أترافع فيها، والسجلات شاهدة. فقد كان الأهرام في وقت عبد الناصر هو المجال الأول الذي جرى فيه نقد تجربته سياسيا وأدبيًا.

تكلمنا عما كتبه نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ولويس عوض وغيرهم. نسى الناس أحيانا أن الأهرام كان المنبر الذي قيلت عليه ومن خلاله أهم تغيرات مقاومة تجاوز السلطة: زوار الفجر، المجتمع المفتوح، سيادة القانون، مراكز القوى، الديموقراطية بالمشاركة وليس بالموافقة إلى آخره.

ومن المفارقات أنني وأنا أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر، فإن الأهرام الذي كنت أرأس مجلس إدارته وتحريره كان هو الذي تعرض بانتظام

لمَ لَمْ تتعرض له صحيفة أخري. فقد كان هناك من ضايقه دور الأهرام في ذَلك الوقت، ولذلك تقرر اعتقال عدد من محرريه. كل هذا وأنا فيه، وكل هذا وأنا الأقرب إلى جمال عبد الناصر والأسماء كلها معروفة.

وقد كنا نقاوم. لكننا كنا نعرف في نفس الوقت أننا نخوض معركة في الحرية، ونثق أن جمال عبد الناصر سوف ينتصر لنا باستمرار وهكذا فعل.

ثانيا: موضوع الحريات. جانب من التجربة تعرض لحملات تشويه لم تتوقف حتى الآن، وفيها كثير مما يمكن وصفه بحق يراد به باطل، وأنا لست على استعداد للرد على مثل هذه الحملات، ولكنى على استعداد للمناقشة إذا فتحت كل الأوراق. الحقيقة أنه ليس هناك سجل للحقوق الإنسانية في العالم يستحق الدفاع عنه بطريقة تجعل الإنسان يحترم عقله.

ليس العالم الثالث فقط، ولكن العالم الأول مع الأسف. ولك أن تنظر الآن لما يجرى في الولايات المتحدة وفي أوروبا. وعلى أي حال فإذا كان الأمر فتح المناقشة حول ما جرى في عصر جمال عبد الناصر، لابد أن تكون المناقشة بل المقارنة بعصور أخرى. . عصور سبقته في العصر الملكي، وعصور تزامنت معه في كل البلاد العربية، وعصور لحقت بعصره في مصر وفي كل البلاد العربية.

أنا أزعم أن سجل حقوق الإنسان في مصر في وقت جمال عبد الناصر برغم كل ما يكن أن تقوله أو أقوله، أو يقوله غيرنا، أفضل من سجلات كثيرة غيره. وأرجوك أن تراجع السجلات والوقائع، مع العلم أن زمن جمال عبد الناصر كان زمن معارك متواصلة ضد قوى تريد السيطرة على المنطقة، وكان جمال عبد الناصر هو العدو الرئيسي لها، كما كان العدو الأكبر لإسرائيل.

أرجوك أن تتذكر أن العبودية لم تُلغ رسميا في السعودية إلا في سنة ١٩٥٨ وبعد معركة السويس. ذلك يقول لك الكثير ويوفر عليك الكثير.

ثالثا : تلاحظ أن كل التجاوزات التي أشرت إليها، هي مما قامت به أجهزة الدولة الثابتة والدائمة في كل العصور ضد التيارات الشيوعية والتيارات الدينية، بالنسبة للتيارات الدينية مثلا، هي التي بدأت بترويع الحياة في مصر، بتفجيرات القنابل في الشوارع والمحلات العامة، والعدوان على رؤساء الوزارات، مقتل النقراشي، وحتى رؤساء المحاكم مثل المستشار الخازندار. ومن المزعج أن الإخوان المسلمين لم يعترفوا حتى الأن بمحاولة اغتيال جمال عبدالناصر نفسه، وصمموا على القول حتى الآن إنها كانت مسرحية مدبرة. مع أن الوقائع كانت ظاهرة وبينة، بل كانت هناك اعترافات صريحة. ولكي أكون منصفا كان هناك رجل واحد في قلب التيار الديني اعترف بالحقيقة في مذكراته وهو الأستاذ خالد محمد خالد.

وبالنسبة لإخواننا من الشيوعيين كان همهم كله دفع التجربة المصرية إلى مزالق خطرة، وكان المعيار الذي تبنوه لتجربة الاشتراكية في مصر هو ما كان يحدث في الاتحاد السوفييتي، الذي اعتبروه نموذجا يحتذى به، ومرجعية هي فصل الخطاب، نحن الآن جميعا نعرف الحقائق من نتيجة التجارب. رأينا ما تفعله التيارات الإسلامية باسم الإسلام، ابتداء من الأقصر، وصولا إلى أفغانستان.

رأينا أيضا ما انتهت إليه التجربة السوفيتية، التي رأها الشيوعيون المصريون نموذجا ومرجعية. ومن الغريب أن التيارين: الإسلامي والشيوعي لم يقوما بمراجعة نفسيهما بشجاعة مع النظام الثوري الوطني في مصر. وإنما شاركا بحماسة في الهجوم على هذا النظام مستغلين مناخا دوليا وإقليميا ومن سوء الحظ مصريا أيضا.

رابعا : كان هناك من يظنون أن دخول مصر في الصراع العربي الإسرائيلي بدور نشيط يشكل نوعا من الحمق. ولعلهم يعرفون الآن بالتجربة الحية أنه لم يكن حمقا، وأن هناك أمنا قوميا مصريا له مطالبه المشروعة، وأن لمصر هوية

عربية لها جذورها ولها تداعياتها، وأن مقاومة السيطرة الأمريكية لم تكن رغبة في الشجار مع الولايات المتحدة، وأن التصدي لإسرائيل في المنطقة لم يكن مغامرات خارج الحدود، وإن الرأسمالية ليست ملاكا بريئا يخدم الأوطان والشعوب رغبة في الخير، وطلبا للثواب في الآخرة، نحن الآن بالتجربة العملية نعرف أكثر، ونعرف أن حقائق الحياة لا تلزم نفسها في معظم الأحيان بمبادئ الحرية.

خامسا: لاحظ أننا الآن نعرف أن هذه الحملة ضد كل عصر جمال عبدالناصر لم تكن نقدا أمينًا نزيها مفرزًا الخطأ من الصواب، ويعلى من الخير على الشر، وإنما كانت حملة إدانة كاسحة، لها قصد مقصود أشرت إليه مبكرا في مجموعة مقالات كتبتها بعنوان: «لمصر لا لعبدالناصر» صدرت فى كتاب تحت هذا العنوان.

وفي كتابه المهم «لمصر لا لعبد الناصر» يتكلم الأستاذ هيكل بتوسع عن الحملات ضد عبد الناصر، من ص: ١٥٧ـ وحتى ص: ١٦٦..

١ ـ إن جمال عبد الناصر كان تجربة هائلة في حياة هذه الأمة العربية، وفي زماننا المعاصر كله. ومثل كل تجربة هائلة ـ خصوصًا إذا كانت بالثورة ـ فإن التجربة تصبح حافلة، ذلك أنها بالثورة تواجه بدايات جديدة، ثم إنها تعطي للتحديات التي تطرح نفسها عليها إجابات مختلفة، وهذا مجال الصواب والخطأ.

وقد أصاب جمال عبد الناصر وأخطأ، واعتقادي أن الإيجابي في تجربته يرجح السلبى بكثير، ومحصلة أي حساب أمين تعطيه أكثر مما تأخذ منه بفارق كبير لصالحه، ويكفى لأى واحد منا أن يلقي نظرة على خريطة المنطقة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وموازين القوى فيها، قبل جمال عبدالناصر وبعده، ليرى الحقيقة ظاهرة وناصعة.

وعندما توزن أخطاء تجربة في مثل حجم تجربة جمال عبد الناصر، فإن هذه التجربة لا يمكن أن تقاس إلا بأهدافها هي، وإلا بظروفها هي، وإلا بالتحديات التي واجهتها هي، وإلا بالخيارات التي كانت مفتوحة أمامها، وإلا أصبح التقييم تعسُّفًا، وانحدر التاريخ إلى مستوى المؤامرة!

ثم إنه لا يستطيع أن يقضي في مثل هذه التجربة، ولا حتى بالتقييم، هؤلاء الذين عادوا التجربة بمبادئها وحركتها وجماهيرها، فعادتهم هذه التجربة مبدأ وحركة وجماهير.

إن هؤلاء الأعداء لهم حق الكلام بالطبع، لا يخنقه أحد في حناجرهم، ولكن كلامهم يكون من مواقع العداء وليس من موضع القضاء، ويجب أن يكون هذا واضحًا لكي لا تختلط الصور.

إن المستعمرين الفرنسيين - ذوي الأقدام السوداء كما يسمُّونهم - لا يمكن أن يكونوا هم السلطة التي تقيم الثورة الجزائرية!

وحكومة «فيشى» التي استسلمت للألمان في الحرب العالمية الثانية حاكمت «الجنرال ديجول» - الذي مثل إرادة الشعب الفرنسي في مقاومة النازي - وحكمت عليه بالخيانة العظمى، وطلبت رأسه حيّا أو ميتًا، ولكن هذا الحكم كان مهزلة على هامش التاريخ ولم يدخل في حسابه!

وبنفس المعيار، فإن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - وهي الدافع الحقيقي وراء الحملة الضارية على عبد الناصر اليوم - ليست هي القاضي الذي يبحث قضية الديمقراطية في عصر عبد الناصر. هؤلاء الملوثة أيديهم بالجريمة الوحشية في شيلي - مثلاً - حيث اغتيل الرئيس الشرعي سلفادور الليندي، وحيث قتل في الشوارع في يوم واحد ٢٥ ألفا من المواطنين، وحيث اعتقل في أسبوع واحد مائتا ألف من الناس - وفق تقرير لجنة العدل الدولية - ليسوا قضاة الديمقراطية في تجربة عبد الناصر أو غيره.

نعم . . .

تجربة عبد الناصر ليست فوق النقد، بالعكس فإن نقدها بالتقييم مطلوب، لكن جامعة القاهرة مثلاً ـ مهما كانت أسباب قصورها ـ لا يمكن أن تُحاكَم من علب الليل في شارع الهرم!

* * *

٢ ـ إن الحملة الضارية المعلنة ضد جمال عبد الناصر ـ بالباطل في معظم ماتدَّعى به ـ لن تضرَّه بشيء.

فهو كإنسان بعيد عن هذا كله، في رحاب الله، لا يمسه من هذه الدنيا سوء.

وهو كتجربة ملك جماهير واسعة عاشتها معه وأعطته ما لم تعطه لأحد قبله، وما لم تعطه بعده لأحد، ولم تكن جماهيره عمياء ولا فاقدة لوعيها وهي تسير معه. لقد وجدت في حركته أمانيها الضائعة ووجدت في كلماته تعبيراً عن رغباتها المضغوطة، ولم تكن العلاقة بين الاثنين علاقة الأمر والطاعة، وإنما كانت علاقة حوار حر، لأن مجاله عقول الناس وقلوبهم، وحيث لا سلطان لقوة على أعماق البشر إلا ما تشعر به وتقتنع.

وفي سياق هذا الحوار، فإن هذه الجماهير لم تتحفظ في تأييدها له مرات، وتحفظت مرات أخرى، ورضيت عنه أحيانًا، وعاتبته أحيانًا أخرى، وغضبت عليه في بعض المواقف، وغفرت له في مواقف أخرى.

لقد أيدته بغير تحفظ مثلا في حرب السويس، ثم تحفظت بعد الانفصال،

ورضيت عنه في ندائه للعدل الاجتماعي، وعاتبته في تجاوز السلطة،

وغضبت عليه سنة ١٩٦٧، وغفرت له في حرب الاستنزاف سنة ١٩٦٩.

وهكذا، وهكذا، علاقة حوار حر في مسار تجربة تملكها جماهيرها.

ثم إن جمال عبد الناصر كتاريخ ملك أجيال قادمة تتاح لها الحقائق كلها، وتخلو نظرتها إلى الوقائع من انفعالات لحظة بعينها، سواء سادها الفرح أو سادها الحزن.

وكانت تلك على سبيل المثال ـ ومع اختلاف الظروف ـ قصة نابليون مع فرنسا.

لقد مات نابليون والهزيمة من حوله، ومات في المنفى تحت ذل أعدائه.

ومضت سنوات وسنوات.

وعادت إليه فرنسا تضعه في رأس القائمة من زعمائها الخالدين.

وأتذكر أديب فرنسا الكبير «أندريه مالرو» وهو يعقد هذه المقارنة بين «نابليون» و «عبد الناصر» ونحن معًا ذات يوم على مائدة غداء في مطعم «لاسير» بباريس، وقال لي «مالرو»:

«ليست المسألة هي النصر العسكرى أو الهزيمة العسكرية.. المسألة هي إرادة الأمة وتقديرها للبطل حين تجد نفسها فيه.. ولقد وجدت أمتكم نفسها في عبد الناصر بمقدار ما وجدت أمتنا نفسها في نابليون مع اختلاف الظروف، وهذا هو الذي يبقى، وغيره تكنسه الأيام».

هكذا فإن الإنسان في عبد الناصر مع ربه.

والتجربة لجماهيرها.

والتاريخ مسئولية أجيال قادمة.

وإذن فالحملة الضارية بعيدة عن أي تأثير حقيقي عليه، إنسانًا أو تجربة أو تاريخا.

* * *

٣ ـ إن هذه الحملة إذا أثرت فتأثيرها على النظام نفسه بعد عبد الناصر .

إن الثورة لم تكن ثورتين ، والنظام لم يكن نظامين ، وهذا تعبير الرئيس أنور السادات نفسه .

والتأثير على النظام هنا يكون مزدوجًا :

* قسم منه في نظرة النظام إلى نفسه .

* وقسم منه في نظرة آخرين إليه : بالذات جماهيره في الداخل والخارج .

وإذا تذكَّرنا أن الحملة الضارية الدائرة الآن هي حملة إدانة شاملة وليست عملية نقد موضوعي ـ إذن ـ فإن التأثير المزدوج يمكن أن يحدث على النحو التالي :

* إن النظام إذا أثَّرت فيه الإدانة الشاملة يجد نفسه في الموقف الصعب ، موقف الخجل إزاء ماضيه .

وهو هنا لا يُصحِّح ولا يُقوِّم ، ولكنه يغيِّر ويُقلِّب رأسًا على عقب .

يبحث عن مبادئ غير المبادئ ، ومواقف غير المواقف .

وهو بهذا يفقد الثقة بنفسه . . . ويظل يفقد . . ويفقد حتى يضيع منه إحساسه بشرعيته ذاتها .

* وإذا أثَّرت الإدانة الشاملة في نظرة الآخرين إلى النظام ـ وبالذات جماهيره في الخارج وفي الداخل ـ فماذا تفيده الثقة بالنفس ، على فرض أنها بقيت لديه . بقاؤه في هذه الحالة مجرد مقدرة على التسلط ، وهذه مرهونة بوقت ، لأنه ليست هناك قوة تستطيع الاحتفاظ إلى فترة طويلة بفروع الشجرة إذا انفصلت عن جذورها .

والغريب أن بعضهم يحاول أن يحصر الإدانة الشاملة في عصر جمال

عبدالناصر . . إن كان الهدف من هذه الحملة هو إدانة عبدالناصر وتحميله مسئولية بعض تجاوزاتها ، وتبرئه أنور السادات منها ، وذلك ظلم لأنور السادات نفسه قبل ظلمه لجمال عبد الناصر ، لأنه يسلبه بعضًا من أروع منجزات ثورة ٢٣ يوليو التي هو اليوم وريثها الشرعي .

* * *

٤ ـ إن الإدانة الشاملة على هذا النحو المجنون بالحقد تأخذ أيضًا من مصر رصيدها كله لدى أمتها العربية .

فهذه الأمة أمامها خياران لا ثالث لهما :

* إما أن تصدق ما يقال في مصر الآن ، وإذن فإن حكمها سوف يكون شديد القسوة على مصر من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٧٠ .

* وإما أن ترفض تصديق ما يقال في مصر الآن . وإذن فإن حكمها سوف يكون شديد القسوة على مصر من سنة ١٩٧٠ إلى سنة ١٩٧٦ .

والمؤكد أن التيار الغالب في الأمة العربية ـ بحس صادق وضمير مستنير ـ رفض تصديق ما يقال في مصر الآن ، ومع ذلك فإنه في نفس الوقت ـ محبة في مصر واعتزازًا ـ رفض أن يكون حكمه الراهن عليها شديد القسوة .

واكتفت الأمة حتى الآن بنظرة التساؤل والدهشة والعتاب توجهها نحو مايجرى في مصر ، تكاد لا تصدق حدوثه .

لم يبق زعيم عربي له قيمة إلا وتساءل واندهش وعاتب .

ولم تبق مؤسسة عربية لها قيمة إلا وتساءلت واندهشت وعاتبت .

ولم يبق شعب من شعوب الأمة العربية إلا وهو الآن يضرب كفا بكف .

ولقد سمعت من وفود كثيرة رسمية وغير رسمية ، عالية المستوى وعادية المستوى ، تعبيرات قاطعة في دلالتها على ما تشعر به الأمة العربية .

* سمعتها بنفسي من هوارى بومدين في الجزائر، يقول لي :

ـ «ما الذي تفعلونه بجمال عبد الناصر في مصر الآن . . . وأي شيء بقى يحفز أي إنسان عربي ليعطي عمره لأمته . . . لقد اختلفنا واتفقنا معه كثيرا، ولكننا لا نختلف ولا يختلف معنا أحد في أنه كان أبرز عربي ظهر على الساحة فى هذا العصر .

وإذا كانوا يفعلون به ما نراه اليوم . . . فماذا يفعلون بغيره ممن لم يعطوا عطاءه، ولم يكن لهم مثل دوره، وإن حاولوا بكل ما في وسعهم أن يجاهدوا ويناضلوا؟!» .

* قالها عبد الرحمن العتيقي وزير المالية الكويتي لوفد مصري كان في الكويت أخيراً :

ـ «إن آرائي كانت بعيدة عن آراء جمال عبد الناصر .

ولكن دعنا نكون صرحاء . . . إنني سمعت من بعضكم كلامًا عن التجربة الديمقراطية في الكويت . . . وأقول لك بصراحة إن هذه التجربة ما كانت لتحدث لولا تأثير جمال عبد الناصر، فاتقوا الله فيه وفينا» .

* بل قالها في أحد القصور واحد من حملة السيوف لزائر مصري كان يرافق الرئيس السادات في رحلة عربية أخيرة له :

ـ «في بعض هذه المناطق هنا ظل العبيد يباعون ويشترون في الأسواق .

ولقد حصلنا على العتق والحرية عندما بدأ صوت جمال عبد الناصر ينفذ من أسوار القصور!» .

واستطرد حامل السيف يقول :

ـ «أخاف على أنور السادات منهم . . . أي ضمان أن لا يفعلوا به يومًا، مايفعلونه بجمال عبد الناصر اليوم!!» .

ثم ألفت النظر إلى واقعتين حدثتا أخيراً في نطاق جامعة الدول العربية .

تقدَّمت مصر بمرشح لرئاسة منظمة اليونسكو العربية ، منظمة الثقافة والفنون ، وإسهام مصر في ميادينها مشهور ، وكان مرشح مصر لرئاسة هذه المنظمة رجلاً من أكفأ رجالها وأقدرهم على الخدمة العامة ، وهو الدكتور محمد حسن الزيات .

وجرت الانتخابات .

ونال الدكتور الزيات صوتًا واحدًا ، هو صوت مصر ، وكانت بقية أصوات الدول العربية كلها لمرشح آخر .

وتكرر نفس المشهد في منظمة التنمية الصناعية العربية ، وكان المرشح لها وزيرًا مصريًا سابقًا للصناعة ، وكان ما حصل عليه - هو الآخر وللمرة الثانية - صوتًا واحدًا هو صوت مصر .

كيف حدث أن أعرض الكل عن المرشح المصري في الحالتين؟

كيف حدث أن مصر لم تتنبه إلى الوضع ، ولم تسحب مرشحها في الحالتين من باب الحرص ، أو حتى من باب المداراة؟

وأخشى أن التصويت في الحالتين لم يكن من قلة الثقة بكفاءة رجلين قدمتهما مصر . . . بقدر ما كان نوعًا من العتاب بصفة عامة لمصر نفسها ، ولا أزعم أن السبب هو حملة الإدانة الشاملة على جمال عبد الناصر ولكني أتصور أن هذه الحملة - إلى جانب عوامل أخرى - خلقت مناخًا معينًا من حول مصر ، لا أظنه يتناسب مع قيمتها الحقيقية .

* * *

٥ - وليس رصيد مصر العربي هو ما يجرى تبديده الآن ، وإنما هو رصيد مصر العالمي . وأسأل على سبيل المثال :

ـ هل حاول أحد أن يتقصى أثر حملة الإدانة الشاملة ضد جمال عبد الناصر على أفريقيا؟

كل حركات التحرير في القارة، وبغير استثناء، لم تعرف غيره زعيما لحركة التحرر الشاملة ضد الاستعمار. حتى المستعمرات البرتغالية التي حصلت على استقلالها أخيراً: موزمبيق وأنجولا، بدأت نضالها هنا في القاهرة وتحت حمايته.

وفي غير أفريقيا.

في أمريكا اللاتينية مثلاً!

يلفت النظر حتى الآن أن الأنظمة التي تساندها الولايات المتحدة لا تخشى شيئا مثلما تخشى حركات في جيوشها يطلقون عليها اسم «الناصريون»!

هل تصدق الهند ما يقال الآن عن جمال عبد الناصر في مصر؟

هل تصدق الصين؟

وأوربا؟

أوروبا في الشرق كلها ترفضه من موسكو إلى بلجراد، وبغير استثناء.

وأوروبا في الغرب كلها تتابع ما يقال مجرد متابعة إخبارية.

حتى أمريكا!

وكانت مجلة «تايم» الأمريكية هي التي نشرت أخيراً تحقيقًا صحفيًا مليئًا بعلامات الاستفهام، تتعجب كلها كيف أن جمال عبد الناصر أرفع ما يكون مكانة في العالم العربي كله خارج مصر... وأما في مصر فإن سمعته يجرى تمريغها في التراب؟!

* * *

٦ ـ وبعيداً عن هذا كله، فإن حملة الإدانة الشاملة بالطريقة التي تجرى بها الآن، ويمكن أن تثير أسئلة فرعية في مصر، وهي أسئلة فرعية اليوم ولكنها في الغد يمكن أن تجيء بمضاعفات ليست فرعية.

سوف تبرز تساؤلات عديدة:

* هل هي محاولة لتكبيل إرادة الشعب المصري في «عقدة ذنب»، يوقعون في روعه أن ما يصورون له حدوثه بالأمس جرى باسم الحرية والإشتراكية والوحدة؟!

وإن تصرف جماهير الشعب نظرها عن هذه الأهداف!

فإذا كان هذا هو الثمن الذي دفع فيها كما يصورونه ـ إذن فإنه ثمن فادح إنسانيًا، يستحيل دفعه لأى هدف مهما كان!

وإذن على الجماهير أن تسلم إرادتها، وعليها أن تقبل استغلالها، وعليها أن تنكفئ وراء أسوار العزلة عن أمتها!

هل هذا هو المقصود أو المطلوب؟

وهل هو ممكن سياسيًا أو أخلاقيًا؟

* ماذا لو فرغ صبر الناس وكان سؤالهم:

لقد اكتفينا من حكايات الماضي، ونحن نريد أن نسأل عن الحاضر والمستقبل؟!

ثم إلى متى يصبح كل ما هو سلبي موروثًا مما قبل ١٥ مايو ١٩٧١، وكل ماهو إيجابي من معجزات ما تحقق بعد ١٥ مايو؟

إن كل حكم يصبح مسئولا عن نفسه بعد فترة سماح معينة يستطيع فيها أن يتعلل بما ورث عن سابقه، وفترة السماح هذه عادة لا تطول عن سنة أو سنتين.

أليست مدة التخطيط في العالم كله خمس سنوات في العادة، تسأل فيها أي خطة عمّا حققته أو لم تحققه حسابًا مستقلاً؟

أليست مدد الرؤساء تتراوح ما بين أربع سنوات، كما هي الحال في أمريكا، إلى ست سنوات، كما هي الحال في فرنسا، ثم يفترض بعد هذه المدة أن كل رئيس أخذ من الوقت ما يكفيه لكي يصنع ملامح عصره ويصبح مسئولا عنها؟

* ما هو الخيار المفتوح أمام المؤمنين استراتيجيًا بثورة ٢٣ يوليو، وفي جمال عبد الناصر، حتى وإن كانت لهم تحفظاتهم التكتيكية؟

هل يتحول هؤلاء إلى حركة تحت الأرض، ليس لها تنظيم يعبِّر عنها، وليست لها منابر مفتوحة تنطق باسمها؟

وهل تصبح الناصرية حركة رفض لنظام يقوم على ثورة عبد الناصر وتجربته؟

من يقول بذلك؟ ومن يرضاه؟

* * *

٧ ـ ومع ذلك لنفتح الدفاتر.

ولنفتحها بأمانة وشرف، ولنحقق في كل خط وزاوية، وليكن التحقيق عربيًا شاملاً يتجاوز حدود مصر، فتجربة جمال عبد الناصر كانت تجربة عربية شاملة تجاوزت حدود مصر:

* لنحقق في الرجل نفسه ونزاهته، وكل تصرف شخصي من تصرفاته، وهل كان عفًا في كل ما أتى، أو أنه مال وانحرف؟

* لنحقق في دعوته، وهل كانت تعبيرًا أصيلاً عن ضمير الأمة، أو أنها

كانت فرضا فرض عليها بقهر السلطة، ولنسأل أنفسنا أي سلطة قهر كانت له على جماهير الأمة العربية خارج حدود مصر، وكانت هذه الجماهير البعيدة عن نطاق سلطته هي الاحتياطي الإستراتيجي لحركته.

* لنحقق في سياسته الخارجية، وهل استطاعت هذه السياسة أن تجعل من العرب قوة سياسية ضخمة تتصدر التيارات الفاعلة في عصرها، كحركة الثورة الوطنية في العالم، وحركة معاداة الاستعمار، وحركة التضامن الأسيوي الأفريقي، ومنطق الاستقلال وعدم الانحياز، والاتجاه العام إلى مجتمع دولي يسوده السلام وتحكمه مبادئ القانون الدولي أو أن الرجل كان ضد التحرر وكان محالفا للاستعمار داعية إلى الطغيان في مجتمع الدول؟

* لنحقق في سياسته العربية، وهل كانت مع التاريخ أو كانت ضد التاريخ؟ وهل بادر أحدا بعداء، أوأنه اضطر إلى معاداة من عادوه؛ لأنهم وقفوا ضد التاريخ وحاولوا تعطيل مسيرة الأمة؟!

* لنحقق في سياسته الداخلية:

في صيغة تحالف قوي الشعب العامل كبديل لدموية الصراع الطبقي، وفي الاستجابة لتحديات مرحلة الانتقال من مجتمع متخلف اقتصاديا واجتماعيا، وفي الإجراءات التي اضطر إلى اتخاذها لتكون للمجتمع المصري بداية سليمة على طريق الانتقال.

وليكن التحقيق شاملاً في تجربة التصنيع في مصر، وفي تجربة تطوير الزراعة، وفي تجربة بناء قطاع عام يقود عملية التنمية، وفي تجربة التخطيط لذلك كله، وهل بلغت نسبة التنمية الشاملة في معظم سنوات عصره ٦,٧٪ سنويًا، وأي تجربة أخرى في العالم الثالث غير تجربته بلغت هذا الحد من النجاح، رغم ما نعرف جميعا من ضغوط الحوادث والظروف.

ليكن التحقيق شاملاً كذلك لسياسات التأميم، ولإجراءات الحراسة، حالة حالة، ولتنشر القوائم ومعها الأسباب.

وليكن التحقيق شاملاً أيضًا في كل ما يقال عن عمليات الاعتقال، والفصل، والتعذيب، ودور المخابرات والمباحث، وهل كانت مصر تحت حكمه صورة جديدة من ألبوم «العاصفة النازية»، أو أن هذه التجربة لم تعتمد العنف إلا في أقل القليل وفي سبيل أكبر الكبير من المبادئ والأهداف، مع التسليم سلفًا باحتمال وجود تجاوز لابدّ من الحساب عنه والعقاب.

أزعم أن أي تحقيق منصف سوف يضع عبد الناصر حيث يجب أن يكون، وحيث وضعته جماهير الأمة العربية التي لم تكتف بالإعراض عما يجرى له في مصر الآن - بل عزلت فلول الظلام التي حاولت أن تحاصر قبره وتنبشه، كما فعل في تاريخ مصر القديم لصوص المقابر حتى في أهرامات مصر الشامخة.

إن ما حدث في مصر لعبد الناصر، لم يحدث لزعيم وقائد في أي بلد من بلدان العالم، إلا إذا كان هناك انقلاب مسلح على نظامه.

ومثل هذا الانقلاب لم يحدث قطعًا.

وعلى فرض أن انقلابًا مسلحًا كان قد حدث، فإنني أشك في أن حملة اليوم على الأمس كان يمكن أن تصل إلى هذا العنف.

ولم يكن من قبيل الأخطاء السياسية ما حدث، ولكنه كان أسوأ، فقد تعدّى أخطاء السياسة إلى السقوط الأخلاقي... إلى نوع من الانتحار المعنوي.

وليست هذه هي مصر، ولا يمكن أن تكون هذه هي مصر... وهي بالفعل ليست مصر!

* * *

٨ ـ ثم أقول في الختام :

ـ لقد كانت تجربة جمال عبد الناصر ، بإيجابياتها وسلبياتها ، تجربة مصرية عربية إنسانية أصيلة .

ومناقشتها حق ، لكن إدانتها الشاملة على هذا النحو الذي يجرى في مصر ، وبالوسائل والأساليب التي يتم بها ذلك في مصر ، باطل لا يصح .

ويبقى اعتقادي أنه لا يصح غير الصحيح .

ثم أتوقف عند عبارة بدأت بها هذه السلسلة من الأحاديث وتلك هي أنني لا أعطي لأحد حق اتهامه ، ولا أعطى لأحد شرف تبرئته .

تلك كلها حقوق للجماهير . . وللأمة . . . وللتاريخ[*] .

(*) محمد حسنين هيكل : لمصر . . لا لعبد الناصر ، الطبعة المصرية الأولى «الكاملة» القاهرة : ١٩٨٧ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر .

صــــور .. ووثــائــق .. وفهــارس



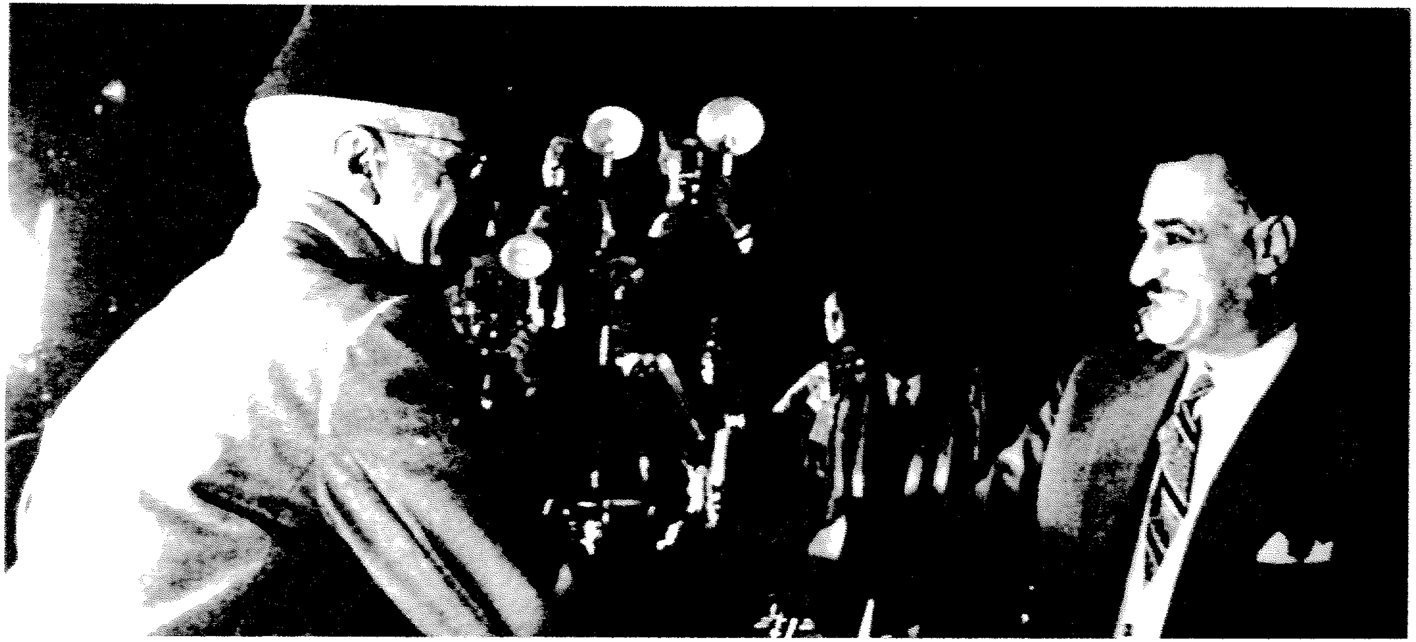
عبد الناصر مع أم كلثوم



عبد الناصر مع توفيق الحكيم



عبد الناصر مع طه حسين



عبد الناصر مع العقاد



عبد الناصر مع الشيخ شلتوت



عبد الناصر مع توينى



عبد الناصر مع سارتر وسيمون



عبد الناصر مع القصبجى



عبد الناصر مع أبو دراع



عبد الناصر مع طلبة جامعة دمشق



عبد الناصر مع أبطال باليه بلجراد



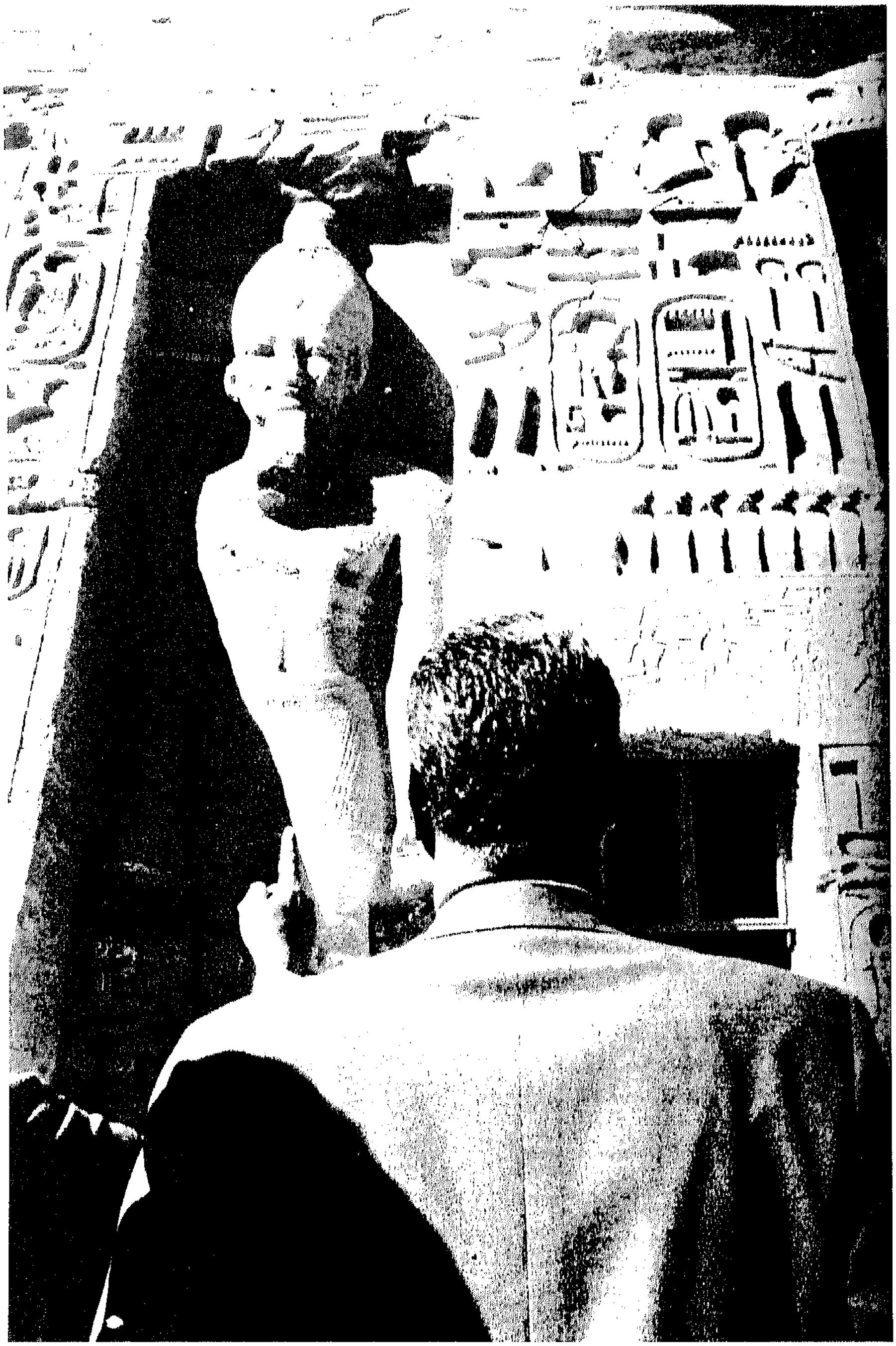
عبد الناصر مع فرقة البحيرة



عبد الناصر مع لاعب سيرك



عبد الناصر في معرض الكتاب



عبد الناصر أمام معبد أبو سمبل



عبد الناصر تنظر لمعرض صور



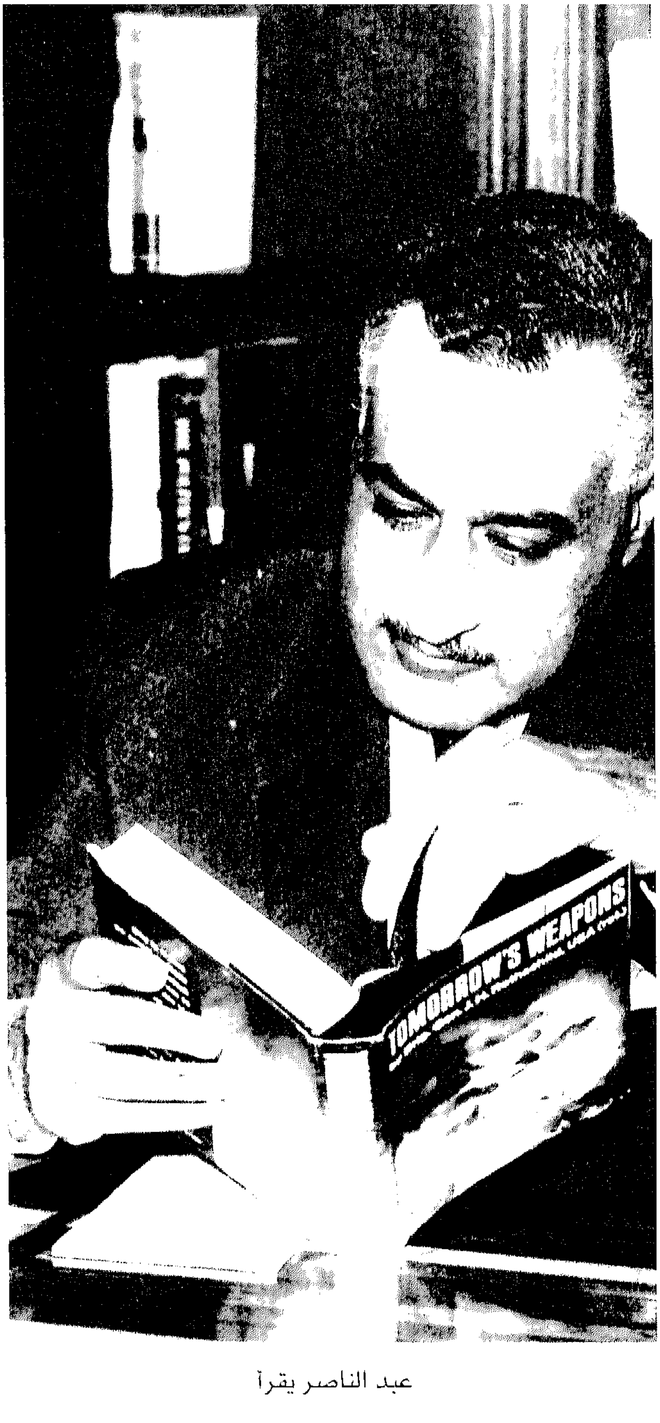
عبد الناصر في معرض للمصور حسن دياب



عبد الناصر في دار الآثار الإسلامية



عبد الناصر مع التليفزيون الأمريكي



عبد الناصر يقرأ



عبد الناصر في مكتبه

لأن مهنة تحرير الصحافة شأن في أحيان كثيرة شأن الملائكة، كليهما في
يستهويه اللهو والعبث، ولكنهم يعلمون أن سلامة عروشهم
لن يصونها لا الهوى ولا الجد وأهل الثقة من الرجال.
وربما قلت لبعض الصحفيين العابثين أن القارئ يفضل بعض
العبث، هذا صحيح، ولكنه لا يحترم الصحيفة.
وكل مهنة في الحياة معرضة لهذا الاختيار: اما الربح واما
الاحترام. وأقصد بالربح هنا طبعاً ذلك الذي يأتي
من الجد بالأقدام. لا الربح المشروع الذي لا نضحي في
سبيله بقيمة عليا.
لقد كنت فرحت بالسفر الى بابل حتى تتلاشى تلك الصورة
المقيتة التي صنعتها لي الصحافة في مصر. كل صحفي يريد أن يبدو
صحفياً روحي مما عليه لا أن ينسب إلى حوادث مضحكة. إني لست
رجلاً خفيف الروح في الواقع. وإني لأقرب إلى الكآبة والتشاؤم
وحياتي حتى في باريس لم تبهجني. من المغرب أتأمل. وفي النهار
أتأمل قلبي. وباريس الشهيرة تغيرت في نظري، وربما العيب
هو الذي حدث.
وأخيراً أحييك وأقدرك. فأنا معك نستطيع أن نحن.
وأحب أن تفهم أفكاري وأصل الى من تعرف جميعاً. وأنت
تعرف من أقصد.

أرجو أن تفهم أن خطابي هو تقدير لك وليس احتجاجاً
على أحد. ولذلك أرجو أن لا تطلع عليه أحداً من أهل الصحافة.
ولك وللذين في الكرامة وفي الحال أطيب تمنياتي

بكين ١٩/١/٥٩

أخي الأثير الحبيب الأستاذ محمد

لا أدري إذا كنت تذكر هذا الصوت أم لا . صوت يأتيك من آخر الدنيا .. من صفحة تتناوح عليها رياح سيبيريا .. ومنغوليا .. والبحر الأصفر .

سفينتي لا تزال راسية الحبال على صخور آسيا . ووجودي لم يزل يبحث عن وجوده في الأفلاك الشاحبة الرمادية .. وفي المعابد التي نسيت ربها من زمان .. زمان .

تجربتي كانت مذهولة ، مشلولة ، خائبة . أصابعي التي كانت جداول دفء ونار .. انتهت الى أعواد خشبية من القصب .. لا عصير فيها .. ولا نسغ .. كل شيء أنا على استعداد لإضاعته .. سوى أصابعي .. سوى عروقي .. سوى حرائقي .

وأنا أكتب اليك هذه الكلمات .. لأستحلفك على عمل شيء . من أجل هذه الحروف التي لا تريد أن تموت .. في تابوت التفاهة والوحشية ...

إنني أناديك كفنان أولاً .. وكصديق ثانياً .. لعمل ما يمكنك لتحريكي من نعشي المقفل بالرصاص .. والشمع الأحمر . إنها دعوة إنسان لإنسان .. ولا أكثر . إنني أعلم أن حركة كبيرة تتم الآن في وزارة الخارجية .. فهل تستطيع أن تفعل شيئاً لنقلي الى أية سفارة في حوض البحر الأبيض المتوسط .. أي بلد أستطيع أن أجد فيه سعادة نفسي وسعادة فني .. في هذه المنطقة .. وإذا تعذر الأمر .. فلتكن بيروت .. أو القاهرة .. ففي هذه المدينة لي أشياء كثيرة حبيبة .. لي جريدة الأهرام .. على الأقل .

أرجو أن أسمع منك قريباً عن نتيجة مساعيك التي لا أشك في أنها ستثمر .

تحياتي الى [redacted] ، ولك مني السلام والعاطفة العامرة .

نزار قباني

باريس في ٢٠ مايو ١٩٦٩

عزيزي هيكل

تريد بالتأكيد ان تعرف لماذا أكتب لك اليوم بعد شهرين ؟
اليك القصة : نزلت في باريس فندقا اختاره لي مصطفى لوشلد
لنرى : هنا شئ العمل . وفي صباح ليلة وصولي دق جرس التليفون
جرس وإذا المتكلم نصف الصحافة ثم انزل واشتغل بالأعمال .
ونزلت نفسي الفندق . فلما اتصلت تبين أنه لي انه ... له
السلام بالصحفيين في مصر او في غيرها وأنت قد عمل شيء في سوريا .
وكان هذا صباح تعاملي في الفندق او في المطاعم ، وتصادف ان
جاءت احدى الصحفيات من مصر تطلب مقابلة فلما اعتذرت عن طلب
انصرفت بسلام ؟ فلما رأيت هذا صحفي من ذلك قال انه
اذا ذهب الى مصر ربما قابل مع رغبته هو اليها في كتب زملائه
الصحفيين الا انه سيحاول ان يطرقه عني . فشكرته وسافر .
وإذا بي اتلقى مفاجأة : جاءني تلغراف هذا الصحفي بعد
بالذات ورجل يسأل كما كنت فقالت عني في احدى المجلات !
تصور ! .. هنا تذكرتك انت . أنت الذي تعرف عني كل شيء ،
فقد جمعتنا ظروف العمل والمقابلات والاحداث الخاصة للثورة ،
ومنك ما ... قد يكون طرفا في تلك الصحف ، وتلك مأزقة
فقد يكون طرفا واحدا من هذا ، وكأننا ما تقابلنا ولا تعارفنا .
هنا أتذكرك وأذكرك . وما من شك ان اعرف قبل ذلك من
قبل . ولكن المناسبة لا تبرزها احيانا مثل الاضداد . ان
الصحافة تقف . هكذا تفهم انت . ولست اظهر لنا وقفة كما
يفهم الآخرون ! انها تشغل الصحافة وستشغلك دائما في عملك .

الإعـــلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

الأحـــداث

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(ص)

(ع)

(ف)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

الأماكن

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

الفهـرس

كتاب البدايات

الكتاب الثاني: الطريق إلى الثورة

الكتاب الثالث: الثائر

الكتاب الرابع: إنسان مطروح على الناس

الكتاب الخامس: تذكر أنك بشر

الكتاب السادس: الرئيس والأدباء

الكتاب الأخير: الظلال في الجانب الآخر

رقم الإيداع ٢٠٠٣/٣٥٣٩
الترقيم الدولى 8 - 0923 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)